

مُوسَىٰ وَهَارُونَ
فِي مِائَةِ سِتِّينَ أَلْفًا

كَلَامُ الْحَقِّ مُحْفَظَةٌ

الطبعة الثانية

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

الكتاب:..... موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين
المؤلف:..... يوسف إبراهيم الخضير
المصحح:..... أ/ مصطفى علي الجمعة و أ/ علي مكي الشيخ
الجزء:..... الثاني
الطبعة:..... الثانية

موسوعة التسبيح في مدارس الثقلين

القسم الأول

التسبيح في القرآن الكريم

يوسف إبراهيم الخضير

الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ
إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا

غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤]

إهداء

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا الْمُتَرَضَّى الْإِمَامِ التَّقِيِّ النَّقِيِّ
وَحُجَّتِكَ عَلَى مَنْ فَوْقَ الْأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الثَّرَى الصِّدِّيقِ الشَّهِيدِ
صَلَاةً كَثِيرَةً تَامَّةً زَاكِيَةً مُتَوَاصِلَةً مُتَوَاتِرَةً مُتَرَادِفَةً كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ
عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِكَ^(١).

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،
أَشْهَدُ أَنَّكَ الْإِمَامُ الْهَادِي وَالْوَلِيُّ الْمُرْشِدُ، أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَعْدَائِكَ
وَأَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِوِلَايَتِكَ صَلَّيَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ^(٢).
أُقَدِّمُ هَذِهِ الْوَرِيقَاتِ إِلَى مَقَامِ مَوْلَانَا وَإِمَامِنَا ثَامِنِ الْأُئِمَّةِ وَضَامِنِ
الْجَنَّةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي أُلْهِمَنِي هَذَا الْجُهِدَ
الْمُبَارَكَ ... فَتَقَبَّلْهَا ... يَا سَيِّدِي ... مِنِّي هَدِيَّةً

(١) القمي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان، ص ٦٠٧.

(٢) القمي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان، ص ٦٠٧-٦٠٨.

المقدمة

سُبْحان من لا يموت... سُبْحان من لا يزول مُلكه... سُبْحان من لا تُخفى عليه خافية... سُبْحان من لا تسقط ورقة إلا يعلمها... ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس في كتابٍ مُبين إلا بعلمه وبقدرته فسبحانه سُبْحانه سُبْحانه سُبْحانه سُبْحانه سُبْحانه ما أعظم شأنه وأجلّ سلطانه اللهم صلّ على محمد وآله.^(١)

اللهم صلّ على من قال هذه التسيّحات؛ البشير النذير والسراج المنير محمد بن عبدالله وصلّ على أهل بيته الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعداء الدين.

الحمد لله على ما وفق، فهنا نحن نشرع معك أخي القارئ في الجزء الثاني من كتاب (موسوعة التسيّح في مدرسة الثقلين) وقد تضمن خمسة عشرة آية وكما أشرنا في مقدمة الجزء الأول من الموسوعة عن آية بحثها وكونها ليست تحت مظلة التفسير وإنما تم بحثها بوضع بصمة خاصة تحت كُل آية تتلاءم كل بصمة بجانب مُختار من جوانب الآية

(١) إقبال الأعمال، ص ٤٧٦.

١٢.....موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

يتبعها تفسير أشهر كُتب التفسير التي تم التعرض سلفاً لأسمائها،
أسأل الله العون والتوفيق والسداد، وقد تمّ بحث المواضيع التالية في
هذا الجزء كما يلي:

١- أهل البيت عليهم السلام هم أهل التسبيح والعبادة.

٢- عالم الطير.

٣- فائدتان حول لفظ الجلالة.

٤- حول اسم من أسماء الله الحسنى «القدوس».

٥- مالكية الله.

٦- ديمومة التسبيح لله الحي القيوم.

٧- عظمة الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله.

٨- مساوئ البخل.

٩- دوام الذكر والتسبيح.

١٠- وظائف الملائكة.

١١- معنى العرش.

١٢- أقسام الكبر.

١٣- الوحي وأقسامه.

إهداء..... ١٣

١٤ - الليل.

١٥ - الشمس.

والحمد لله على التوفيق وأسأل الله العلي القدير ببركة محمد وآل
محمد إتمام هذه الموسوعة.

يوسف إبراهيم الخضير

الأحساء - التويثير

١٤٤٥/٩/٢٣هـ

آيات التسبيح التي يتضمنها الجزء الثاني

يتضمن هذا الجزء الآيات التالية:

ثالثاً: تنمة الآيات التي ورد فيها لفظ (يُسَبِّحُ)

الآية الثامنة عشرة: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦]

الآية التاسعة عشرة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٌ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١]

الآية العشرون: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤]

الآية الحادية والعشرون: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١]

١٦ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ٢

الآية الثانية والعشرون: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١]

رابعاً: الآية التي ورد فيها لفظ (تُسَبِّحُ)

وهي آية مكررة "تتضمن على عدة من ألفاظ التسييح "

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]

خامساً: الآية التي ورد فيها لفظ (تُسَبِّحُوهُ)

الآية الثالثة والعشرون: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩]

سادساً: الآية التي ورد فيها لفظ (تُسَبِّحُونَ)

الآية الرابعة والعشرون: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]

سابعاً: الآيات التي ورد فيها لفظ (يُسَبِّحُونَ)

الآية الخامسة والعشرون: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]

الآية السادسة والعشرون: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَاقِقِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

آيات التسبيح التي يتضمنها الجزء الثاني.....١٧

الْعَلَمِينَ ﴿[الزمر: ٧٥]

الآية السابعة والعشرون: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]

الآية الثامنة والعشرون: ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨]

الآية التاسعة والعشرون: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥]

ثامناً: الآيتان اللتان وردَ فيها لفظ (يُسَبِّحُونَ)

الآية الثلاثون: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]

الآية الحادية والثلاثون: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]

الآية الثامنة عشر

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦]

أهل البيت عليهم السلام هم أهل التسبيح والعبادة

فيها عدة مطالب نفيسة فيما يرتبط بأهل البيت عليهم السلام، وكذلك الآية التي قبلها ﴿*اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥] وعوداً على هذه الآية الشريفة ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦].

قُدسية هذا البيت الذي أمر الله بعمارته لما له من خصوصيات

كثيرة من الأصفاء والطهارة والعصمة والعلم اللدني من قبل الله ﷻ وخصائص ومناقب بما لا تحصى، ولهم محور الفضائل ومركز الهداية وهم أطوع الناس لله ﷻ وأعبدتهم وأزهدهم، ومما يدل على ذلك ما صدر عنهم من أدعية في مختلف التضمرعات والابتهاالات الكثرية الوفيرة التي تفوق حد الإحصاء من أذكاء وكتب للأدعية الحافلة: كالصحيفة السجادية والصحيفة العلوية والصحيفة الفاطمية، ولمن تأمل فيها ولما صدر عن الرسول ﷺ وأهل البيت ﷺ يعرف ذلك تمامًا وهذه تعبئة روحية وتعمق للإيمان وإعداد للنفس من تهذيب وتربية وعلم ومعرفة، تُسلط الأضواء على صور عباداتهم ﷺ ونقل بعض من تسبيحاتهم العظيمة المنزهة لله عما لا يليق بسماحة قدسه وجلالة عظمتة، ذلك تراث ضخم لا يصدر إلا منهم لأنهم أهل بيت النبوة والإمامة المختارة من الله ومن كان بالله أعرف كان منه أخوف، فهذا ما يدل على قربهم من الله ﷻ وأحقيتهم دون غيرهم وإليكم تلك الصور العبادية التي أخذت اسمًا ووصفًا لهم حتى صاروا يعرفون بها دون غيرهم فيما أخبر الله في القرآن في سورة طه وسورة المزمل والإنسان وغيرها، والتسبيحات التي سوف نوردها عنهم سلام الله عليهم الواردة بمُستحبات التسبيح لكل يوم من أيام الشهر.

صور من عبادة وتسبيح أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم

أولاً: صور من عبادة الرسول الأعظم ﷺ

عن بكر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب دخل على النبي ﷺ وهو موقود - أو قال محموم - فقال له عمر: يا رسول الله ما أشدّ وعكك [أو حماك!] فقال: ما منعني ذلك أن قرأت الليلة ثلاثين سورة فيهن السبع الطوال. فقال عمر: يا رسول الله غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وأنت تجتهد هذا الاجتهاد. فقال: يا عمر أفلا أكون عبداً شكوراً^(١) (٢).

هذا مع تهجده المفروض عليه في كل ليلة، وقد تعبّد لربه حتى انتفخ الساق وورم القدم، فأنزل الله سبحانه: ﴿طه ١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿طه: ٢-١﴾ [٣].

نسبيّ الرسول الأعظم ﷺ

تَسْبِيحُ [النبي] مُحَمَّدٍ ﷺ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ رِضَاهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ كَلِمَاتِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ زِينَةَ عَرْشِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ سَمَاوَاتِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ أَرْضِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِثْلَ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِثْلَ

(١) الأماي للشيخ الطوسي ص ٤٠٣.

(٢) مقدمة في أصول الدين ويليه منهاج الصالحين، ص ٢٢٠، ج ١، الشيخ الوحيد الخراساني.

(٣) مقدمة في أصول الدين ويليه منهاج الصالحين، ص ٢٢١، ج ١، الشيخ الوحيد الخراساني.

ذَلِكَ^(١).

ثانياً: صور من عبادة أمير المؤمنين عليه السلام

كَانَ عليه السلام أَعْبَدَ أَهْلَ زَمَانِهِ، وَقَدْ دَخَلَ ضَرَارُ بْنُ ضَمْرَةَ الْكِنَانِي عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ لَهُ: صِفْ لِي عَلِيًّا، فَقَالَ: أَوْ تَعْفِينِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: لَا أَغْفِيكَ، قَالَ: أَمَّا إِذَا لَا بَدَّ، فَإِنَّهُ كَانَ بَعِيدَ الْمَدَى، شَدِيدَ الْقُوَى، يَقُولُ فَصْلًا، وَيَحْكُمُ عَدْلًا، يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا، وَيَسْتَأْنَسُ بِاللَّيْلِ وَظُلُمَتِهِ، كَانَ وَاللَّهِ غَزِيرَ الْعِبَرَةِ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ، يَقْلُبُ كَفَّهُ، وَيَخَاطِبُ نَفْسَهُ، يَعْجِبُهُ مِنَ الْبِلَاسِ مَا قَصَرَ، وَمِنَ الطَّعَامِ مَا جَشَبَ، كَانَ وَاللَّهِ كَأَحَدِنَا، يَدْنِينَا إِذَا أَتَيْنَاهُ، وَيَجْبِينَا إِذَا سَأَلْنَاهُ، وَكَانَ مَعَ تَقَرُّبِهِ إِلَيْنَا وَتَقَرُّبِهِ مِنَّا لَا نَكْلِمُهُ هَيْبَةً لَهُ، فَإِنْ تَبَسَّمَ فَعَنَ اللَّوْلُؤُ الْمُنْظُومَ، يَعْظُمُ أَهْلُ الدِّينِ، وَيَجِبُ الْمَسَاكِينُ، لَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي بَاطِلِهِ، وَلَا يِيَأْسُ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ^(٢).

فَأَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ، وَقَدْ أَرَخَى اللَّيْلُ سَدُولَهُ، وَغَارَتْ نَجُومُهُ، يَمِيلُ فِي مَحْرَابِهِ قَابِضًا عَلَى لَحِيَّتِهِ، يَتَمَلَّمُ تَمَلَّمِ السَّلِيمِ، وَيَبْكِي بِكَاءِ الْحَزِينِ، فَكَأَنِّي أَسْمَعُهُ الْآنَ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَبَّنَا، يَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لِلدُّنْيَا: إِلَيَّ تَغَرَّرْتَ، إِلَيَّ تَشَوَّقَتْ؟! هَيْهَاتَ! هَيْهَاتَ! غَرِّي غَيْرِي، قَدْ أَبْنَتَكَ ثَلَاثًا، فَعَمْرُكَ قَصِيرٌ، وَمَجْلِسُكَ حَقِيرٌ،

(١) سلوة الحزين: ص ٩٠-٩٤.

(٢) مقدمة في أصول الدين ويليه منهاج الصالحين، ص ٢٥٨، ج ١، الشيخ الوحيد الخراساني.

وخطر كيسير، آه آه! من قلة الزاد وبُعد السفر ووحشة الطريق^(١).

فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكممه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: كذا كان أبو الحسن عليه السلام^(٢).

ودخل أبو جعفر عليه السلام على أبيه عليه السلام، فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغ أحد، وقد أصفر لونه من السهر، ورمضت عيناه من البكاء، ودبرت جبهته وانخرم أنفه من السجود، وورم ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة، قال أبو جعفر عليه السلام: فلم أملك حين رأيته بتلك الحال البكاء، فبكيت رحمة له، وإذا هو يفكر، فالتفت إليّ بعد هنيئة بعد دخولي، وقال: يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب، فأعطيته فقرأ منها شيئاً يسيراً، ثم تركها من يده تضجراً، وقال: من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب؟!^(٣).

نسيح أمير المؤمنين عليه السلام

تَسْبِيحُ [الامام] عَلِيِّ عليه السلام فِي الْيَوْمِ الثَّانِي:

سُبْحَانَ مَنْ تَعَالَى جَدُّهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ سُبْحَانَ مَنْ هُوَ إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ يَدُومُ بَقَاؤُهُ سُبْحَانَ مَنْ اسْتَنَارَ بِنُورِ حِجَابِهِ دُونَ سَمَائِهِ سُبْحَانَ مَنْ قَامَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ بِلاَ عَمَدٍ سُبْحَانَ مَنْ تَعَظَّمَ بِالْكِبَرِيَاءِ وَالنُّورِ سَنَاؤُهُ

(١) مقدمة في أصول الدين ويليهما منهاج الصالحين، ص ٢٥٨، ج ١، الشيخ الوحيد الخراساني.

(٢) مقدمة في أصول الدين ويليهما منهاج الصالحين، ص ٢٥٨، ج ١، الشيخ الوحيد الخراساني.

(٣) مقدمة في أصول الدين ويليهما منهاج الصالحين، ص ٢٥٩، ج ١، الشيخ الوحيد الخراساني.

سُبْحَانَ مَنْ تَوَحَّدَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ فَلَا إِلَهَ سِوَاهُ سُبْحَانَ مَنْ لَبَسَ الْبَهَاءَ
وَالْفَخْرَ رِدَاؤُهُ سُبْحَانَ مَنْ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ^(١).

ثالثاً: صور من عبادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام

عن الحسن بن علي عليه السلام قال: رأيت أُمِّي فاطمة الزهراء عليها السلام
قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راکعة ساجدة حتى اتضح عمود
الصباح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر
الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أُمَاه، لم لا تدعين
لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني، الجار ثم الدار^(٢).

وفي حديث: فسأل النبي صلى الله عليه وآله، علياً كيف وجدت أهلك؟ قال:
نعم العون على طاعة الله. وسأل فاطمة، فقالت: خير بعل^(٣).

الحسن البصري: ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة، كانت تقوم
حتى تورم قدمها^(٤).

وفي حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وآله: وأما ابنتي فاطمة عليها السلام فإنها
سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهن نور عيني، وهي ثمرة
فؤادي، وهي رُوحِي التي بين جنبي، وهي الحوراء الإنسية، متى

(١) سلوة الحزين: ص ٩٠-٩٤.

(٢) السيدة فاطمة الزهراء من الميلاد حتى الاستشهاد، ص ٣٠٢، العلامة السيد جواد الصافي الموسوي.

(٣) السيدة فاطمة الزهراء من الميلاد حتى الاستشهاد، ص ٣٠٢، العلامة السيد جواد الصافي الموسوي.

(٤) السيدة فاطمة الزهراء من الميلاد حتى الاستشهاد، ص ٣٠٢، العلامة السيد جواد الصافي الموسوي.

قامت في محرابها بين يدي ربها جلّ جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزّ وجلّ لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمائي قائمة بين يديّ، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أني قد آمنت شيعتها من النار^(١).

نسيحة فاطمة الزهراء عليها السلام

تَسْبِيحُ [السيدة] فَاطِمَةَ عليها السلام فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنَ الشَّهْرِ:

سُبْحَانَ مَنْ اسْتَنَارَ بِالْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ سُبْحَانَ مَنْ اخْتَجَبَ فِي سَبْعِ سَمَاوَاتٍ فَلَا عَيْنُ تَرَاهُ سُبْحَانَ مَنْ أَذَلَ الْخَلَائِقَ بِالْمَوْتِ وَأَعَزَّ نَفْسَهُ بِالْحَيَاةِ سُبْحَانَ مَنْ يَبْقَى وَيَفْنَى كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ سُبْحَانَ مَنْ اسْتَخْلَصَ الْحَمْدَ لِنَفْسِهِ وَارْتَضَاهُ سُبْحَانَ الْحَيِّ الْعَلِيمِ سُبْحَانَ الْحَلِيمِ الْكَرِيمِ سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ سُبْحَانَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ^(٢).

رابعاً: صور من عبادة الإمام الحسن عليه السلام

كَانَ عليه السلام إِذَا تَوَضَّأَ ارْتَعَدَتْ مَفَاصِلُهُ وَاصْفَرَّ لَوْنُهُ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ: فَقَالَ: حَقٌّ عَلَى كُلِّ مَنْ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ الْعَرْشِ أَنْ يَصْفَرَ

(١) السيدة فاطمة الزهراء من الميلاد حتى الاستشهاد، ص ٣٠٢-٣٠٣، العلامة السيد جواد الصافي الموسوي.

(٢) سلوة الحزين: ص ٩٠-٩٤.

لونه، وترتعد مفاصله^(١).

وعن علي بن زيد بن جذعان، قال: (خرج الحسن بن علي من ماله مرتين، وقاسم الله ثلاث مرّات)^(٢).

وعن الصادق عليه السلام قال: حدثني أبي عن أبيه عليه السلام أنّ الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام كان أعبد الناس في زمانه، وأزهدهم وأفضلهم، وكان إذا حجّ حجّ ماشياً، وربما مشى حافياً، وكان إذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث والنشور بكى، وإذا ذكر العرض على الله تعالى ذكره شهق شهقة يغشى عليه منها، وإذا قام في صلاته ترتعد فرائضه بين يدي ربّه عزّ وجلّ، وكان إذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم، وسأل الله تعالى الجنة، وتعوذ به من النار، وكان عليه السلام لا يقرأ كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلا قال: ليك اللهم ليك، ولم ير في شيء من أحواله إلا ذكراً لله سبحانه، وكان أصدق الناس لهجة وأفصحهم منطقاً^(٣).

نسيب الإمام الحسن عليه السلام

تَسْبِيحُ [الامام] الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ مِنَ الشَّهْرِ:
سُبْحَانَ مَنْ هُوَ مُطَّلَعٌ عَلَى خَوَازِنِ الْقُلُوبِ سُبْحَانَ مَنْ هُوَ مُحْصِي

(١) مقدمة في أصول الدين ويليه منهاج الصالحين، ص ٣١٣، ج ١، الشيخ الوحيد الخراساني.

(٢) مقدمة في أصول الدين ويليه منهاج الصالحين، ص ٣١٣، ج ١، الشيخ الوحيد الخراساني.

(٣) مقدمة في أصول الدين ويليه منهاج الصالحين، ص ٣١٣-٣١٤، ج ١، الشيخ الوحيد الخراساني.

عَدَدِ الذُّنُوبِ سُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
سُبْحَانَ الْمُطَّلِعِ عَلَى السَّرَائِرِ عَالِمِ الْخَفِيَّاتِ سُبْحَانَ مَنْ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ
مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ سُبْحَانَ مَنْ السَّرَائِرُ عِنْدَهُ عَلَانِيَةٌ
وَالْبَوَاطِنُ عِنْدَهُ ظَوَاهِرُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ^(١).

خامساً: صور من عبادة الإمام الحسين عليه السلام

إن العبادة لأهل بيت النبوة ﷺ، هي وجود وحياء، فقد كانت
لذتهم في مناجاتهم لله تعالى، وكانت عبادتهم له متصلة في الليل
والنهار وفي السر والعلن، والإمام الحسن عليه السلام وهو أحد أعمدة هذا
البيت الطاهر - كان يقوم بين يدي الجبار مقام العارف المتيقن والعالم
العابد، فإذا تواضاً تغير لونه وارتعدت مفاصله، فقليل له في ذلك فقال
عليه السلام: (حق لمن وقف بين يدي الجبار أن يصفر لونه وترتعد
مفاصله)^(٢).

وحرص عليه السلام على أداء الصلاة في أخرج المواقف، حتى وقف
يؤدي صلاة الظهر في قمة الملحمة في اليوم العاشر من المحرم،
وجيوش الضلالة تحيط به من كل جانب وترميه من كل صوب^(٣).

وكان عليه السلام يخرج متذللاً لله ساعياً إلى بيته الحرام يؤدي مناسك

(١) سلوة الحزين: ص ٩٠-٩٤.

(٢) أعلام الهداية الإمام الحسين "سيد الشهداء"، تصحيح ابن عاشور، ص ٤٦-٤٧.

(٣) أعلام الهداية الإمام الحسين "سيد الشهداء"، تصحيح ابن عاشور، ص ٤٧.

الحج بخشوع وتواضع، حتى حج خميساً وعشرين حجة ماشياً على قدميه^(١).

نسب الإمام الحسين عليه السلام

تَسْبِيحُ [الامام] الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ مِنَ الشَّهْرِ:
 سُبْحَانَ الرَّفِيعِ الْأَعْلَى سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ سُبْحَانَ مَنْ هُوَ
 هَكَذَا وَلَا يَكُونُ هَكَذَا غَيْرُهُ وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ قُدْرَتَهُ سُبْحَانَ مَنْ أَوَّلُهُ عِلْمٌ
 لَا يُوصَفُ وَآخِرُهُ عِلْمٌ لَا يَبِيدُ سُبْحَانَ مَنْ عَلَا فَوْقَ الْبَرِّيَّاتِ بِالْإِلَهِيَّةِ
 فَلَا عَيْنٌ تَدْرِكُهُ وَلَا عَقْلٌ يُمَثِّلُهُ وَلَا وَهْمٌ يُصَوِّرُهُ وَلَا لِسَانٌ يَصِفُهُ بِغَايَةِ
 مَالِهِ مِنَ الْوَصْفِ سُبْحَانَ مَنْ عَلَا فِي الْهَوَاءِ سُبْحَانَ مَنْ قَضَى الْمَوْتَ عَلَى
 الْعِبَادِ سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْمُقْتَدِرِ سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ سُبْحَانَ الْبَاقِي
 الدَّائِمِ^(٢).

كذلك من التسبيحات الماثورة عن الحسين ابن علي عليه السلام، قوله:
 «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» وعقب هذا التهليل
 بقوله عليه السلام: «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من المستغفرين، لا إله
 إلا أنت سبحانك إني كنت من الموحدين، لا إله إلا أنت سبحانك إني
 كنت من الخائفين، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الوجلين، لا
 إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الراجين، لا إله إلا أنت سبحانك

(١) أعلام الهداية الامام الحسين "سيد الشهداء"، تصحيح ابن عاشور، ص ٤٧.

(٢) سلوة الحزين: ص ٩٠-٩٤.

إِنِّي كُنتُ مِنَ الرَّاعِبِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الْمُهْلِكِينَ،
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ السَّائِلِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ
إِنِّي كُنتُ مِنَ الْكَبِيرِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ رَبِّي وَرَبَّ آبَائِي
الْأُولَى»^(١).

وافتح هذه التهليلات بـ«لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ
الظالمين» بيان لما هو من نفسه، واختتمها بـ«لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ رَبِّي وَرَبَّ
آبَائِي الْأُولَى» بيان لما هو من ربه، من التربية التكوينية والتشريعية له
ولآبائه، وأما استغفاره ﷺ فهو من حسنات الأبرار التي هي سيئات
المقربين^(٢).

فبعد استيضاح صوراً من عبادات المسبحين الحقيقيين إليكم
تفسير الآية من قبل علماء التفسير

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٥)

قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ الإذن في
الشيء هو إعلام ارتفاع المانع عن فعله، والمراد بالرفع رفع القدر
والمنزلة وهو التعظيم، وإذ كانت العظمة والعلو لله تعالى لا يشاركه في
ذلك غيره إلا أن ينتسب إليه، وبمقدار ما ينتسب إليه فالإذن منه تعالى
في أن ترفع هذه البيوت إنما هو لانتساب ما منها إليه.

(١) مقدمة في أصول الدين ويليها منهج الصالحين، ص ٣٥٨، ج ١، الشيخ الوحيد الخراساني.

(٢) مقدمة في أصول الدين ويليها منهج الصالحين، ص ٣٥٩، ج ١، الشيخ الوحيد الخراساني.

٣٠.....موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ٢

وبذلك يظهر أن السبب لرفعها هو ما عطف عليه من ذكر اسمه فيها، والسياق يدل على الاستمرار أو التهيؤ له فيعود المعنى إلى مثل قولنا: «أن يذكر فيها اسمه فيرتفع قدرها بذلك».

وقوله: ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ متعلق بقوله في الآية السابقة: ﴿كَمِشْكُوتٍ﴾ أو قوله:

﴿يَهْدِي اللَّهُ﴾ إلخ، والمال واحد، ومن المتيقن من هذه البيوت المساجد فإنها معدة لذكر اسمه فيها محضه لذلك، وقد قال تعالى: ﴿وَمَسْجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾: [الحج: ٤٠].

قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (٣٦) رجالاً إلى آخر الآية. تسيحه تعالى تنزيهه عن كل ما لا يليق بساحة قدسه، والغدو جمع غداة وهو الصبح والآصال جمع أصيل وهو العصر، والإلهاء صرف الإنسان عما يعنيه ويهمه، والتجارة على ما قاله الراغب: التصرف في رأس المال طلباً للربح. قال: وليس في كلامهم تاء بعدها جيم غير هذا اللفظ.

والبيع على ما قال: إعطاء المثلث وأخذ الثمن، وقلب الشيء على ما ذكره صرف الشيء من وجه إلى وجه، والتقليب مبالغة فيه والتقلب قبوله فتقلب القلوب والأبصار تحول منها من وجه من الإدراك إلى وجه آخر.

وقوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ صفة لبيوت أو استئناف لبيان قوله:

﴿وَيُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُهُ﴾، وكون التسبيح بالغدو والآصال كناية عن استمرارهم فيه لا أن التسبيح مقصور في الوقتين لا يسبح له في غيرهما. والاكتفاء بالتسبيح من غير ذكر التحميد معه لأنه تعالى معلوم بجميع صفاته الكمالية لا سترة عليه إذ المفروض أنه نور والنور هو الظاهر بذاته المظهر لغيره وإنما يحتاج خلوص المعرفة إلى نفي النقائص عنه وتنزيهه عما لا يليق به فإذا تم التسبيح لم يبق معه غيره وتمت المعرفة ثم إذا تمت المعرفة وقع الثناء والحمد وبالجملة التوصيف بصفات الكمال موقعه بعد حصول المعرفة كما قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [١٥٩] إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١﴾ [الصافات: ١٦٠]، فنزهه عما يصفونه به إلا ما وصفه به من أخلصهم لنفسه من عباده، وقد تقدم في تفسير سورة الحمد كلام في معنى حمده تعالى.

وبيان آخر حمده تعالى وهو ثناؤه بصفة الكمال مساوي لحصول نور المعرفة وتسبيحه وهو التنزيه بنفي ما لا يليق به عنه مقدمة لحصوله، والآية في مقام بيان خصائصهم التي تستدعي هدايتهم إلى نوره فلا جرم اقتصر فيها بذكر ما هي المقدمة وهو التسبيح، فافهم ذلك.

بحث روائي

وفيه، أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة قالاً: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ﴾ فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: بيوت الأنبياء. فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها لبيت علي وفاطمة؟ قال: نعم من أفاضلها..:

أقول: ورواه في المجمع، عنه ﷺ مرسلًا، وروى هذا المعنى القمي في تفسيره بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام ولفظه: قال: هي بيوت الأنبياء وبيت علي عليه السلام منها.

وهو على أي حال من قبيل ذكر بعض المصاديق على ما تقدم.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور

إشارات

- نقرأ في الزيارة الجامعة الخطاب الموجه إلى الأئمة المعصومين عليه السلام: «جعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع...»، وبناءً على هذا فإن حُرْم الأئمة المعصومين عليه السلام من الأماكن التي تصدق عليها هذه الآية.

- كلمة «ترفع» يمكن أن تكون في هذه الآية بمعنى الارتفاع المكاني أيضاً، وهو ما نجد نظيراً له في الآية ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ

مَنْ أَلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴿[البقرة: الآية ١٢٧] التي تعني أَنَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رفع قواعد الكعبة.

- وعن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ إنَّ المراد من قوله تعالى ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ هو بيوتات الأنبياء وأئمة الهدى، و"بيت عليٍّ منها".

ويروي «الثعلبي» في تفسيره أَنَّ رسول الله ﷺ قرأ^(١): ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ فقال: "بيوت الأنبياء"، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها؟ وأشار إلى بيت علي وفاطمة عليهما السلام، قال: "نعم من أفاضلها"^(٢).

- وعن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ إنَّ المراد من قوله تعالى ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ هو أوقات الصلاة^(٣).

- وقد وردت كلمة «تسبيح» في مواضع عديدة من المعجم القرآني بدلاً من كلمة ﴿صَلَاةٌ﴾، كقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ [١٧] عمران: الآية ٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٦٠٧.

(٢) الألويسي، روح المعاني، ج ١٣، ص ٤٤٩.

(٣) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٣٢٦.

الْغُرُوبِ ﴿[ق: الآية ٣٩].

النعاليم

- ١ - يتحقق الوصول إلى نور هداية الله بالتردد على المساجد، ﴿*اللَّهُ نُورٌ.. يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ... فِي بُيُوتٍ﴾.
- ٢ - الأماكن ليست جميعها مستوية، وبعضها يعلو فوق البعض الآخر، ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ﴾.
- ٣ - قيمة ومكانة المساجد أفضل وأرفع من البيوت الأخرى، ﴿أَنْ تُرْفَعَ﴾.
- ٤ - الكبرياء والعظمة لله تعالى، ويأذن بها في المواضع التي يريد، ﴿أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ﴾.
- ٥ - الأصل في الاستفادة من المساجد هو الصلاة وذكر الله، من دون إحياء المراسم الأخرى، ﴿يُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُهُ﴾.
- ٦ - يجب أن تُفتح أبواب المساجد في أوقات الصلاة، وليس لأحد الحق في أن يغلق أبوابها، ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾.
- ٧ - يجب أن يتكرر تسبيح الله كل صباح ومساءً، ﴿يُسَبِّحُ... بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾، (عنصر الزمان والمكان مؤثران في العبادة).

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ١١)

وقد شاهدنا حتى الآن خصائص هذا النور الإلهي، نور الهداية والإيمان من خلال تشبيهه بمصباح قويّ الإضاءة.

ويجب أن نعرف الآن أين موضع هذا المصباح، وشكل موضعه؟ ليتّضح لنا ما كان ضرورياً إيضاحه في هذا المجال. لهذا تقول الآية التالية: إِنَّ هَذِهِ الْمَشْكَاةَ تَقَعُ ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ لكي تكون في مأمن من الشياطين والأعداء والانتهازيين ﴿وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ ويتلى فيها القرآن والحقائق الإلهية.

وقد اعتبر العديد من المفسرين هذه الآية مرتبطة كما قلنا بالآية التي سبقتها^(١). غير أن البعض من المفسرين يرى أن هذه الجملة ترتبط بالجملة التي تليها، إلا أن ذلك بعيد عن الصواب.

أمّا ما أورده البعض وتساءل عن مدى تأثير هذا النور الباهر في البيوت المذكورة بتلك الخصوصيات، فجوابه واضح، لأنّ البيوت التي ورد ذكرها في هذه الآية والتي يحرسها رجال أشداء ييقظون، هم

(١) هكذا يكون تقدير الآية «هذه المشكاة في بيوت... أو هذا المصباح في بيوت... هذه الشجرة في بيوت... نور الله في بيوت» في الوقت الذي يرى أصحاب التفسير الثاني أنّ عبارة «في بيوت» تعود إلى كلمة «يسبح» ليكون معنى الآية ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ أي في الصباح والمساء. إلا أن هذا التفسير لا ينسجم مع وجود كلمة «فيها» لأنّه يعد تكراراً لا داعي له، إضافة إلى عدم انسجامها مع الأحاديث الواردة بهذا الصدد (فتأملوا جيداً) ..

الذين يحفظون هذه المصاييح المنيرة، إضافة إلى أن هؤلاء الرجال يبحثون عن مصدر نور، فيهرعون إليه بعد أن يتعرفون على موضع هذا النور.

ولكن ما المقصود من هذه البيوت؟

الجواب يتضح بما ذكرته آخر الآية من خصائص حيث تقول: أنه في هذه البيوت يسبح أهلها صباحا ومساء: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^(١).

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ إن هذه الخصائص تكشف عن أن هذه البيوت هي المراكز التي حصنت بأمر من الله، وأنها مركز لذكر الله ولييان حقيقة الإسلام وتعاليم الله، ويضم هذا المعني الواسع المساجد وبيوت الأنبياء والأولياء خاصة بيت النبي ﷺ وبيت عليّ عليه السلام. ولا دليل يؤيد حصرها من قبل بعض المفسرين - بالمساجد أو بيوت الأنبياء وأمثالها.

وفي الحديث المروي عن الإمام الباقر عليه السلام «هي بيوت الأنبياء

(١) «الغدو» على وزن «علو» بمعنى الصبح، ويقول الراغب الأصفهاني: الغدوة والغداة من أول النهار، وقول في القرآن بالآصال، نحو قوله ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ وقول الغداة بالعشي. و«الآصال» جمع «الأصل» على وزن «رسل» وهو بدوره جمع للأصيل بمعنى العصر، والسبب في ذكر الغدو مفردة والآصال جمعا؟ يقول فخر الرازي، لأن الغدو ذات بعد مصدري ولا يجمع المصدر.

وبيت عليّ منها»^(١).

وفي حديث آخر حيث سئل النبي ﷺ لما قرأ الآية، أي بيوت هذه؟ فقال:

«بيوت الأنبياء» فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله، هذا البيت منها، يعني بيت عليّ وفاطمة. قال: «نعم، من أفاضلها»^(٢).

وكل ذلك إشارة إلى مصاديق واضحة تذكرها الأحاديث كعادتها حين تفسير القرآن.

أجل، إنّ كلّ مركز يقام بأمر من الله، ويذكر فيه اسمه ويسبح له فيها بالغدو والآصال، وفيه رجال لا تلهيهم تجارة عن ذكر الله، فهي مواضع لمشكاة الأنوار الإلهية والإيمان والهداية.

ولهذه البيوت عدّة خصائص:

أولها: أنّها شيّدت بأمر من الله.

والأخرى: إنّ جدرانها رفعت وأحكم بناؤها لتمنع تسلل الشياطين.

وثالثها: أنّها مركز لذكر الله.

(١) تفسير نور الثقلين، المجلد الثالث، ص ٦٠٧.

(٢) تفسير مجمع البيان للآية موضع البحث.

وأخيرا: فإنَّ فيها رجالا يجرسونها ليل نهار، وهم يسبحون الله، ولا تلهيهم الجواذب الدنيوية عن ذكر الله.

هذه البيوت بهذه الخصائص، مصادر للهداية والإيمان.

ولا بدّ من التنبيه إلى ورود كلمتين في هذه الآية هما ﴿التَّجَرَّةُ﴾ و﴿الْبَيْعُ﴾ وهما كلمتان تبدوان وكأنَّ لهما معنى واحدا، إلّا أنَّ الفرق بينهما هو أنَّ التجارة عمل مستمر، والبيع ينجز مرة واحدة، وقد تكون عابرة.

ويجب الالتفات إلى أنَّ الآية لم تقل: أنَّ هؤلاء لا يمارسون أبدا التجارة والبيع بل قالت: إنَّهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

إنَّهم يخافون يوم القيامة والعدل الإلهي الذي تتقلب فيه القلوب والأبصار من الخوف والوحشة (ويجب الانتباه إلى أنَّ الفعل المضارع، ﴿يَخَافُونَ﴾ يدلُّ على الاستمرار في الخوف، وهذا الخوف هو الذي دفعهم إلى تحمل مسؤولياتهم، ولبلوغ رسالتهم في الحياة).

وأشارت آخر هذه الآيات إلى الجزاء الوافي لحراس نور الهداية وعشاق الحق والحقيقة، فقالت: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾، ولا عجب في ذلك، لأنَّ الفضل الإلهي لمن كان جديراً به غير محدود: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وقال بعض المفسرين عما تعنيه عبارة أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا في هذه

الآية الثامنة عشر ٣٩

الآية، أنّها إشارة إلى جميع الأعمال الطيبة، سواء كانت واجبة أم مستحبة، صغيرة أم كبيرة.

ويرى آخرون أنّها إشارة إلى أنّ الله يكافئ الحسنة بعشر أمثالها، وأحيانا بسبعمئة مثلها، حيث نقرأ في الآية (١٦٠) من سورة الأنعام: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا^ط﴾.

كما جاء في الآية (٢٦١) من سورة البقرة حول جزاء المنفقين في سبيل الله أنّ المكافأة تعادل سبعمئة مرة أو ضعفها.

كما يمكن أن تفسّر العبارة السابقة بأنّ المقصود هو أنّ الله يكافئ جميع أعمالهم بموجب أفضلها، ويشمل ذلك أبسط أعمالهم وأوسطها، حيث يجعلها الله بمستوى أفضل الأعمال حين منحه المكافأة.

وليس هذا بعيدا عن رحمة الله وفضله، والعدالة تقضي بمساواة المكافأة مع العمل في سبيل الله، إلّا أنّ رحمة الله وسعت كلّ شيء، فهو يهب دون حساب ولا حدود، فذاته المقدسة غير محدودة، وأنعمه لا تنتهي، وكرمه عظيم لا حدود له.

ملاحظات

بيّنا كثيرا من مسائل هذه الآيات خلال تفسيرنا لها، وبقيت عدّة أحاديث يقتضي الأمر ذكرها بغية إتمام هذا البحث.

١ - نقرأ في كتاب روضة الكافي حديثا عن الإمام الصادق عليه السلام في

٤٠.....موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ٢

تفسير آية النور: «إن المشكاة قلب محمد ﷺ والمصباح النور الذي فيه العلم، والزجاجة قلب علي ﷺ أو نفسه»^(١).

٢- وجاء حديث آخر عن الإمام الباقر ﷺ في توحيد الصدوق «إن المشكاة نور العلم في صدر النبي ﷺ والزجاجة صدر علي... ونور علي نور إمام مؤيد بنور العلم والحكمة في أثر الإمام من آل محمد ﷺ، وذلك من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة، فهؤلاء الأوصياء الذين جعلهم الله عز وجل - خلفاء في أرضه وحجج على خلقه، لا تملؤ الأرض في كل عصر من واحد منهم»^(٢).

٣- وفسر حديث آخر عن الإمام الصادق ﷺ المشكاة بفاطمة عليها السلام والمصباح بالحسن ﷺ والزجاجة بالحسين ﷺ^(٣).

وكما أشرنا سابقاً فإن للآيات مفهومًا واسعاً، وكل حديث من هذه الأحاديث بيان لمصداق بارز من مصاديقها دون الإخلال بعموميتها. وبهذا لا نجد تناقضاً في الأحاديث السابقة.

٤- نقرأ في حديث عن أبي جعفر الثمالي قال: قال أبو جعفر ﷺ الباقر لقتادة: من أنت؟ قال: أنا قتادة ابن دعامة البصري فقال له أبو

(١) نور الثقلين في تفسير الآيات موضع البحث (مع بعض التلخيص المجلد الثالث، صفحة ٦٠٢ و٦٠٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

جعفر عليه السلام: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال له الإمام الباقر عليه السلام: ويحك يا قتادة إن الله خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حججاً على خلقه، فهم أوتاد في أرضه قوام بأمره نجباء في علمه اصطفاهم قبل خلقه، أظلة عن يمين عرشه قال: فسكت قتادة طويلاً ثم قال:

أصلحك الله والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدّامهم، فما اضطرب قلبي قدّام واحد منهم ما اضطرب قدّامك.

فقال له الإمام الباقر عليه السلام: أتدري أين أنت؟ بين يدي: ﴿يُيُوتُ أَذْنَ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ ۝٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۖ فَأَنْتَ ثُمَّ وَنَحْنُ أَوْلَئِكَ.

فقال له قتادة: «صدقت والله جعلني الله فداك والله ما هي بيوت حجارة ولا طين...»^(١).

٥- وذكر حديث آخر حول رجال الله حماة الوحي والهداية: «هم التجار الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، إذا دخل مواقيت الصلاة أدوا إلى الله حقه فيها»^(٢).

إشارة إلى أنّ هؤلاء الرجال همّهم ذكر الله ولا يقدمون عليه شيئاً،

(١) المصدر السابق، ٦٠٩.

(٢) المصدر السابق.

رغم أنهم يمارسون نشاطا اقتصاديا في الحياة.

٦- وصفت شجرة الزيتون في الآيات السابقة بأنها شجرة مباركة.

وكان لهذه الشجرة أهمية بالغة حين نزول القرآن، وقد اتضح ذلك اليوم، لأن كبار العلماء أخبرونا بخلاصة تجاربهم ودراساتهم عن خواص أنواع النباتات، وحول شجرة الزيتون يقولون: إنها مباركة حقًا، وثمرها مفيد جدًا، ويمنحنا أجود الزيوت، ولها دور حيوي في سلامة الجسم.

يقول ابن عباس: إن أجزاء هذه الشجرة مفيدة ومريحة، وحتى رماد خشبها فيه منفعة، وهي أول شجرة نبتت بعد طوفان نوح ﷺ، وقد دعا لها الأنبياء وباركوها.

٧- ذكر المفسرون الكبار عدة تفاسير لعبارة «نور على نور» فقال المرحوم الطبرسي في مجمع البيان: إنها إشارة إلى أنبياء من نسل واحد يتعاقبون على النبوة ويواصلون طريق الهداية.

ويقول الفخر الرازي في تفسيره: إنها إشارة إلى تجمع شعاع النور وتراكمه، حيث ذكر حول المؤمن: «يقف المؤمن بين أربعة مواقف، فإذا وهبه الله شكره، وإذا أصابته مصيبة صبر وصمد، وإذا تكلم صدق، وإذا حكم بين اثنين عدل، وهو إنسان واع بين جهلة ومثله كحيي بين أموات. إنه يسير بين خمسة أنوار: كلامه نور، عمله نور،

إقامته نور، رحله نور، هدفه نور الله يوم القيامة».

ويمكن أن يكون النور الأوّل الذي ذكرته الآية إشارة إلى نور الهداية الإلهية عن طريق الوحي، والنور الثاني نور الهداية عن طريق العقل.

أو أنّ النور الأوّل هو نور الهداية التشريعية، والنور الثاني نور الهداية التكوينية فهو نور على نور.

وبهذا فسّرت هذه العبارة بمختلف مصادر النور، مرّة فسّرت بالأنبياء وأخرى بأنواع النور، ومرّة ثالثة بمراحل النور المختلفة، وهي ممكنة جميعاً في آن واحد، لأنّ مفهوم الآية واسع جداً (فتأملوا جيداً).

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

١ - الصادق عليه السلام: عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ فِي بُيُوتٍ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ قَالَ هِيَ بُيُوتُ النَّبِيِّ (١).

٢ - الكاظم عليه السلام: مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ فِي بُيُوتٍ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ قَالَ بُيُوتُ

(١) تفسير أهل البيت عليه السلام ج ١٠، ص ٢٦٠ - الكافي، ج ٨، ص ٣٣١ / بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٣٣٢ / نور الثقلين / البرهان.

مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ بُيُوتُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهَا (١).

٣- الباقر عليه السلام: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي بُيُوتٍ أذنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ قَالَ هِيَ بُيُوتُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَبَيْتُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهَا (٢).

٤- الرَّسُولُ ﷺ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ ... فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا الْبُيُوتُ؟ فَقَالَ بُيُوتُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَأَوَّماً بِيَدِهِ إِلَى مَنْزِلِ فَاطِمَةَ (٣).

٥- الكاظم عليه السلام: عَنْ عِيْسَى بْنِ دَاوُدَ قَالَ حَدَّثَنَا الْإِمَامُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فِي بُيُوتٍ أذنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ * رَجُلٌ قَالَ بُيُوتُ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْتُ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَحَمْزَةُ وَجَعْفَرٍ قُلْتُ ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ قَالَ الصَّلَاةُ فِي أَوْقَاتِهَا قَالَ ثُمَّ وَصَفَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ ﴿رَجُلٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾

(١) تفسير أهل البيت عليه السلام ج ١٠، ص ٢٦٠ - بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٣٢٥ / تأويل الآيات الظاهرة، ص ٣٥٩ / البرهان.

(٢) تفسير أهل البيت عليه السلام ج ١٠، ص ٢٦٠ - بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٣٢٧ / القمى، ج ٢، ص ١٠٣ / فرات الكوفى، ص ٢٨٢ / نور الثقلين / البرهان.

(٣) تفسير أهل البيت عليه السلام ج ١٠، ص ٢٦٠ - بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٣٢٦ / الفضائل، ص ١٠٣ / البرهان.

قَالَ هُمْ الرِّجَالُ لَمْ يَخْلُطِ اللَّهُ مَعَهُمْ غَيْرَهُمْ ثُمَّ قَالَ ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ قَالَ مَا اخْتَصَّ بِهِ مِنَ الْمُودَةِ وَالطَّاعَةِ الْمَفْرُوضَةِ وَصَيَّرَ مَا وَاهُمُ الْجَنَّةَ ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).

٦- الباقر عليه السلام: إِنَّمَا الْحُجَّةُ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ لِقَوْلِ اللَّهِ ﷻ «وَلَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» فَالْحُجَّةُ الْأَنْبِيَاءُ وَأَهْلُ بُيُوتَاتِ الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ لِأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ يَنْطِقُ بِذَلِكَ وَصِيَّةُ اللَّهِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ الَّتِي وَضَعَهَا عَلَى النَّاسِ فَقَالَ ﷻ «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ» وَهِيَ بُيُوتَاتُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَالْحُكَمَاءِ وَأَئِمَّةِ الْهُدَى^(٢).

٧- الصادق عليه السلام: إِنَّهُ مَنْ أَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا اهْتَدَى وَمَنْ أَخَذَ فِي غَيْرِهَا سَلَكَ طَرِيقَ الرَّدَى وَصَلَّ اللَّهُ طَاعَةً وَلِيَّ أَمْرِهِ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ ﷺ بِطَاعَتِهِ ﷺ فَمَنْ تَرَكَ طَاعَةَ وَلاَةِ الْأَمْرِ لَمْ يُطِيعِ اللَّهَ وَلَا رَسُولَهُ وَهُوَ الْإِفْرَارُ بِمَا نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَالْتَمِسُوا الْبُيُوتَ الَّتِي «أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ» فَإِنَّهُ قَدْ خَبَّرَكُمْ أَنَّهُمْ «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ

(١) تفسير أهل البيت عليه السلام ج ١٠، ص ٢٦٠ - بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٣٢٦ / تأويل الآيات الظاهرة، ص ٣٥٩؛ «بتفاوت» / البرهان.

(٢) تفسير أهل البيت عليه السلام ج ١٠، ص ٢٦٢ - الكافي، ج ٨، ص ١١٩ / نور الثقلين.

والأبصار»^(١).

٨- أمير المؤمنين عليه السلام: أَصْلُ الْإِيمَانِ الْعِلْمُ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ أَهْلًا نَدَبَ إِلَى طَاعَتِهِمْ وَمَسْأَلَتِهِمْ فَقَالَ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَقَالَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ وَأُتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَالْبُيُوتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ اللَّاتِي عَظَّمَ اللَّهُ بِنَاءَهَا بِقَوْلِهِ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ثُمَّ بَيَّنَّ مَعْنَاهَا لِكَيْلَا يَظُنَّ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ أَنَّهَا بُيُوتُ مَبْنِيَّةٌ فَقَالَ تَعَالَى «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» فَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ فِي هَذِهِ الْجِهَةِ أَدْرَكَهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَا مَدِينَةُ الْحِكْمَةِ وَعَلَى عليه السلام بِأَبِهَا فَمَنْ أَرَادَ الْحِكْمَةَ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَابِهَا وَكُلُّ هَذَا مَنْصُوصٌ فِي كِتَابِهِ تَعَالَى إِلَّا أَنْ لَهُ أَهْلًا يَعْلَمُونَ تَأْوِيلُهُ فَمَنْ عَدَلَ مِنْهُمْ إِلَى الَّذِينَ يَنْتَحِلُونَ مَا لَيْسَ لَهُمْ وَ«فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ» وَهُوَ تَأْوِيلُهُ بِلَا بُرْهَانٍ وَلَا دَلِيلٍ وَلَا هُدًى هَلَكَ وَأَهْلَكَ وَخَسِرْتَ صَفْقَتَهُ وَضَلَّ سَعْيُهُ يَوْمَ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ^(٢).

٩- الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ فِي بُيُوتِ أَذْنِ

(١) تفسير أهل البيت عليهم السلام ج ١٠، ص ٢٦٢ - بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ١٠ / البرهان.

(٢) تفسير أهل البيت عليهم السلام ج ١٠، ص ٢٦٢ - بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ٨٠ / بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٥٧.

اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ أَيُّ بَيُوتٍ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ بَيُوتُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَذَا الْبَيْتُ مِنْهَا وَأَشَارَ إِلَى بَيْتِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ سَلَامَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا قَالَ نَعَمْ مِنْ أَفْضَلِهَا^(١).

١٠ - الباقر عليه السلام: مَنْ وَضَعَ وُلاةَ أَمْرِ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلَ اسْتِنْبَاطِ عِلْمِهِ فِي غَيْرِ الصَّفْوَةِ مِنْ بَيُوتَاتِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ فَقَدْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ ﷺ وَجَعَلَ الْجُهَّالَ وُلاةَ أَمْرِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُتَكَلِّفِينَ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﷺ وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ أَهْلُ اسْتِنْبَاطِ عِلْمِ اللَّهِ فَقَدْ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَرَغِبُوا عَنْ وَصِيِّهِ وَطَاعَتِهِ وَلَمْ يَضَعُوا فَضْلَ اللَّهِ حَيْثُ وَضَعَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا أَتْبَاعَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ حُجَّةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّمَا الْحُجَّةُ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْلِ اللَّهِ ﷻ وَلَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَالْحُجَّةُ الْأَنْبِيَاءُ ﷺ وَأَهْلُ بَيُوتَاتِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ لِأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ يَنْطِقُ بِذَلِكَ وَصِيَّةُ اللَّهِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ الَّتِي وَضَعَهَا عَلَى النَّاسِ فَقَالَ ﷺ فِي بَيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعُوا هِيَ بَيُوتَاتُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَالْحُكَمَاءِ وَأَئِمَّةِ الْهُدَى فَهَذَا بَيَانُ عُرْوَةِ الْإِيمَانِ الَّتِي نَجَاهَا مَنْ نَجَا قَبْلَكُمْ وَبِهَا يَنْجُو مَنْ يَتَّبِعُ الْأَئِمَّةَ^(٢).

(١) تفسير أهل البيت عليه السلام ج ١٠، ص ٢٦٢ - بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٣٢٥ / البرهان.

(٢) تفسير أهل البيت عليه السلام ج ١٠، ص ٢٦٤ - الكافي، ج ٨، ص ١١٩ / بحار الأنوار، ج ١١، ص ٥٠؛

١١ - الباقر عليه السلام: عَنْ زَيْدِ الشَّحَّامِ قَالَ دَخَلَ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ الْبَصْرِيَّ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَقَالَ لَهُ أَنْتَ فَقِيهُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام وَيْحَكَ يَا قَتَادَةُ إِنَّ اللَّهَ عز وجل خَلَقَ خَلْقًا مِنْ خَلْقِهِ فَجَعَلَهُمْ حُجَبًا عَلَى خَلْقِهِ فَهُمْ أَوْتَادُ فِي أَرْضِهِ قَوَامٌ بِأَمْرِهِ نُجَبَاءُ فِي عِلْمِهِ اصْطَفَاهُمْ قَبْلَ خَلْقِهِ أَظَلَّ عَنْ يَمِينِ عَرْشِهِ قَالَ فَسَكَتَ قَتَادَةُ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ وَاللَّهِ لَقَدْ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيِ الْفُقَهَاءِ وَقُدَّامَ ابْنِ عَبَّاسٍ فَمَا اضْطَرَبَ قَلْبِي قُدَّامَ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا اضْطَرَبَ قُدَّامَكَ قَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام وَيْحَكَ أَتَدْرِي أَيْنَ أَنْتَ أَنْتَ بَيْنَ يَدَيِ بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ فَأَنْتَ ثُمَّ وَنَحْنُ أَوْلَئِكَ فَقَالَ لَهُ قَتَادَةُ صَدَقْتَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ وَاللَّهِ مَا هِيَ بُيُوتٌ حِجَارَةٌ وَلَا طِينٌ ^(١).

١٢ - الباقر عليه السلام: أَبُو حَمْزَةَ الثُّمَالِيُّ فِي خَبَرٍ: لَمَّا كَانَتِ السَّنَةُ الَّتِي حَجَّ فِيهَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام وَلَقِيَهُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَقْبَلَ النَّاسُ يَنْتَالُونَ عَلَيْهِ فَقَالَ عِكْرِمَةُ مِنْ هَذَا عَلَيْهِ سِيَاءُ زَهْرَةِ الْعِلْمِ لَا جَرَبَتَهُ فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ وَأَسْقَطَ فِي يَدِ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وَقَالَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه لَقَدْ جَلَسْتُ مَجَالِسَ كَثِيرَةٍ بَيْنَ يَدَيِ

«الله... إلى آخر» محذوف/ كمال الدين، ج ١، ص ٢١٧؛ «بعضها... في بيوت» محذوف.

(١) تفسير أهل البيت عليهم السلام ج ١٠، ص ٢٦٤ - الكافي، ج ٦، ص ٢٥٦ / بحار الأنوار، ج ١٠، ص ١٥٤ / البرهان.

ابن عباسٍ وَغَيْرِهِ فَمَا أَدْرَكْنِي مَا أَدْرَكْنِي آتِئاً فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام
وَيْلَكَ يَا عُيَيْدَ أَهْلِ الشَّامِ إِنَّكَ بَيْنَ يَدَيِ يُيُوتِ أَذِنَ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ
فِيهَا اسْمُهُ^(١).

١٣ - الهادي عليه السلام: أَشْهَدُ أَنْ أَرَوْا حُكْمَ وَنُورَكُمْ وَطَبِيتَكُمْ وَاحِدَةً
طَابَتْ وَطَهَّرَتْ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ خَلَقَكُمْ اللَّهُ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرَشِهِ
مُحَدِّقِينَ حَتَّى مَنْ عَلَيْنَا بِكُمْ فَجَعَلَكُمْ فِي يُيُوتِ أَذِنَ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ
فِيهَا اسْمُهُ وَجَعَلَ صَلَوَاتِنَا عَلَيْكُمْ وَمَا خَصَّصْنَا بِهِ مِنْ وَلَايَتِكُمْ طَبِياً
لِحَلْقِنَا وَطَهَارَةً لِنَفْسِنَا^(٢).

١٤ - الباقر عليه السلام: إِذَا أَتَيْتَ الْقُبُورَ بِالْبَقِيعِ قُبُورَ الْأَيِّمَةِ فَخَفْ
عِنْدَهُمْ وَاجْعَلِ الْقَبْرَ بَيْنَ يَدَيْكَ ثُمَّ تَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ التَّقْوَى
... أَنْكُمْ دَعَائِمُ الدِّينِ وَأَرْكَانُ الْأَرْضِ لَنْ تَزَالُوا بِعَيْنِ اللَّهِ يَنْسَخُكُمْ
مِنْ أَصْلَابِ كُلِّ مُطَهَّرٍ وَيَنْقُلُكُمْ مِنْ أَرْحَامِ الْمُطَهَّرَاتِ لَمْ تُدَنَّسْكُمْ
الْجَاهِلِيَّةُ الْجُهْلَاءُ وَلَمْ تَشْرِكْ فِيكُمْ فِتْنُ الْأَهْوَاءِ طَبِيتُمْ وَطَابَ مَنَبَتُكُمْ مَنْ
بِكُمْ عَلَيْنَا دِيَانُ الدِّينِ فَجَعَلَكُمْ فِي يُيُوتِ أَذِنَ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا
اسْمُهُ وَجَعَلَ صَلَاتِنَا عَلَيْكُمْ رَحْمَةً لَنَا وَكَفَّارَةً لِدُنُوبِنَا^(٣).

(١) تفسير أهل البيت عليهم السلام ج ١٠، ص ٢٦٦ - بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٢٥٨ / نور الثقلين؛
«يستاء لون» بدل «يثالون».

(٢) تفسير أهل البيت عليهم السلام ج ١٠، ص ٢٦٦ - بحار الأنوار، ج ٩٩، ص ١٢٩.

(٣) تفسير أهل البيت عليهم السلام ج ١٠، ص ٢٦٦ - بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ٢٠٣.

الآية التاسعة عشر

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١]

عالم الطير

القرآن المجيد تحدث عن الطير في العديد من الآيات المثيرة للعقول، فتارةً جعله المعلم الأول لابن آدم حينما قتل قابيل أخاه لم يعرف ما يصنع بجسده فبعث الله غراباً يعلمه كيف يوارى جسد أخاه، قوله تعالى [المائدة: ٣١] ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوَيَّلَتِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ وتارةً جعله مع المسبحين من الأنبياء، وتارةً جعله مع نبي الله سليمان رسولاً إلى بلقيس وقومها، وتارةً جعله الله من آياته التي يستدل بها على وجود وبدائع خلقته كآية الكريمة هذه والتي هي محل بحثنا الحالي ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَ

٥٢..... موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

وَتَسْبِيحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ [النور: ٤١] فالطير يؤدي وظيفة الصلاة والتسبيح والسجود لله الذي لا ينبغي إلا التسبيح له سبحانه من خالق مصورٍ باري، فسنذكر أولاً آيات القرآن الكريم التي ذكر فيها الإعجاز العلمي حول الطير من ثم نطرح بعض المعلومات حول عوالمه.

آيات الإعجاز العلمي للطير في القرآن الكريم

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩]

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦]

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠]

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَاجِبَالُ أُوبِ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَآلَتَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا

الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ [الملك: ١٩]

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]

﴿وَفَكَهَةً مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٢٠-٢١]

فبعد أن أستذكرنا ما تقدم من آياتٍ ورد فيها إعجازٍ علمي حول الطير وكيف أنها تصلي لله وتسبح لله وأنها أمةٌ من الأمم كأمة الإنسان، نوضح الآن مجموعةً من المعلومات حول عالم الطير كأنواع الطيور وصفاتها وهجرتها ومسخراتها في جو السماء، نستل هذه المعلومات الثرية من كتاب الموسوعة الكونية الكبرى للدكتور ماهر أحمد الصوفي:

أنواع الطيور وصفاتها

هناك ثمانية آلاف وستمئة نوع من الطيور تتفاوت حجماً من الطائر الطنان أصغرهما إلى النعامة أضخمها، والطيور متباينة الألوان والأصوات والبيئات، وأصناف الغذاء، لكنها تؤلف طائفة متميزة من الحيوانات لها خصائص كثيرة متماثلة، فمثلا كل الطيور مكسوة بالريش - وهذه الخاصة تشمل كافة الطيور، والطيور دافئة الأجسام كاللبونات والكساء الريشي يساعدها على الاحتفاظ بحرارة أجسامها، والطيور جميعها لها أجنحة ويستخدم معظمها الجناحين

للطيران، والقليل منها كالنعامة والبطريق لا يستطيع الطيران، فيستخدم الجناحين لأغراض أخرى، فالبطريق يستعين بجناحيه في السباحة، والنعامة تستعين بهما في العدو وفي الاختيال أحياناً، والطيور كباقي الحيوانات تحتاج إلى الغذاء ولكل طائر منقار يلتقط به غذاءه، ولما كانت أطعمة الطيور متعددة الأشكال فإن مناقيرها تتباين لتلائم نوع الطعام الذي تتناوله ولعلك تستطيع تكوين فكرة دقيقة عن نوعية طعام الطائر من دراسة شكل منقاره، والطيور جميعها بياضة والطائر الجنين يتطور وينمو داخل البيضة حتى تضيق به فينقشها ويخرج والفرخ الناقف عاجز أو يكاد، ويظل يعتمد على رعاية والديه حتى يقوى ويتمكن من الاعتماد على نفسه . وبعض الطيور، كالوقواق لا تحضن صغارها بل توزع بيضها على أعشاش طيور أخرى، وعندما تفقس البيوض تقوم الطيور المضيفة بالعناية بربائها كما لو كانت أولادها^(١).

الكساء الريشي للطيور

يتألف الكساء الريشي من عدة أنواع من الريش، بعضها يساعد الطائر على الطيران وبعضها يكسب الطائر شكله العام وهنالك نوع آخر من الريش وهو الريش الزغبى الذي يقي الطائر من الحر والقر.

(١) الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات، د. ماهر أحمد الصوفي، ص ٤١.

احصل على ريشة طائر كبيرة نوعاً ما وتفحصها تجد أن جزءها الرفيع الطويل القاسي السهم وعلى جانبيه أسلّات (أو سقا) تكون جانبي النصل والأسلّات الطالعة من السهم تعد بالآلاف - ولو نظرت إلى أسلة تحت المجهر لوجدتها تحمل في جانبيها مئات الأسلّات تنتهي كل منها برأس خطافي يشبك في حز الأسيلة التالية لتؤلف معاً سطحاً أملس هو صفحة النصل، وإذا ما أفلت تشابك الأسلّات صدفة وانشق سطح النصل فإن الطائر يمسد الريشة بمنقاره بضع مرات فتستعيد الأسلّات تشابكها والسطح تماسكه، وجزء السهم السفلي خال من السقا، ويسمى أحياناً القلم، وقد استخدمت الريش كأقلام للكتابة عدة قرون - ولا تزال الريشة الحديثة ذات السن الفولاذي تذكرنا بتلك الأقلام في غابر العهود، والريش الزغبى أكثر خفة وأرق قواماً من ريش الطيران لأن زغبه لا تشابك بخطاطيف، فتكون طبقة لينة تحت الريش الأكبر تحفظ لجسم الطائر حرارته، بالإضافة إلى الدفء والطيران يؤدي الكساء الريشي دوراً فعالاً في اجتذاب القرين في موسم التزاوج، فيختال الذكر استعراضاً بكسائه الجميل الألوان أو بريشات مميزة الشكل، كذلك يتخذ الكساء الريشي في بعض الطيور نمطاً تمويهاً يندمج في البيئة حوله فتصعب رؤيته وقد يساعد لون الكساء الريشي وشكله الطائر في أن تعرف الطيور الأخرى من النوع نفسه، ويعتني الطائر بكسائه

الريشي المهم عناية بالغة ولعلك شاهدت بعض الطيور تغتسل برشرة نفسها في مورد ماء ضحل، إن الطائر بعد طرطشة الماء حول كسائه الريشي عدة مرات يروح يمسده ويسويه بمنقاره مستعينا بزيت تفرزه غدة في قاعدة الذيل مما يجعل الكساء الريشي صامدا للماء، ورغم العناية البالغة يطرح الطائر البالغ كسائه الريشي ويستبدله مرة في السنة، وأحيانا مرتين في السنة، وتجري عملية الاستبدال سريعا في بعض الطيور بينما تتم تدريجا في أنواع أخرى بحيث تستبدل الريشات بأخرى جديدة قبل إطراح ريشات غيرها وقد تستغرق عملية الاستبدال هذه نصف عام، والطيور التي تطرح ريشها مرتين تعيش عادة في بيئات تبلي الكساء الريشي سريعا^(١).

هجرة الطيور

هجرة الطيور آية من آيات الله تعالى، يقول تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتٍ وَيقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [المالك: ١٩].

كل خلق الله سبحانه فيه غريزة البحث عن الطعام والمأوى وليس الله سبحانه بعاجز عن تأمين رزق مخلوقاته حتى لو كانت في بيوتها وأعشاشها وأوكارها، ولكن الله من سنته في خلقه في الدنيا أن

(١) الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات، د. ماهر أحمد الصوفي، ص ٤٢.

جعل الحركة والعمل والجد ضرورة حياتيه لكل المخلوقات حتى لا تتكاسل عن مهامها والهدف الذي خلقها الله سبحانه من أجله.

ومن هذه المخلوقات الطيور التي تسعى جاهدة في تأمين أرزاقها ومساكنها فتهاجر في مشارق الأرض ومغاربها وفي كل الفصول بحثاً عن مسكن آمن ورزق وفير، فمنذ أن عرف الإنسان الطيور، رآها تختفي كلياً في الخريف، وتظهر في الربيع، وقد قال العلماء: «إن هناك عشرات آلاف الملايين من الطيور تهاجر كل عام ولاسيما من نصف الكرة الشمالي إلى نصفها الجنوبي، وبالذات إلى جنوب أمريكا وجنوب إفريقيا أما بلاد الهجرة فأمريكا الشمالية وأوروبا وآسيا، هذه الطيور تتجاوز خط الاستواء إلى جنوب إفريقيا» وفي كل الموسوعات العلمية يتحدث العلماء كيف توصلوا إلى هذه الحقائق^(١).

هناك ما يزيد على أربعة ملايين طير وضعت في أرجلهم حلقات معدنية تبين هوية الطير، وتحركاته وهناك مجموعة أخرى من ثلاثة ملايين، وهناك مجموعة ثالثة من ثلاثة عشر مليون طير وضعت في أرجلها يوم كانت صغيرة في أعشاشها حلقات كي تتابع حركاتها من الشمال إلى الجنوب، حيث كانت مراكز البحوث منتشرة بين شمال الكرة الأرضية وجنوبها، وتوصلوا إلى:

(١) الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات، د. ماهر أحمد الصوفي، ص ٥٨.

- هناك نوع من الطيور من يقطع في رحلته أربعة عشر ألف كيلو متر
 - هناك طيور قطعت ستة عشر ألف كيلو متر، وأطول رحلة قامت بها
 مجموعة من الطيور قطعت اثنين وعشرين ألف كيلو متر من منطقة
 المتجمد الشمالي إلى منطقة جنوب إفريقيا، حيث كانت سرعة هذه
 الطيور تتراوح بين أربعين كيلو متر في الساعة إلى مئة كيلو متر في
 الساعة، أما سرعة الصقر في أثناء انقضاضه على فريسته فتصل إلى
 ثلاثمائة وستين كيلو متراً في الساعة، وهناك ملاحظات سجلت على
 أنواع بعض الطيور التي تطير ما يزيد على ألفين وسبعمائة كيلو متر دون
 توقف تقطعها في عشرين ساعة، والطيور تحلق على ارتفاعات مختلفة،
 فمنها ما يحلق على ارتفاع يزيد على تسعمائة متر، وهو قريب من الكيلو
 متر وبعضها يحلق على ارتفاع ألف وخمسمائة متر، وبعضها على ارتفاع
 أربعة آلاف ومئتي متر وبعضها على ارتفاع ستة آلاف متر، أي ستة كيلو
 مترات والطائرات الحديثة ترتفع اثني عشر كيلو متراً^(١).

لابد أن يكون في رأس الطيور ساعة، لأن الطيور تهاجر في الوقت
 ذاته من كل عام، فما الذي يخبرها أنه قد آن الأوان؟ لابد من ساعة
 زمنية في رأس كل طير، قال بعض العلماء: للطيور قوة خارقة لقطع
 المسافات التي تقوم بها، ولا يوجد مخلوق على وجه الأرض أقوى من

(١) الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات، د. ماهر أحمد
 الصوفي، ج ١٢ ص ٥٨.

الطير في قطع المسافات الشاسعة لحكمة أرادها الله ﷻ. ففي كل صفة مادية في الإنسان هناك حيوان يفوقه بها، إلا أن الإنسان كرمه الله بالعقل وبالمعرفة والإيمان، فبهاتين الصفتين يتفوق على بقية الحيوانات ما يفوقه بها. ومن أعجب العجب أن الطيور التي تستعد لقطع مسافات طويلة تزيد على عشرين ألف كيلو متر، فهي تخزن الدهون في جسمها قبل أن تسافر، حيث يصبح وزن بعض الطيور مضاعفاً بسبب الدهن المخزن في جسمها، لتستعمله وقوداً لها في رحلتها الطويلة الشاقة، لقد ظن بعضهم أن بعض الظواهر الجغرافية من أنهار، ومن بحار ومن سواحل، ومن جبال تهتدي بها الطيور، ولكن هذه نظرية ثبت بطلانها، لأن الطيور تطير ساعات الليل كلها وفي الأيام المظلمة لا ترى شيئاً، ومع ذلك لا تحيد عن هدفها.

وقال بعضهم: لعل في الطيور رائحة شم نافذة، وقد أثبت العلم عكس ذلك.

وقالوا: تهتدي بالشمس فأجريت تجارب، وعزلوا الطير عن أشعة الشمس فسار في الاتجاه الصحيح.

وقالوا: تساعد القبة السماوية، فعزلوه عن القبة السماوية، فسار في خطه المعتاد.

٦٠.....موسوعة التسييح في مدرسة الثقليين ج ٢

وقالوا: يسجل الطائر في أعماقه انعطافات الرحلة في الذهاب فوضعه على قرص يدور كي تضيق هذه الانعطافات، فما أفلحوا.

وطرح بعضهم تفسيراً لهذه النظرية ولكن العلماء المحدثين اكتشفوا أن في رأس الطائر نسيجاً لا يزيد حجمه على نصف ميليمتر مربع، مؤلفاً من مواد تتأثر بالمغناطيسية الأرضية، وحينما ركبوا بعض الوشائع، وعكسوا تيار الكهرباء فيها ارتد الطير إلى الوراء، وعكس اتجاهه، فعلموا أن هذا النسيج الذي بين العين والمخ في الطائر، يتحسس بالساحة المغناطيسية الأرضية؟

وعرف العلماء نظرية أخرى، وهي أن الطائر يهتدي بنجوم السماء، وأنت أيها الإنسان الذكي، الذي درست وحصلت، ربما لا تستطيع أن تهتدي بنجوم السماء.

إذ الطيور تهاجر وتهتدي إلى طريقها برأي العلماء بنظريتين:

الأولى: الاهتداء بنجوم السماء ولكن كيف؟ لا ندري، وأي نجم هذا؟ لا ندري .

والنظرية الثانية: أن في الطائر نسيجاً يتأثر بالساحة المغناطيسية الأرضية، حتى يقطع هذه المسافة الطويلة دون أن يحيد عن هدفه، فلو حاد عنه درجة واحدة لجاء في هدف بعيد عن هدفه ألف كيلو متر .

ولا يزال هذا السر غامضاً حتى الآن، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ

الآية التاسعة عشر ٦١

يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَيَقْبِضَنَّ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ . [سورة الملك الآية: ١٩] .. إنها هداية من الله مباشرة (١).

الشيء الذي يلفت النظر أن الطيور الصغيرة التي ولدت حديثاً وضعت حلقات في أرجلها، وسارت في رحلتها بالاتجاه الصحيح دون تعليم الطيور الكبيرة، فمن أودع في هذه الطيور الصغيرة هذه القدرة العجيبة كي تهتدي إلى أهدافها؟ قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ﴾ (٢١) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ [سورة طه، الآية: ٥٠].

إن الشيء العجيب أن خطوط الرحلة ليست مستقيمة، كيف أن الطائرة العادية في مسافة كذا كيلو متر يتغير اتجاهها كذا، زاوية، هناك خطط، وهناك طيار، وهناك مساعد طيار، وهناك، رادارات وخرائط وهناك توجيهات أرضية، واتصال مستمر مع الأرض كي تبقى الطائرة في خط سيرها أما خطوط الرحلات في الطيور فليست مستقيمة إنها خطوط فيها انحرافات وانعطافات لأن هناك من رسم لها هذه الخطوط، وألهمها أن تسير فيها .

قال بعض العلماء لو أن هذا الطير انحرف عن هدفه درجة واحدة لوصل إلى هدف في نهاية المطاف بعيد عن هدفه، ما لا يقل عن ألف كيلو متر، فمن الذي يحدد هذا الهدف؟ لا يزال علماء الأرض في حيرة

(١) الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات، د. ماهر أحمد الصوفي، ص ٥٩-٦٠ .

من هذه القوة، التي توجه الطيور في طيرانها، طائر وضع في طائرة، وأبعد عن موطنه خمسة آلاف كيلو متر نحو الشرق، أو نحو الغرب، أو نحو الشمال، وقد كان في قفص محجوباً عن الرؤية، ومع ذلك لما حرر من قفصه وترك يطير بحرية عاد إلى موطنه بعد عشرة أيام، فسبحان الذي قدر فهدى وعلم خلقه ما لم يعلم، وخلق فأحسن خلقه^(١) قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا أَلَقَةً مُضْغَةً فَخَلَقْنَا أَلْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْلَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

الطير مسخرات في جو السماء من أمر الله سبحانه

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩]

يقول الصابوني في صفوة التفاسير عن هذه الآية الكريمة:

هذا من الأدلة على قدرة الله تعالى ووحدانيته والمعنى: ألم يشاهدوا الطيور مذللات للطيران في ذلك الفضاء الواسع بين السماء والأرض ما يمسكنهن عن السقوط عند قبض أجنحتهن وبسطها إلا هو سبحانه. وهذا الآيات ظاهرة وعلامات باهرة على وحدانيته تعالى

(١) الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات، د. ماهر أحمد الصوفي، ص ٦٠.

لقوم يصدقون بما جاءت به رسل الله سبحانه^(١).

.. الطير بجميع أنواعها والتي تزيد على ثمانية آلاف نوع مسخرة بجو السماء تطير بأمر الله سبحانه وتهبط ولا تهوي إلى الأرض فقد جعلها الله سبحانه، سواء قبضت أجنحتها لتستريح أو أفردتها محلقة في جو السماء، لا تهبط ولا تهوي إلى الأرض فقد جعل الله فيها ميزة خلقية أنها لو قبضت أجنحتها فإنها تبقى بقدرة الله في جو السماء بعكس ما عند الإنسان، فالطائرة في جو السماء ولو قبضت أجنحتها ولو لدقيقة واحدة تهوي إلى الأرض وتتحطم وتودي بجميع ركاها إلى الموت.. ولكن الله سبحانه هو الخالق وقد خلق الطير وضمن لها حياتها ومعيشتها فللطيور دورة حياة تطير وتهاجر وقد تعبر الفيافي والصحاري والبحار والمحيطات ولا بدر حلتها الطويلة والتي قد تمتد آلاف الكيلو مترات أن تتعب وتجهد وهي فوق سطح المحيط فتقبض أجنحتها لتستريح، فلو هوت فمعنى هذا الموت المحتم والغرق في مياه المحيط أو الهلاك، وكذلك إذا كانت تعبر الصحراء القاحلة حيث لا ماء ولا غذاء.. فإن هذه الآية الكريمة تلفت أنظار المؤمنين إلى آيات الإعجاز طيران الطيور وتدعو أصحاب العقول الراجحة إلى تأمل حكمة الخالق الواحد جلت قدرته، فهو الذي خلق جميع الكائنات الحية والجمادة وأودع فيها خصائصها، وهو الذي خلق قانون الجاذبية

(١) صفوة التفاسير محمد على الصابوني - تفسير سورة النحل - صفحة ٧١٠.

بين الأجرام التي يجذب بعضها بعضاً، ولكنه وهو اللطيف الخبير بحاجات خلقه، يسر الطيور لما خلقت له، فأودع في أجسامها من آيات الخلق والبناء، ومما فطرها عليه من حسن الأداء، وما جعلها تتغلب على قانون الجاذبية وتحلق حرة طليقة في جو السماء ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾.

إن ركوب الطائر متن الهواء أمر يثير العجب والإعجاب إذ إن الطائر مهما خف وزنه فإنه أثقل كثيراً من الهواء ومن ثم ينبغي أن يهوي إلى الأرض وفقاً لقانون الجاذبية الأرضية، وهذا هو ما يحدث للطائر المحلق في جو السماء عندما يصيبه رصاصة صيد في مقتل ويفقد في لحظة واحدة قدرته على البقاء في الجو^(١).

وتتحلى الطيور عامة بخصائص هامة لا بد من توفرها في أية آلة طائرة، مثل خفة الوزن ومتانة البناء وانسياب الجسم ودقة الاتزان . فهياكل الطيور العظمية خفيفة للغاية، حيث لاحظ علماء البيولوجيا أن بعض الأجزاء قد اختصر والتحم بعض عظامها ببعض، وتحول معظمها إلى أنابيب رقيقة جوفاء، لكنها في الوقت نفسه متينة ومرنة وقادرة على تحمل القوى المفاجئة التي يتعرض لها الطائر أثناء مناوراته البهلوانية في الجو، أما رؤوس الطيور فقد صغرت وخلت من

(١) الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات، د. ماهر أحمد الصوفي، ص ٩١-٩٣.

الأسنان، ومن ثم لم تعد بحاجة إلى فكين ثقلين وعضلات كبيرة لتحريكهما، فجمجمة الحماة مثلاً تزن سدس ما تزنه جمجمة الفأر الكبير، وطائر الفرقاط أي طائر البارجة، أو الطائر العملاق، الذي يبلغ طول ما بين طرفي جناحيه المبسوطين أكثر من مترين، فإن هيكله العظمي كله لا يزن أكثر من ١١٣ جراماً (نحو أربع أوقيات) أي أقل من وزن ريشه وقد عبر أحد العلماء الأمريكيين عن الإبداع في بناء جمجمة الطيور بقوله «إنه أعظم منظوم في عظام».

أما ريش الطيور فيتميز بأنه مكيف بدقة بالغة لترويح الهواء وتخفيف كثافة الجسم وعزله عزلاً جيداً عن الجو، فضلاً عن مرونته الفائقة التي تمكنه من الالتواء والانثناء لتلبية حاجات الطيران سريعة التغير، حتى لقد قيل أن ريش الطيور أقوى من أي جناح لطائرة صنعها الإنسان، وأهم ما يميز الريش أن توزيعه يهذب زوايا الجسم البارزة، وهذه الميزة مع عدم وجود صيوانين بارزين للأذنين وكمش لرجليه في أثناء الطيران تضيفي على الطائر شكلاً انسيابياً يساعده كثيراً على مقاومة الهواء.

وهناك خصائص وظيفية أخرى تتمتع بها الطيور، من أهمها ارتفاع معدل العمليات الحيوية في داخل أجسامها، فهي على سبيل المثال، أقدر من الحيوانات الثديية على هضم الطعام، وقلبها أقوى وأكبر وأسرع نبضاً - مع حفظ النسبة - وضغط دمها أقل، ونسبة

السكر فيه أكثر، ودرجة حرارتها أعلى وجهازها التنفسي أكفأ، حين تتصل الرئتان بمجموعة من الأكياس الهوائية المنتشرة في أنحاء الجسم، مما ييسر تبريد أجسامها أثناء الطيران، فضلاً عن الإسهام في تخفيف وزنها، وهذا كله يجعل من أجهزتها آلات رائعة لإنتاج الطاقة اللازمة للطيران فهي تستخدم غذاءها بكفاءة تفوق أضعاف كفاءة أحدث الطائرات في استخدام وقودها، وبالنسبة لذيل الطائر فتكاد تنحصر مهمته في التوجيه، ولكنه إذا نشر مبسوطاً زادت مساحة السطح، وقد يستغل هذا أحياناً في الرفع وأحياناً في تقليل سرعة الهبوط، ويوازن الطائر حركته بواسطة جناحية، فهو إن مال على أحد الجانبين استعاد اتزانه إلى وضع مستو بزيادة القوة الرافعة من الجناح الذي مال، نحوه وذلك إما بزيادة شدة ضربه أو بتغيير زاويته، وقد قرر التعبير القرآني في بيان معجز حقيقة أن جناحي الطائر هما جهاز طيرانه الأساس، وهذا يتفق في بساطة ووضوح مع ملاحظة الفطرة السليمة والدراسة العلمية الدقيقة على حد سواء^(١)، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٣٨]

ويقر أهل الاختصاص أن الديف» و«الصف» هما أهم فنون

(١) الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات، د. ماهر أحمد الصوفي، ص ٩٣-٩٥.

الطيران، أما الدفیف فهو الطيران باستمرار خفق الجناحين وهو الطريقة المعتادة، وأما الصف فهو أن يبسط الطائر جناحيه دون حراك، ولذلك يعد أكثر فنون الطيران إثارة للعجب والإعجاب، فالطيور الصافات تستطيع أن تمضي في الهواء بجناحين ساكنين إلى أبعد المسافات حتى تغيب عن الأبصار، وكأن قوى خفية تشدها وتحركها كيف تشاء، وهذه الطيور المتخصصة في الصف تستطيع أيضاً أن ترفع جناحيها أو تخفضهما أو تدفعهما إلى أمام أو خلف، أو أن تقلل من مساحتهما بقبضهما قبضاً يسيراً، أو أن تديرهما من مفصل الكتف ليقابلا الهواء بزوايا مختلفة تؤثر في سرعة الصف، أو تلوي أجزاء منها، وما إلى ذلك، وهي في أثناء هذا كله تحرك ذيلها بالصورة المناسبة، وعندما تصف في اتجاه منحني تميل بجسمها كله في اتجاه دورانها لكيلا تحملها قوة الطرد المركزي إلى خارج قوس، دورانها وهذا من قبيل ما يفعل المتسابقون بالدراجات حين يجتازون المنحنيات في حلبات السباق، وتتميز الطيور عامة بعظم عضلات صدرها التي تحرك جناحيها، أما الطيور الصافات فإنها تتميز باختصار حجم: تلك العضلات لقلة الحاجة إلى استخدامها، مع قوة الأوتار والأربطة المتصلة بالجناحين حتى تستطيع بسطهما فترات طويلة دون جهد عضلي كبير، ولا يتسع المجال هنا لسرد المزيد من آيات الإعجاز في طيران الطيور التي علمت قدر خالقها البصير بدقائق شؤونها وصدق

فيها قول البارئ المصور: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٤١﴾ [النور: ٤١]

وعلى الإنسان أن يتذكر محاولاته المضنية في محاكاة الطيور عندما صنع لنفسه أجنحة أوردته موارد الهلاك، ثم أنعم الله عليه فاستطاع أخيراً أن يصطنع لنفسه آلات طائرة تجوب به الآفاق، فكان فضل الله عليه عظيماً^(١).

ولقد ذكرت الطير، بمعناها الحقيقي والمجازي، في آيات قرآنية كثيرة، ولكننا سنتوقف عند بعض فنون الطيران التي أودعها الله ﷻ في الطيور بعامة وفي الطير الصافات على وجه الخصوص^(٢)، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ۝١٩﴾ [سورة الملك، الآية: ١٩]

وتجدر الإشارة بادئ ذي بدء، إلى أن العلماء لم يفهموا بعض آليات الطيران عند الطيور إلا بعد تقدم علوم هندسة الطيران وديناميكا الموانع وصناعة الطائرات والعجيب أن جناحي الطائرة الحديثة يقابلان جناحي الطائرة مقابلة ظاهرية فقط، ولكنهما لا يكافئانها تماماً،

(١) رحيق العلم والإيمان، د. أحمد فؤاد باشا - أستاذ الفيزياء جامعة القاهرة .

(٢) الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات، د. ماهر أحمد الصوفي، ص ٩٥-٩٦ .

ذلك أن جناحي الطائرة وظيفتهما الرفع إلى أعلى دون إحداث قوة الدفع إلى الأمام التي تؤديها المحركات الدوارة أو أجهزة الدفع النفث، أما جناح الطائرة فإنهما يقومان بالوظيفتين معاً فالنصف الداخلي للجناح الذي يتحرك من مفصل الكتف، هو الذي يقوم أساساً بإنتاج قوة الرفع إلى أعلى، أي أنه يكاد هو وحده الذي يقابل جناح الطائرة، والذي يقوم بوظيفة المحرك ودفع الطائرة إلى الأمام هو نصف الجناح الخارجي عندما يضرب بقوة إلى أسفل وإلى الأمام، ثم يرتفع إلى أعلى وإلى الخلف، ويتكرر هذا مع كل خفقة من خفقات الجناح، وفي أثناء خفق الجناح تتغير أجزاؤه، وبخاصة ريشاته القوادم، أشكالها وأوضاعها وزواياها وسرعة حركتها في كل لحظة اختلاف الارتفاع وشدة الهواء واتجاهه ومتطلبات الطيران المتغيرة وهذا كله يتم بصورة آلية وبسرعة مذهلة لا يستطيع العلماء إدراك بعضها إلا بأدق آلات التصوير السريع والعرض البطيء.

وليس الطيران بالنسبة للطيور مجرد وسيلة للانتقال المعتاد فالطائر له مآرب أخرى كثيرة. من ذلك أن كثيراً من الطيور يلقف طعامه من الحشرات في أثناء طيرانه كما أن بعضها يصيد فريسته من ذوات الجناح وهما محلقان في الجو، وقد يقذف بعضها إلى بعض الطعام وهي راكبة متن الهواء - وهذا ما لم يتحقق في أبحاث الفضاء والطيران إلا حديثاً. حيث عد تزويد الطائرات بالوقود وهي في الجو فتحاً علمياً وتقنياً

٧٠.....موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ٢

عظيماً، وللطير أفانين كثيرة من العراك واللهو والغزل الطائر، وبعضها يبدي ذلك مهارات فائقة، وقد تبلغ سرعة بعض الطيور حداً يفوق الخيال فالشاهين (نوع من الصقور) ينقض على فريسته بسرعة ٣٠٠ كيلو متر في الساعة، كما أن بعض الطيور تطير مسافات هائلة، ولعل «خطاف البحر القطبي» أشهرها، حيث أنه يهاجر في رحلة طولها ١٧٥٠٠ كيلو متر من الدائرة القطبية الشمالية إلى المنطقة القطبية الجنوبية، قاطعاً طريقاً دواراً من أمريكا الشمالية إلى الخطوط الساحلية لأوروبا وأفريقيا^(١).

فكل هذه العجائب في عالم الطير الذي يُقال عنه أمةٌ من الأمم سبحانه الله خالقها ومكونها ومصورها وملهمها وجامعها آيةٌ من دلائل آياته وصنعه سبحانه من عظيم.

ما قاله علماء التفسير حول هذه الآية المباركة

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٥)

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٍ﴾ إلى آخر الآية، لما ذكر سبحانه أنه نور تستنير به السماوات والأرض وأنه يختص بمزيد نوره المؤمنين من عباده والذين كفروا لا نصيب لهم من ذلك شرع يحتج على ذلك بما في هذه الآية

(١) الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات، د. ماهر أحمد الصوفي، ج ١٢ ص ٩٦-٩٨.

والآيات الأربع التالية لها.

فكونه تعالى نور السماوات والأرض يدل عليه أن ما في السماوات والأرض موجود بوجود ليس من عنده ولا من عند شيء مما فيها لكونه مثله في الفاقة، فوجود ما فيها من موجود من الله الذي ينتهي إليه الحاجات.

فوجود كل شيء مما فيها كما يظهر به نفس الوجود يدل على من يظهره بما أفاض عليه من الوجود فهو نور يستنير به الشيء ويدل على منوره بما أشرق عليه من النور وأن هناك نورا يستنير به كل شيء فكل شيء مما فيها يدل على أن وراءه شيئاً منزهاً من الظلمة التي غشيتها، والفاقة التي لزمته، والنقص الذي لا ينفك عنه، وهذا هو تسبيح ما في السماوات والأرض له سبحانه، ولازمه نفي الاستقلال عن كل من سواه وسلب أي إله ورب يدبر الأمر دونه تعالى.

وإلى ذلك يشير قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَّتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ وبه يحتج تعالى على كونه نور السماوات والأرض لأن النور هو ما يظهر به الشيء المستنير ثم يدل بظهوره على مظهره، وهو تعالى يظهر ويوجد بإظهاره وإيجاده الأشياء ثم يدل على ظهوره ووجوده.

وتزيد الآية بالإشارة إلى لطائف يكمل بها البيان:

منها: اختصاصها من في السماوات والأرض والطير صافات وهم العقلاء وبعض ذوات الروح بالذكر مع عموم التسييح لغيرهم لقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾.

ولعل ذلك من باب اختيار أمور من أعاجيب الخلقة للذكر فإن ظهور الموجود العاقل الذي يدل عليه لفظ ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من عجب أمر الخلقة الذي يدهش لب ذي اللب، كما أن صفيف الطير الصافات في الجو من أعجب ما يرى من أعمال الحيوان ذي الشعور وأبدعه.

ويظهر من بعضهم أن المراد بقوله: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ إلخ، جميع الأشياء وإنما عبر بلفظ أولي العقل لكون التسييح المنسوب إليها من شئون أولي العقل أو للتنبيه على قوة تلك الدلالة ووضوح تلك الإشارة تنزيلا للسان الحال منزلة المقال.

وفيه أنه لا يلائم إسناد العلم إليها في قوله بعد: ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾.

ومنها: تصدير الكلام بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ وفيه دلالة على ظهور تسييحهم ووضوح دلالتهم على التنزيه بحيث لا يرتاب فيه ذريب فكثيرا ما يعبر عن العلم الجازم بالرؤية كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: [إبراهيم: ١٩]، والخطاب فيه عام لكل ذي

عقل وإن كان خاصا بحسب اللفظ.

ومن الممكن أن يكون خطابا خاصا بالنبى ﷺ وقد كان أراه الله تسبيح من في السماوات والأرض والطير صافات فيما أراه من ملكوت السماوات والأرض وليس ببدع منه ﷺ وقد أرى الناس تسبيح الحصة في كفه كما وردت به الأخبار المعتبرة.

ومنها: أن الآية تعمم العلم لكل ما ذكر في السماوات والأرض والطير، وقد تقدم بعض البحث عنه في تفسير قوله: ﴿وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾: [الإسراء: ٤٤]، وستجيء تنمة الكلام فيه في تفسير سورة حم السجدة إن شاء الله. وقول بعضهم: إن الضمير في قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ﴾ راجع إليه تعالى، يدفعه عدم ملائمة للسياق وخاصة لقوله بعده: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ونظيره قول آخرين: إن إسناد العلم إلى مجموع ما تقدم من المجاز بتنزيل غير العالم منزلة العالم لقوة دلالة على تسبيحه وتنزيهه.

ومنها: تخصيصها بالتسبيح بالذكر مع أن الأشياء تشير إلى صفات كماله تعالى وهو التحميد كما تسبحه على ما يدل عليه البرهان ويؤيده قوله: ﴿وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ولعل الوجه فيه كون الآيات مسوقة للتوحيد ونفي الشركاء وذلك بالتنزيه أمس فإن من يدعو من دون الله إلهاً آخر أو يركن إلى غيره نوعاً من الركون إنما يكفر بإثبات

خصوصية وجود ذلك الشيء للإله تعالى ففيه إنما يتأتى بالتنزيه دون التحميد فافهمه.

وأما قوله: ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ فصلاته دعاءه والدعاء توجيه من الداعي للمدعو إلى حاجته ففيه دلالة على حاجة عند الداعي المدعو في غنى عنها فهو أقرب إلى الدلالة على التنزيه منه على الثناء والتحميد.

ومنها: أن الآية تنسب التسبيح والعلم به إلى من في السماوات والأرض فيعم المؤمن والكافر، ويظهر بذلك أن هناك نورين:

نور عام يعم الأشياء والمؤمن والكافر فيه سواء، وإلى ذلك تشير آيات كآية الذر: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾: [الأعراف: ١٧٢]، وقوله: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: [ق: ٢٢] إلى غير ذلك، ونور خاص وهو الذي تذكره الآيات ويختص بأوليائه من المؤمنين.

فالنور الذي ينور تعالى به خلقه كالرحمة التي يرحمهم بها قسمان: عام وخاص وقد قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾: [الأعراف: ١٥٦]، وقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾: [الجاثية: ٣٠]، وقد جمع بينهما في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا﴾:

[الحديد: ٢٨]، وما ذكر فيه من النور هو النور على نور بحذاء الثاني من كفلي الرحمة.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ومن فعلهم تسبيحهم له سبحانه، وهذا التسبيح وإن كان في بعض المراحل هو نفس وجودهم لكن صدق اسم التسبيح يجوز أن يعد فعلا لهم بهذه العناية.

وفي ذكر علمه تعالى بما يفعلون عقيب ذكر تسبيحهم ترغيب للمؤمنين وشكر لهم بأن ربهم يعلم ذلك منهم وسيجزئهم جزاء حسنا، وإيدان بتهام الحجة على الكافرين، فإن من مراتب علمه تعالى كتب الأعمال والكتاب المبين التي تثبت فيها أعمالهم فيثبت فيها تسبيحهم بوجودهم ثم إنكارهم بالستتهم.

ثانياً : وفقاً لتفسير النور

إشارات

- ذكر القرآن مسألة تسبيح المخلوقات وسجودها وصلاتها عدة مرات صراحةً، وقال إنكم لا تفهمون هذا التسبيح: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: الآية ٤٤]. ويتضح من هذه الآيات أن اليقين والفهم لا يقتصران على الإنسان. وذلك على الرغم من أن بعض المفسرين قالوا إن تسبيح مخلوقات الكون تسبيح تكويني ولسان حالٍ للخليقة، ولكن ظاهر الآيات على خلاف هذا

القول.

- حذر الله الإنسان عدة مرات في هذه الآية بشكل غير مباشر:

أ- لماذا تغفل أيها الإنسان طالما أن مخلوقات السماء والأرض والطير في حالة تسبيح؟!

ب- جميع المخلوقات تسبح على بصيرة، فلماذا لا يكون لقلب الإنسان خشوع في الصلاة؟!

ج- الطير يُسبح الله ويُصلي أثناء تخليقه في الجو، أمّا بعض البشر فإنهم يقضون وقتهم في غفلة وسُكر أثناء التحليق في السماء!

- وعن أبي ثابت قال كنت عند محمد بن جعفر الباقر (كذا في المصدر) (رضي الله عنه): فقال لي: أتدري ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها؟ قال: لا، قال: فإنّهنّ يقدّسن ربّهنّ ويسألنه قوت يومهنّ" (١).

النعاليم

١- لا تفكروا في أنفسكم فقط، ولكن انظروا حولكم، وتفكروا في الكون ومخلوقاته، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

٢- للطيور من بين مخلوقات الكون اهتمام خاص بالله أثناء

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ١١، ص ٣٥٠.

الآية التاسعة عشر ٧٧

تحليقها في الجو، ﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ^ط﴾.

٣- للمخلوقات كلها فهم وإدراك، وصلاتها وتسبيحها عن وعي وبصيرة، ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ^و﴾.

٤- يزيد ثواب الصلاة وقيمتها حينما يعرف المصلي ماذا يقول وماذا يفعل، ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ^و﴾.

٥- لكل مخلوق صورته الخاصة في الصلاة والتسبيح، ﴿صَلَاتُهُ^و وَتَسْبِيحُهُ^ظ﴾.

٦- يلم الله تعالى بتفاصيل الأعمال كلها، ﴿عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ^و﴾.

٧- هناك حاكم يتحكم بنظام الكون وهو الله ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ^و﴾، وله هدف كذلك، ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ^و﴾.

ثالثاً : وفقاً لتفسير الأمثال (ج ١١)

الجميع يسبح لله

تحدثت الآيات السابقة عن نور الله، نور الهداية والإيمان، وعن الظلمات المضاعفة للكفر والضلال.

أمّا الآيات موضع البحث، فإنّها تتحدّث عن دلائل الأنوار الإلهية وأسباب الهداية، وتخاطب الآية النبي ﷺ فتقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ^و مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وكذلك الطير يسبحن لله في حال

أنها باسطات أجنحتهن في السماء ﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

وبما أن هذا التسبيح العام دليل على خلقه تعالى لجميع المخلوقات، وخالقيته دليل على مالكيته للوجود كله، وكذلك دليل على أن كل ما في الوجود يرجع إليه سبحانه، فتضيف الآية ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾. كما يحتمل وجود رابطة بين هذه الآية وسابقتها، حيث تحدثت الآية الأولى في آخر جملة لها، عن علم الله بأعمال البشر جميعا وعلمه بالمسبحين له.

أما هذه الآية فقد أشارت إلى محكمة العدل الإلهي في الآخرة، وأن لله ما في السموات والأرض، وهو الحاكم والقدير العادل في مصير الناس وما في الوجود.

مسائل مهمة

١ - ماذا نعني عبارة ألم تر

حسبما يراها الكثير من المفسرين، تعني: ألم تعلم، حيث التسبيح العام من قبل جميع المخلوقات في العالم لا يمكن إدراكه بالعين، بل بالقلب والعقل.

ولكون هذه القضية واضحة جدا وكأنها ترى بالعين المجردة، استخدمت الآية عبارة ﴿*أَلَمْ تَرَ﴾.

كما يجب الانتباه إلى أنه على الرغم من كون المخاطب في هذه الآية النبي ﷺ بالذات، فإن عددا من المفسرين يرى أنها تشمل الناس جميعا، لأن ذلك من أساليب القرآن المجيد اتباعها في كثير من آياته.

وقال البعض: إن هذا الخطاب خاص بالنبي ﷺ في مرحلة الرؤيا والمشاهدة، حيث منحه الله القدرة على مشاهدة تسبيح جميع المخلوقات، وكذلك منح سبحانه وتعالى هذه القدرة لجميع عباده المخلصين له المتمسكين بهداه.

أما بالنسبة لعامة الناس، فالمسألة تخص إدراكهم لتسبيح الموجودات عن طريق العقل، وليس بالمشاهدة البصرية^(١).

٢ - التسبيح العام لجميع المخلوقات

تحدثت الآيات المختلفة في القرآن المجيد عن أربع عبادات تمارسها مخلوقات هذا الكون العظيم، هي: التسبيح، والحمد، والسجود، والصلاة، أما الآية موضع البحث، فقد تناولت الصلاة والتسبيح.

وتحدثت الآية الخامسة عشرة من سورة الرعد عن السجود العام: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

أما الآية الرابعة والأربعون من سورة الإسراء، فقد تحدثت عن

(١) تفسير الصافي للآية موضع البحث.

التسييح والحمد من قبل جميع المخلوقات في الوجود كله ﴿وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ وقد تناولنا حقيقة الحمد والتسييح العامين من قبل المخلوقات والتفاسير المختلفة الواردة بهذا الصدد، في تفسيرنا الآية الرابعة والأربعين من سورة الإسراء، ونذكر هنا ملخصه:

هناك تفسيران جديران بالاهتمام، وهما: -

١- إنّ ذرات هذا العالم كلها- عاقلة أو غير عاقلة- لها نوع من الإدراك والشعور، وهي تسبح في عالمها لله وتحمده على الرغم من عدم إدراكها. ولهذا التفسير أدلة قرآنية.

٢- إنّ القصد من التسييح والحمد هما ما نعبر عنه بعبارة «لسان حاله» أي نظام الوجود وأسراره المدهشة الكامنة في كلّ مخلوق تتحدّث بصراحة عن عظمة الخالق وعلمه وحكمته التي لا حدود لها، إذ كلّ مخلوق جميل، وكلّ أثر فنيّ بديع يثير الدهشة والإعجاب، حتّى أنّ لوحة فنية وقطعة شعرية جميلة، تحمد وتسبح لمبدعها.

فمن جهة تكشف عن صفاته (بحمدها له) ومن جهة أخرى تنفي عنه أي عيب أو نقص (فتسبحه). فكيف وهذا الكون العظيم بما فيه من عجائب وغرائب لا تنتهي! (للاطلاع أكثر على ذلك يراجع تفسير الآية ٤٤ من سورة الإسراء في تفسيرنا هذا).

وإذا قلنا: إنّ عبارة ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تعني

تسبيح كلّ من في السماوات والأرض، ونحدد كلمة ﴿مِنْ﴾ بذوي العقول، فإنّ التسبيح يخصّ هنا المعنى الأوّل، فهو تسبيح بوعي وإرادة ولازم هذا القول أن الطيور أيضا لها شعور، لأنّ كلمة الطيور جاءت بعد حرف ﴿مِنْ﴾. ولا عجب في ذلك، لأنّ آيات قرآنية أخرى قالت بوجود مثل هذا الشعور لدى بعض الطيور (يراجع تفسير الآية ٣٨ من سورة الأنعام).

٣- النسيخ الخاص بالطيور

ما السبب في ذكر تسبيح الطيور من بين جميع المخلوقات، وخاصّة في حالة بسط جناحيها في السماء؟

المسألة تكمن في أنّ الطيور إضافة إلى تنوّعها الكبير، تمتاز بصفات خاصّة تجلب نظر كل عاقل إليها، حيث تحلّق هذه الأجسام - وبعضها ثقيل - في السماء خلافا لقانون الجاذبية، وتطير بسرعة من نقطة إلى أخرى في الجو، وتركب أمواج الرياح وهي باسطة جناحيها دون أي تعب أو جهد. بشكل يثير الإعجاب.

والمثير فيها هو إدراكها لقضايا الأنواء الجوية، ومعلوماتها الدقيقة لوضع الأرض الجغرافي - خلال سفرها وهجرتها من قارة إلى أخرى، حتى أنّ بعضها يهاجر من القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي.

فهي تمتلك جهاز توجيه خفي عجيب يرشدها إلى الهدف إيّان

سفرها الطويل، حتى لو تلبّدت السماء بالغيوم. وهذه من أكثر الأمور إثارة للدهشة والعجب، ومن أوضح أدلة التوحيد.

طيور الليل بدورها تملك راداراً مذهشاً يخبرها حين الطيران في ظلمة الليل عن كلّ حاجز أمامها، حتى أن بعضها يرى سمكة تحت الماء، فيخطفها بسرعة البرق، وهذه ميزة مذهشة في هذه الطيور!! وعلى كل حال فإنّ هناك أموراً عجيبة في الطيور جعلت القرآن المجيد يخصّها بالذكر.

٤ - عبارة: كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ

نسب عدد من المفسّرين ضمير ﴿عَلِمَ﴾ إلى كلمة ﴿كُلُّ﴾، وبهذا يصبح معنى العبارة السابقة: كُلٌّ من في الأرض والسماء، وكذلك الطيور علم صلّاته وتسبيحه.

وقال بعض المفسّرين: إنّ ضمير (عَلِمَ) يعود إلى الله تعالى، أي أنّ الله علم صلاة وتسبيح كلّ منهم.

والتفسير الأوّل يلائم الآية بشكل أفضل.

وبهذا الترتيب يعلم كلّ مسبّح لله أسلوب تسبيحه وطريقته وشروطه وخصائص صلّاته.

فإذا كان التسبيح بوعي من هذه الكائنات يتّضح جيداً مفهوم هذا الكلام، أمّا إذا كان بلسان حائها فيكون مفهومه أنّ كلّ واحد منها له

نظام خاصّ يعبرّ بشكل من الأشكال عن عظمة الله، وكلّ واحد منها يعكس قدرة الله وحكمته.

هـ - ما المقصود بالصلاة؟

قال بعض المفسّرين كالمرحوم «الطبرسي» في مجمع البيان، و«الآلوسي» في روح البيان: إنّ الصلاة هي الدعاء.

وهذا هو مفهومها اللغوي، وبهذا تمارس جميع المخلوقات في الأرض والسماء الدعاء إلى الله بلسان حالها أو مقالها وتسأله الرحمة، لأنّه أرحم الراحمين، وأنّه سبحانه وتعالى يمنّ عليها برحمته كلا بحسب قابليته.

غاية الأمر إنّهم جميعاً يعلمون حاجتهم ومطلبهم وما ينبغي أن يدعون، وإضافة إلى ذلك - وفق الآيات التي أشرنا إليها سابقاً - فهم خاضعون لعظمة الله، وقد سلّموا بقوانين الخلق، ويردّدون من الأعماق الشاء على صفاته الكاملة سبحانه وتعالى، ونفي كلّ نقص عنه جلّ اسمه المقدّس.

وبهذا الشكل تتمّ العبادات الأربع «الحمد» و«التسبيح» و«الدُّعاء» و«السُّجود».

وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

١ - أمير المؤمنين عليه السلام: إِنَّ لِلَّهِ مَلَكاً فِي صُورَةِ الدِّيكِ الْأَمْلَحِ

الْأَشْهَبِ بَرَاثِينُهُ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ وَعُرْفُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ لَهُ جَنَاحَانِ
 جَنَاحٌ بِالْمَشْرِقِ وَجَنَاحٌ بِالْمَغْرِبِ فَأَمَّا الْجَنَاحُ الَّذِي بِالْمَشْرِقِ فَمِنْ ثَلَجٍ
 وَأَمَّا الْجَنَاحُ الَّذِي بِالْمَغْرِبِ فَمِنْ نَارٍ فَكُلَّمَا حَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ قَامَ
 الدَّيْكَ عَلَى بَرَاثِينِهِ وَرَفَعَ عُرْفَهُ مِنْ تَحْتَ الْعَرْشِ ثُمَّ أَمَالَ أَحَدَ جَنَاحَيْهِ
 عَلَى الْأَرْضِ يُصَفِّقُ بِهِمَا كَمَا يُصَفِّقُ الدَّيْكَهُ فِي مَنَازِلِكُمْ فَلَا الَّذِي مِنَ
 الثَّلَجِ يُطْفِئُ النَّارَ وَلَا الَّذِي مِنَ النَّارِ يُذِيبُ الثَّلَجَ ثُمَّ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ
 أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَأَنَّ
 وَصِيَّهُ خَيْرُ الْوَصِيِّينَ سُبُوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، فَلَا يَبْقَى فِي
 الْأَرْضِ دِيكٌ إِلَّا أَجَابَهُ وَذَلِكَ قَوْلُهُ: وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ
 صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ^(١).

٢- أمير المؤمنين عليه السلام: عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: جَاءَ ابْنُ الْكَوَّاءِ
 إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام... فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَا ابْنَ الْكَوَّاءِ إِنَّ
 اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ فِي صُورٍ شَتَّى إِلَّا أَنْ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
 مَلَكًا فِي صُورَةِ دِيكٍ أَبَحَّ أَشْهَبَ بَرَاثِينُهُ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى
 وَعُرْفُهُ مُشْنَى تَحْتَ الْعَرْشِ لَهُ جَنَاحَانِ جَنَاحٌ فِي الْمَشْرِقِ وَجَنَاحٌ فِي
 الْمَغْرِبِ وَاحِدٌ مِنْ نَارٍ وَآخَرٌ مِنْ ثَلَجٍ فَإِذَا حَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ قَامَ عَلَى
 بَرَاثِينِهِ ثُمَّ رَفَعَ عُنُقَهُ مِنْ تَحْتَ الْعَرْشِ ثُمَّ صَفَّقَ بِجَنَاحَيْهِ كَمَا تَصَفِّقُ
 الدُّيُوكُ فِي مَنَازِلِكُمْ فَلَا الَّذِي مِنَ النَّارِ يُذِيبُ الثَّلَجَ وَلَا الَّذِي مِنَ الثَّلَجِ

(١) تفسير أهل البيت عليه السلام ج ١٠، ص ٢٨٤ - القمي، ج ٢، ص ١٠٧ / نور الثقلين / البرهان.

يُطْفِئُ النَّارَ فَيُنَادِي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا سَيِّدُ النَّبِيِّينَ وَأَنَّ وَصِيَّهُ سَيِّدُ الْوَصِيِّينَ وَأَنَّ اللَّهَ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ قَالَ فَتَخَفِقُ الدِّيَكَةُ بِأَجْنَحَتَيْهَا فِي مَنَازِلِكُمْ فَتُجِيبُهُ عَنْ قَوْلِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ مِنَ الدِّيَكَةِ فِي الْأَرْضِ^(١).

٣- الباقر عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ دِيكًا أَبْيَضَ عُنُقُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ وَرِجْلَاهُ فِي تُخُومِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ لَهُ جَنَاحٌ فِي الْمَشْرِقِ وَجَنَاحٌ فِي الْمَغْرِبِ لَا تَصِيحُ الدُّيُوكُ حَتَّى يَصِيحَ فَإِذَا صَاحَ خَفَقَ بِجَنَاحَيْهِ ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ قَالَ فَيُجِيبُهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَقُولُ لَا يَخْلِفُ بِي كَاذِبًا مَنْ يَعْرِفُ مَا تَقُولُ^(٢).

٤- الرّسول صلّى الله عليه وآله: أَنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دِيكًا رِجْلَاهُ فِي تُخُومِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى وَرَأْسُهُ عِنْدَ الْعَرْشِ ثَانِي عُنُقِهِ تَحْتَ الْعَرْشِ وَمَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ عز وجل خَلَقَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَرِجْلَاهُ فِي تُخُومِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى مَضَى مُصْعِدًا فِيهَا مَدَّ الْأَرْضِينَ حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا إِلَى أَفْقِ السَّمَاءِ ثُمَّ مَضَى فِيهَا مُصْعِدًا حَتَّى انْتَهَى قَرْنُهُ إِلَى الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ سُبْحَانَكَ رَبِّي وَإِنَّ لِدَلِكَ الدِّيكِ جَنَاحَيْنِ إِذَا نَشَرَهُمَا جَاوَزَا

(١) تفسير أهل البيت عليهم السلام ج ١٠، ص ٢٨٤ - التوحيد للصدوق، ص ٢٨٢ / نور الثقلين / البرهان.

(٢) تفسير أهل البيت عليهم السلام ج ١٠، ص ٢٨٦ - الكافي، ج ٧، ص ٤٣٧.

المُشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ فَإِذَا كَانَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ نَشَرَ جَنَاحَيْهِ وَخَفَقَ بِهِمَا
وَصَرَخَ بِالتَّسْبِيحِ يَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ سُبْحَانَ الْكَبِيرِ
الْمُتَعَالِ الْقُدُّوسِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ سَبَّحَتْ دَيْكَةُ
الْأَرْضِ كُلُّهَا وَخَفَقَتْ بِأَجْنِحَتَيْهَا وَأَخَذَتْ فِي الصُّرَاحِ فَإِذَا سَكَنَ ذَلِكَ
الدَّيْكَ فِي السَّمَاءِ سَكَنَتِ الدَّيْكَةُ فِي الْأَرْضِ فَإِذَا كَانَ فِي بَعْضِ السَّحَرِ
نَشَرَ جَنَاحَيْهِ فَجَاوَزَا الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ وَخَفَقَ بِهِمَا وَصَرَخَ بِالتَّسْبِيحِ
سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْقَهَّارِ سُبْحَانَ اللَّهِ ذِي الْعَرْشِ
الْمُجِيدِ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الرَّفِيعِ فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ سَبَّحَتْ دَيْكَةُ
الْأَرْضِ فَإِذَا هَاجَ هَاجَتِ الدَّيْكَةُ فِي الْأَرْضِ تُجَاوِبُهُ بِالتَّسْبِيحِ
وَالْتَقْدِيسِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِذَلِكَ الدَّيْكَ رِيْشٌ أَبْيَضٌ كَأَشَدَّ بَيَاضٍ مَا رَأَيْتُهُ
قَطُّ وَلَهُ زَغَبٌ أَخْضَرُ تَحْتَ رِيْشِهِ الْأَبْيَضِ كَأَشَدَّ خُضْرَةٍ مَا رَأَيْتُهَا قَطُّ فَمَا
زِلْتُ مُشْتَاقًا إِلَى أَنْ أَنْظُرَ إِلَى رِيْشِ ذَلِكَ الدَّيْكَ (١).

٥- الرِّسُولُ ﷺ: إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ لِبَحَارًا عُمُقُ أَحَدِهَا
مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ فِيهَا مَلَائِكَةٌ قِيَامٌ مُنْذُ خَلَقَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمَاءُ إِلَى
رُكْبِهِمْ لَيْسَ فِيهِمْ مَلَكٌ إِلَّا وَلَهُ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ جَنَاحٍ فِي كُلِّ جَنَاحٍ أَرْبَعَةٌ
وُجُوهُ فِي كُلِّ وَجْهِ أَرْبَعَةٌ أَلْسُنٌ لَيْسَ فِيهَا جَنَاحٌ وَلَا وَجْهٌ وَلَا لِسَانٌ وَلَا
فَمٌ إِلَّا وَهُوَ يُسَبِّحُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِتَسْبِيحٍ لَا يُشَبِّهُهُ نَوْعٌ مِنْهُ صَاحِبَهُ (٢).

(١) تفسير أهل البيت ﷺ ج ١٠، ص ٢٨٦ - التوحيد للصدوق، ص ٢٨٠ / البرهان.

(٢) تفسير أهل البيت ﷺ ج ١٠، ص ٢٨٨ - التوحيد للصدوق، ص ٢٨١ / البرهان.

٦- الصّادق عليه السلام: عَنْ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: مَا ضَاعَ مَالٌ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا بِتَضْيِيعِ الزَّكَاةِ وَلَا يُصَادُ مِنَ الطَّيْرِ إِلَّا مَا ضَيَّعَ تَسْبِيحُهُ. عَنْ سَالِمٍ مَوْلَى أَبَانٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ مَا مِنْ طَيْرٍ يُصَادُ إِلَّا بِتَرْكِهِ التَّسْبِيحِ وَمَا مِنْ مَالٍ يُصَابُ إِلَّا بِتَرْكِ الزَّكَاةِ^(١).

٧- الصّادق عليه السلام: مَا مِنْ طَيْرٍ يُصَادُ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ وَلَا يُصَادُ شَيْءٌ مِنَ الْوُحُوشِ إِلَّا بِتَضْيِيعِهِ التَّسْبِيحِ^(٢).

(١) تفسير أهل البيت عليه السلام ج ١٠، ص ٢٨٨ - الكافي، ج ٣، ص ٥٠٥.

(٢) تفسير أهل البيت عليه السلام ج ١٠، ص ٢٨٨ - بحار الأنوار، ج ٦١، ص ٢٤ / نور الثقلين.

الآية العشرون

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤]

فائدتان

الفائدة الأولى: الكمال والجمال وهو لفظ الجلالة

حول لفظ الجلالة لله ﷻ في ثلاثة محاور مختصرة، الله جلّ وعلا هو اللفظ الميمون المبارك الجامع لصفات الكمال والجمال في ذاته المقدسة وصفاته الجليلة وأفعاله الجميلة الحكيمة، ورد في القرآن الكريم عددًا كثير بلفظ الجلالة أو مع أدوات القسم كما جاء في إحصائه:

المحور الأول: معنى لفظ الجلالة

من هذه الفائدة يتضمن معنى لفظ الجلالة كما أفاد الأعلام من علماء الكلام والمفسرين:

٩٠.....موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

الله: أسم، علم، مُفرد، موضوع على ذات واجب الوجود.
وقال الشهيد في قواعده: الله اسم للذات لجريان النعوت عليه،
وقيل: هو اسم للذات مع جملة الصفات الإلهية، فإذا قلنا: الله، فمعناه
الذات الموصوفة بالصفات الخاصة، وهي صفات الكمال ونعوت
الجلال.

قال رحمته: وهذا المفهوم هو الذي يعبد ويوحّد وينزه عن الشريك
والنظير والمثل والند والضد^(١).

المحور الثاني: عدد كلمة لفظ الجلالة في القرآن الكريم.

وقد ذكر اسم الله في القرآن ٢٦٩٩ مرة، والجدير بالذكر أنه عدد
أولي ولا يقبل القسمة إلا على نفسه، ولا سم الله في القرآن سبع صيغ،
وقد ورد عددها كالاتي:

الله وردت في القرآن الكريم ٢٣٩٥ مرة

لله وردت في القرآن الكريم ١٤٣ مرة

تالله وردت في القرآن الكريم ٩ مرات

فالله وردت في القرآن الكريم ٦ مرات

بالله وردت في القرآن الكريم ١٣٩ مرة

(١) المقام الأسنى في تفسير أسماء الله الحُسنى، ص ٣٧-٣٨، الشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعمي.

فله وردت في القرآن الكريم ٦ مرات
أبالله وردت في القرآن الكريم مرة واحدة

وهو ما مجموعه ٢٦٩٩

المحور الثالث: امتيازات لفظ الجلالة

وهذا المحور الأخير بالنسبة لهذه الفائدة يتضمن امتيازات لفظ
الجلالة عن غيره من الأسماء الحُسنى المقدسة:

أ: أنه أشهر أسماء الله تعالى.

ب: أنه أعلاها محلاً في القرآن.

ج: أنه أعلاها محلاً في الدعاء.

د: أنه جعل أمام سائر الأسماء.

هـ: أنه خصّ به كلمة الإخلاص.

و: أنه وقعت به الشهادة.

ز: أنه علم على الذات المقدسة، وهو مختصّ بالمعبود الحق تعالى،
فلا يطلق على غيره حقيقةً ولا مجازاً، قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾
[مريم: ٦٥]، أي: هل تعلم أحداً يسمّى الله؟ وقيل: سميّاً أي: مثلاً
وشبيهاً.

ح: أن هذا الاسم الشريف دالٌّ على الذات المقدسة الموصوفة

٩٢.....موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

بجميع الكمالات، حتى لا يشذّ به شيء، وباقي أسمائه تعالى لا تدلّ أحادها إلا على آحاد المعاني، كالقادر على القدرة والعالم على العلم.

أو فعل منسوب إلى الذات، مثل قولنا: الرحمن، فإنه اسم للذات مع اعتبار الرحمة، وكذا الرحيم العليم.

والخالق: اسم للذات مع اعتبار وصف وجودي خارجي. والقدوس: اسم للذات مع وصف سلبي، أعني التقديس الذي هو التطهير عن النقائص.

والباقي: اسم للذات مع نسبة وإضافة، أعني البقاء، وهو نسبة بين الوجود والأزمنة، إذ هو استمرار الوجود في الأزمنة.

والأبدى: هو المستمر في جميع الأزمنة، فالباقي أعمّ منه.

والأزلي: هو الذي قارن وجوده جميع الأزمنة الماضية المحققة والمقدرة. فهذه الاعتبارات تكاد تأتي على الأسماء الحسنی بحسب الضبط.

ط: أنه اسم غير صفة، بخلاف سائر أسمائه تعالى، فإنها تقع صفات، أما أنه اسم غير صفة، فلأنك تصفه ولا تصف به، فتقول: إله واحد، ولا تقول شيء إله، وأما وقوع ما عداه من أسمائه الحسنی صفات، فلأنه يقال: شيء قادر وعالم وحي إلى غير ذلك.

ي: أن جميع أسمائه الحسنی يتسمى بهذا الاسم ولا يتسمى هو

بشيء منها، فلا يقال: الله اسم من أسماء الصبور أو الرحيم أو الشكور، ولكن يقال: الصبور اسم من أسماء الله تعالى.

إذا عرفت ذلك، فاعلم أنه قد قيل: إن هذا الاسم المقدس هو الاسم الأعظم. قال ابن فهد في عدته: وهذا القول قريب جداً، لأن الوارد في هذا المعنى كثير.

ورأيت في كتاب الدر المنتظم في السر الأعظم، للشيخ محمد بن طلحة بن محمد بن الحسين: أن هذا الاسم المقدس يدل على الأسماء الحسنى كلها التي هي تسعة وتسعون اسماً، لأنك إذا قسمت الاسم المقدس في علم الحروف على قسمين كان كل قسم ثلاثة وثلاثين، فتضرب الثلاثة والثلاثين في حروف الاسم المقدس بعد إسقاط المكرر وهي ثلاثة تكون عدد الأسماء الحسنى، وذكر أمثله أخرى في هذا المعنى^(١).

ورأيت في كتاب مشارق الأنوار وحقائق الأسرار، للشيخ رجب بن محمد بن رجب الحافظ: أن هذا الاسم المقدس أربعة أحرف - الله - أما إذا أخذ منه الألف بقي - لله - ولله كل شيء، فإن أخذ اللام وترك الألف بقي - إله - وهو إله كل شيء، وإن أخذ الألف من إله بقي - له - وله كل شيء، فإن أخذ من له اللام بقي - هو - وهو وحده لا شريك له، وهو لفظ يوصل إلى ينبوع العزة، ولفظ هو مركب من

(١) "هامش ٢٠ ص، ٤٢ كتاب المقام الأسنى في تفسير أسماء الله الحسنى".

٩٤.....موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ٢

حرفين، والهاء أصل الواو، فهو حرف واحد يدل على الواحد الحق،
والهاء أول المخارج والواو آخرها، فهو الأول والآخر والظاهر
والباطن.

ولما كان الاسم المقدس الأقدس أرفع أسماء الله تعالى شأنًا
وأعلاها مكانًا، وكان لجمالها جمالًا ولجمالها كمالًا، خرجنا فيه
بالإسهاب عن مناسبة الكتاب، والله الموفق للصواب^(١).

ومن أراد المزيد من المعرفة يُراجع ما كتبه الأعلام في الكتب المُعدة
حول لفظ الجلالة لله مثل:

كتاب حقيقة الأسماء الحُسنَى للشيخ أحمد الماحوزي.

كتاب أسماء الله الحُسنَى معانيها وخواصها للشيخ حبيب الله
الشريف الكاشاني.

كتاب المقام الأسنى في تفسير أسماء الله الحُسنَى للشيخ تقي الدين
إبراهيم الكفعمي.

كتاب شرح الأسماء الحُسنَى للسيد حسين الهمداني الدرود آبادي.

كتاب شرح الأسماء أو شرح دعاء الجوشن الكبير للمولى هادي
السبزواري.

(١) المقام الأسنى في تفسير أسماء الله الحُسنَى، ص ٣٩-٤٣، الشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعمي.

الفائدة الثانية : المسبحون الحقيقيون

المسبحون على أصنافٍ عدّة الأنبياء والمرسلين والأوصياء والملائكة والعلماء الذين بلغوا مبالغ من العلم والمعرفة والكمال والتقوى، هؤلاء يصدر التسبيح منهم بحق من خلال العلم والإيمان والمعرفة، والإطلاع على عالم الغيب، فمن كانَ بالله أعرف كانَ منه أخوف.

فالمُسبح الحقيقي من أتى بالتسبيح عن معرفة وإيمان لا يعتريه نقص عن الذات المقدّسة والصفات المباركة والأفعال العظيمة من خلال هذا المعنى يصدق عليه مسبحاً حقيقياً يترتب عليه الآثار من حيث المعتقد والسلوك فلا يُشبه ولا يعترض على قضاء الله وقدره، أما من كان لا يعتقد كذلك وان تلفظ بالتسبيح لا يحصل على الأثر من حيث الايمان والسلوك، وترتيب الثواب والجزاء، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلا له.

بعد ما تقدم من فوائد نتقل في حديقة علماء التفسير لجني ثمار هذه الآية المباركة

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٩)

قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي يَخْلُقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ إلى آخر الآية، الخالق هو الموجد للأشياء عن تقدير، والبارئ المنشئ للأشياء ممتازا

بعضها من بعض، والمصور المعطي لها صوراً يمتاز بها بعضها من بعض، والأسماء الثلاثة تتضمن معنى الإيجاد باعتبارات مختلفة وبينها ترتب فالتصوير فرع البرء والبرء فرع الخلق وهو ظاهر. وإنما صدر الآيتين السابقتين بقوله: ﴿الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فوصف به ﴿اللَّهُ﴾ وعقبه بالأسماء بخلاف هذه الآية إذ قال: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ﴾ إلخ.

لأن الأسماء الكريمة المذكورة في الآيتين السابقتين وهي أحد عشر اسماً من لوازم الربوبية ومالكية التدبير التي تتفرع عليها الألوهية والمعبودية بالحق وهي على نحو الأصالة والاستقلال لله سبحانه وحده لا شريك له في ذلك فاتصافه تعالى وحده بها يستوجب اختصاص الألوهية واستحقاق المعبودية به تعالى.

فالأسماء الكريمة بمنزلة التعليل لاختصاص الألوهية به تعالى كأنه قيل لا إله إلا هو لأنه عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم، ولذا أيضاً ذيل هذه الأسماء بقوله ثناء عليه:

﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ رداً على القول بالشركاء كما يقوله المشركون.

وأما قوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ فالمذكور فيه من الأسماء يفيد معنى الخلق والإيجاد واختصاص ذلك به تعالى لا يستوجب اختصاص الألوهية به كما يدل عليه أن الوثنيين قائلون

الآية العشرون ٩٧

باختصاص الخلق والإيجاد به تعالى وهم مع ذلك يدعون من دونه
أربابا وآلهة ويثبتون له شركاء.

وأما وقوع اسم الجلالة في صدر الآيات الثلاث جميعا فهو علم
للذات المستجمع لجميع صفات الكمال يرتبط به ويجري عليه جميع
الأسماء وفي التكرار مزيد تأكيد وتثبيت للمطلوب.

وقوله: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ إشارة إلى بقية الأسماء الحسنی عن
آخرها لكون الأسماء جمعا محلى باللام وهو يفيد العموم.

وقوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي جميع ما في العالم من
المخلوقات حتى نفس السماوات والأرض وقد تقدم توضيح معنى
الجملة مرارا.

ثم ختم الآيات بقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي الغالب غير
المغلوب الذي فعله متقن لا مجازفة فيه فلا يعجزه فيما شرعه ودعا إليه
معصية العاصين ولا مشاقة المعاندين ولا يضيع عنده طاعة المطيعين
وأجر المحسنين.

والعناية إلى ختم الكلام بالاسمين والإشارة بذلك إلى كون القرآن
النازل من عنده كلام عزيز حكيم هو الذي دعا إلى تكرار اسمه العزيز
وذكره مع الحكيم مع تقدم ذكره بين الأسماء. وقد وصف القرآن أيضا
بالعزة والحكمة كما قال: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [حم السجدة: ٤١]، وقال:

﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [يس: ٢].

ثانياً : وفقاً لتفسير النور

إشارات

- "البارئ" هو الخالق الذي تتمايز مخلوقاته بعضها عن بعض .
- هذه السورة هي السورة الوحيدة التي تبدأ بالتسبيح وتختتم به :
﴿سَبِّحْ لِلَّهِ... يُسَبِّحُ لَهُ﴾ ، والآية الأولى منها تتحدث عن عزّة الله وحكمته ، والآية الأخيرة منها تنتهي بوصف الله بأنه : عزيز حكيم .

النعاليم

- ١ - الله سبحانه هو الخالق الذي لم يخلق وفق نموذج سابق يبني عليه ، بل كلّ ما خلقه الله بديع غير مسبوق : ﴿الْخَلْقِ الْبَارِئِ الْمُصَوِّرِ﴾ .
- ٢ - من هو أهل لتسبيح الوجودات والموجودات كلّها ، هو الموجود الحائز على جميع الكمالات : ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ...﴾ .
- ٣ - تسبيح الموجودات ، يكشف عن شكلٍ من أشكال الشعور والوعي عند جميع الموجودات ، كلّ بحسبه : ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .
- ٤ - في تسبيح الموجودات ذكرى وموعظة للناس الذين ليسوا من أهل التسبيح : ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .

٥ - قدرة الله مقرونة بالحكمة، وبعيدة عن الجور والظلم: ﴿هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١)

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمل (ج ١٨)

وفي آخر آية مورد للبحث يشير سبحانه إلى ست صفات أخرى حيث يقول تعالى:

هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ

الْبَارِئُ^(١)

الْمُصَوِّرُ

ولأن صفات الله لا تنحصر فقط بالتى ذكرت في هذه الآية فإنه سبحانه يشير إلى صفة أساسية لذاته المقدسة اللامتناهية، حيث يقول عز وجل: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

ولهذا السبب فإنه سبحانه منزّه ومبرّأ من كلّ عيب ونقص ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ويعتبرونه تاماً وكاملاً من كلّ نقص

(١) البارئ من مادة «برء» على وزن (قفل) وهي في الأصل بمعنى التحرّر والتخلّص من الأمور السلبية، ولذا يقال (بارئ) للشخص الذي يوجد شيئاً غير ناقص وموزون بصورة تامة. وأخذ البعض - أيضاً - من مادة (برى) على وزن (نقى) قَطَّ الخشب، حيث ينجز هذا العمل بقصد الموزونية، وصرّح بعض أئمة اللغة أيضاً بأنّ البارئ هو الذي يبدأ شيئاً لم يكن له نظير في السابق.

وعيب.

وأخيرا - للتأكيد الأكثر على موضوع نظام الخلقة - يشير سبحانه إلى وصفين آخرين من صفاته المقدسة، التي ذكر أحدهما في السابق بقوله تعالى: وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

الأولى دليل كمال قدرته على كل شيء، وغلبته على كل قوة.

والثانية إشارة إلى علمه وإطلاعه ومعرفته ببرامج الخلق وتنظيم الوجود وتدبير الحياة.

وبهذه الصورة فإن مجموع ما ورد في الآيات الثلاث بالإضافة إلى مسألة التوحيد التي تكررت مرتين، فإن مجموع الصفات المقدسة لله سبحانه تكون سبع عشرة صفة مرتبة بهذا الشكل:

١ - عالم الغيب والشهادة.

٢ - الرحمن.

٣ - الرحيم.

٤ - الملك.

٥ - القدّوس.

٦ - السّلام.

٧ - المؤمن.

٨- المهيمن.

٩- العزيز.

١٠- الجبار.

١١- المتكبر.

١٢- الخالق.

١٣- الباري.

١٤- المصور.

١٥- الحكيم.

١٦- له الأسماء الحسنى.

١٧- الموجود الذي تسبّح له كلّ موجودات العالم.

ومع صفة التوحيد يصبح عدد الصفات ثمان عشرة صفة. ويرجى الانتباه إلى أنّ «التوحيد» «والعزيز» جاء كلّ منها مرّتين.

ومن بين مجموع هذه الصفات فإنّنا نلاحظ تنظيمًا خاصًا في الآيات الثلاث وهو: في الآية الأولى يبحث عن أعمّ صفات الذات وهي (العلم) وأعمّ صفات الفعل وهي (الرحمة) التي هي أساس كلّ أعماله تعالى.

وفي الآية الثانية يتحدّث عن حاكميته وشؤون هذه الحاكمية

١٠٢ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

وصفاته ك (القدّوس والسّلام والمؤمن والجبار والمتكبر) وبملاحظة معاني هذه الصفات - المذكورة أعلاه - فإنّ جميعها من خصوصيات هذه الحاكمية الإلهية المطلقة.

وفي الآية الأخيرة يبحث مسألة الخلق وما يرتبط بها من انتظام في مقام تسلسل الخلقة والتصوير، وكذلك البحث في موضوع القدرة والحكمة الإلهية.

وبهذه الصورة فإنّ هذه الآيات تأخذ بيد السائر في طريق معرفة الله، وتقودهم من درجة إلى درجة ومن منزل إلى منزل، حيث تبدأ الآيات أولاً بالحديث عن ذاته المقدّسة، ومن ثمّ إلى عالم الخلقة، وتارة أخرى بالسير نحو الله تعالى، حيث ترتفع روحه إلى سمو الواحد الأحد، فيتطهر القلب بالأسماء والصفات الإلهية المقدّسة، ويربى في أجواء هذه الأنوار والمعارف، حيث تنمو براعم التقوى على ظاهر أغصان وجوده، وتجعله لائقاً لقرب جواره لكي يكون وجوداً منسجماً مع كلّ ذرّات الوجود، مردّدين معا ترانيم التسبيح والتقديس.

لذا فلا عجب أن تختص هذه الآية بصورة متميّزة في الروايات الإسلامية التي سنشير إليها فيما يلي ..

ملاحظتان

١ - التأثير الخارق للقرآن الكريم

إنّ لتأثير القرآن الكريم في القلوب والأفكار واقعية لا تنكر، وعلى طول التاريخ الإسلامي لوحظت شواهد عديدة على هذا المعنى، وثبت عملياً أنّ أقدس القلوب عند سماعها لآيات محدودة من القرآن الكريم تلين وتخضع وتؤمن بالذي جاء بالقرآن دفعة واحدة، اللهمّ عدا الأشخاص المعاندين المكابرين فقد استثنوا من ذلك حيث طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون، وليس هنالك من أمل في هداية نفوسهم المدبرة عن الله سبحانه.

ونقرأ في الآيات أعلاه العرض الرهيب الذي يصوّر نزول القرآن على جبل، وما هو الأثر الذي سيحدثه حيث الخضوع والتصدّع والخشوع، وهذه كلّها دليل تأثير هذا الكلام الإلهي الذي نحسّ بحلاوة طعمه عند التلاوة المقرونة بحضور القلب.

٢ - عظمة الآيات الأخيرة لسورة الحشر

إنّ الآيات الأخيرة لهذه السورة - التي اشتملت على قسم مهمّ من الأسماء والصفات الإلهية - آيات خارقة وعظيمة وملهمة، وهي درس تربوي كبير للإنسان، لأنّها تقول له: إذا كنت تطلب قرب الله، وتريد العظمة والكمال .. فاقبّس من هذه الصفات نورا يضيء وجودك.

١٠٤ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

وجاء في بعض الروايات أنّ «اسم الله الأعظم» هو في الآيات الأخيرة من سورة الحشر^(١).

ونقرأ في حديث آخر عن رسول الله ﷺ «من قرأ آخر الحشر غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»^(٢).

وجاء في حديث آخر أنّه قال ﷺ: «من قرأ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ .. إلى آخرها، فمات من ليلته مات شهيداً»^(٣).

ويقول أحد الصحابة: سألت رسول الله ﷺ عن الاسم الأعظم لله، فقال ﷺ: «عليك بآخر الحشر وأكثر قراءتها»^(٤).

حتّى أنّه جاء في حديث: «أنّها شفاء من كلّ داء إلاّ السّام، والسّام: الموت»^(٥).

والخلاصة أنّ الروايات التي جاءت في هذا المجال كثيرة في كتب الشيعة وأهل السنّة، وتدلّ جميعها على عظمة هذه الآيات ولزوم التفكّر في محتواها. والجدير بالملاحظة أنّ هذه السورة كما أنّها بدأت بتسبيح الله واسمه العزيز الحكيم، فكذلك انتهت باسمه العزيز

(١) مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٦٧.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٥ ص ٢٩٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الدرّ المنثور، ج ٦، ص ٢٠١.

الآية العشرون ١٠٥

الحكيم، إذ أنّ الهدف النهائي للسورة هو معرفة الله وتسبيحه والتعرّف على أسمائه وصفاته المقدّسة.

وحول أسماء الله - التي أشير إليها في الآيات أعلاه - كان لدينا بحث مفصّل في نهاية الآية (١٨) من سورة الأعراف.

اللّهُمَّ، نقسم عليك بعظمة أسمائك وصفاتك أن تجعل قلوبنا خاشعة خاضعة أمام القرآن الكريم.

ربّنا إنّ مصيدة الشيطان خطيرة، ولا خلاص لنا منها إلّا بلطفك، فاحفظنا في ظلّ لطفك من وساوس الشيطان.

إلهنا، تفضّل علينا بروح الإيثار والتقوى والابتعاد عن البخل والبغض والحسد، وجنبنا حبّ الذات والأنانية ..

آمين يا ربّ العالمين.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

١ - الصادق عليه السلام: عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَاشْتِقَاقِهَا اللَّهُ مِمَّا هُوَ مُشْتَقٌّ قَالَ فَقَالَ لِي يَا هِشَامُ اللَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْ إِلَهٍ وَالْإِلَهِ يَقْتَضِي مَأْلُوهَا وَالْإِسْمُ غَيْرُ الْمُسَمَّى فَمَنْ عَبْدَ الْإِسْمِ دُونَ الْمَعْنَى فَقَدْ كَفَرَ وَلَمْ يَعْبُدْ شَيْئاً وَمَنْ عَبْدَ الْإِسْمِ وَالْمَعْنَى فَقَدْ كَفَرَ وَعَبَدَ اثْنَيْنِ وَمَنْ عَبْدَ الْمَعْنَى دُونَ الْإِسْمِ فَذَاكَ التَّوْحِيدُ أَفْهَمْتَ يَا هِشَامُ قَالَ فَقُلْتُ زِدْنِي قَالَ إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً فَلَوْ كَانَ الْإِسْمُ هُوَ

المُسَمَّى لَكَانَ كُلُّ اسْمٍ مِنْهَا إِلَهَا وَلَكِنَّ اللَّهَ مَعْنَى يُدَلُّ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَكُلُّهَا غَيْرُهُ يَا هِشَامُ الْخُبْزُ اسْمٌ لِلْمَأْكُولِ وَالْمَاءُ اسْمٌ لِلْمَشْرُوبِ وَالثَّوْبُ اسْمٌ لِلْمَلْبُوسِ وَالنَّارُ اسْمٌ لِلْمُحْرِقِ أَ فَهَمْتَ يَا هِشَامُ فَهَهَا تَدْفَعُ بِهِ وَتَنَاضِلُ بِهِ أَعْدَاءَنَا وَالْمُتَّخِذِينَ مَعَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ غَيْرُهُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَقَالَ نَفَعَكَ اللَّهُ بِهِ وَتَبَّتْكَ يَا هِشَامُ قَالَ هِشَامُ فَوَ اللَّهُ مَا قَهَرَنِي أَحَدٌ فِي التَّوْحِيدِ حَتَّى قُمْتُ مَقَامِي هَذَا^(١).

٢-١ - علي بن إبراهيم رحمه الله عليه: قَوْلُهُ ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ﴾ الْبَارِئُ هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ الشَّيْءَ لَا مِنْ شَيْءٍ^(٢).

٢-٢ - الرضا عليه السلام: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ هَلْ كَانَ اللَّهُ عَارِفًا بِنَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ يُرِيدُهَا وَيَسْمَعُهَا قَالَ مَا كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْأَلُهَا وَلَا يَطْلُبُ مِنْهَا هُوَ نَفْسُهُ وَنَفْسُهُ هُوَ قُدْرَتُهُ نَافِذَةٌ فَلَيْسَ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُسَمَّى نَفْسُهُ وَلَكِنَّهُ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ أَسْمَاءً لِغَيْرِهِ يَدْعُوهُ بِهَا لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَدْعَ بِاسْمِهِ لَمْ يُعْرِفْ^(٣).

٢-٣ - الرضا عليه السلام: الْخَالِقُ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَخَالِقٌ إِذَا لَا مَخْلُوقٌ^(٤).

(١) ج ١٦، ص ١٧٨ - الكافي، ج ١، ص ٨٧ / البرهان.

(٢) ج ١٦، ص ١٧٨ - التوحيد، ص ١٩١ / القمي، ج ٢، ص ٣٦٠.

(٣) ج ١٦، ص ١٧٨ - بحر العرفان، ج ١٥، ص ٣٦٧.

(٤) ج ١٦، ص ١٧٨ - نور الثقلين.

٢-٤ - أمير المؤمنين عليه السلام: وَالْخَالِقُ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ^(١).

٢-٥ - الجواد عليه السلام: وَإِنْ كُنْتَ تَقُولُ هَذِهِ الصِّفَاتُ وَالْأَسْمَاءُ لَمْ تَزَلْ فَإِنَّ لَمْ تَزَلْ مُحْتَمِلٌ مَعْنَيْنِ فَإِنْ قُلْتَ لَمْ تَزَلْ عِنْدَهُ فِي عِلْمِهِ وَهُوَ مُسْتَحِقُّهَا فَنَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ تَقُولُ لَمْ يَزَلْ تَصَوِّرُهَا وَهَجَاؤُهَا وَتَقْطِيعُ حُرُوفِهَا فَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ شَيْءٌ غَيْرُهُ بَلْ كَانَ اللَّهُ وَلَا خَلْقَ ثُمَّ خَلَقَهَا وَسِيلَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ يَتَضَرَّعُونَ بِهَا إِلَيْهِ وَيَعْبُدُونَهُ وَهِيَ ذِكْرُهُ وَكَانَ اللَّهُ وَلَا ذِكْرَ^(٢).

(١) ج ١٦، ص ١٧٨ - نهج البلاغة، ص ٢١٢ / نور الثقلين.

(٢) ج ١٦، ص ١٨٠ - الكافي، ج ١، ص ١١٦.

الآية الواحدة والعشرون

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ
الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١]

حول اسم من أسماء الله الحسنى

هذه الآية الأولى من سورة الجمعة والتي أفتتحت بلفظ (يُسَبِّحُ) بالتالي عُدت هذه السورة المباركة بناءً على هذا اللفظ الجليل من ضمن السور المسبحات كما أشرنا في الفصل الثاني المتضمن لفظ (سَبَّحَ) والمُشتمل على الآيات الكرييات، أول آية من سورة الحديد قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١] وأول آية من سورة الحشر قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١] وكذلك أول آية من سورة الصف قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الصف: ١]

فنجد أن هذه السورة المباركة سورة الجمعة أستهلّت في بدايتها

بتسبيح الموجودات، عالم السماوات وعالم الأرضين وما بينهما تسبح
الله وتقدسهُ ﷻ وهذا دليل على وحدانيته وعلمه وعظيم صفاته جلّ
وعلاء، فهو خالق من في السماوات والأرض ومالكها تُقدسهُ
بتسبيحها عن النقص في الخلقة والعبث والأقذار والشرك وكل ما لا
يليق بجلالة قدسه، فمن اللازم أن نتعرف على هذا الأسم ﴿الْقُدُّوسِ﴾
ونذكر ما أفاده الشيخ جعفر السُّبحاني دام ظله في الجزء السادس من
كتاب تفسير موضوعي لمفاهيم القرآن عن تعداد ورودها في القرآن
المجيد وتعريفها كآتي:

الْقُدُّوس

قد جاء القُدُّوس في الذكر الحكيم مرتين ووقع وصفاً له سبحانه في
كلا الموردين.

قال سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ
الْمُؤْمِنُ الْمُهِمِّنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر:
٢٣] وقال ﷻ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ١].

كما أنه جاء المقدّس مذكراً ومؤثراً في موارد ثلاثة ووقع وصفاً
للوادي والأرض.

قال سبحانه: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات: ١٦].

الآية الواحدة والعشرون ١١١

وقال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾

[طه: ١٢].

وقال سبحانه: ﴿يَقُومُوا أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١].

ومن ملاحظة مجموع الآيات، يعرف معناه.

وهو كما قال ابن فارس: شيء يدل على الطهر، والأرض المقدسة
المطهرة، وتسمى الجنة حظيرة القدس، وجبرئيل (روح القدس)
ووصف الله تعالى ذاته بالقدوس بذلك المعنى لأنه منزّه عن الأضداد
والأنداد والصاحبة والولد. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فالظاهر مما ورد من هذه المادة في القرآن الكريم هو الطهارة من
القذارة المعنوية والمزاهة عما لا يناسب ساحة الشيء.

قال تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ^ط
قَالَ إِنِّي أَغْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

والظاهر أنّ التسبيح والتقديس في الآية بمعنى واحد، وهو تنزيه
عن الشرك والمثل، وكل ما يعد نقصاً.

وهناك نكتة لافتة للنظر وهو أنّ اسم القدّوس ورد بعد اسم الملك
في الآيتين ولعله لبيان أنّ كونه تعالى ملكاً يفارق كون غيره ملكاً،

فالملوكية جُبلت على الظلم والتعدي والإفساد.

قال ﷺ: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]. وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩].

فذكره مع أسم (القدُّوس) لتبيين نزاهته من كل ما ينسب إلى الملوك من الأفعال والصفات، ثم إن اسم القدوس يدل على تعاليه عن كل ما لا يناسب ساحته فيندرج تحته الصفات السلبية التي ذكرها المتكلمون في كتبهم وهي:

- ١- واحد ليس له نظير ولا مثيل.
- ٢- ليس بجسم ولا في جهة ولا في محل ولا حال ومتحد.
- ٣- ليس محلاً للحوادث.
- ٤- لا تقوم اللذة والألم بذاته.
- ٥- ليست حقيقته معلومة لغيره بكنهه وبالتالي ليس جوهرًا ولا عرضًا.

وقد برهن المتكلمون عن نفي هذه الصفات عن ساحته ببراہين رصينة من أراد فليرجع إليها^(١).

(١) تفسير موضوعي للقرآن مفاهيم القرآن، الجزء السادس، الشيخ جعفر السبحاني، ص ٣٤٢-

إضاءة تفسيرية على مائدة علماء التفسير حول هذه الآية المباركة

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٩)

قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ التسبيح تنزيه الشيء ونسبته إلى الطهارة والنزاهة من
العيوب والنقائص، والتعبير بالمضارع للدلالة على الاستمرار،
والملك هو الاختصاص بالحكم في نظام المجتمع، والقدوس مبالغة في
القدس وهو النزاهة والطهارة، والعزيز هو الذي لا يغلبه غالب،
والحكيم هو المتقن فعله فلا يفعل عن جهل أو جزاف.

وفي الآية توطئة وتمهيد برهاني لما يتضمنه قوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ﴾
إلخ، من بعثة الرسول لتكميل الناس وإسعادهم وهدايتهم بعد إذ
كانوا في ضلال مبين.

وذلك أنه تعالى يسبحه وينزهه الموجودات السماوية والأرضية بما
عندهم من النقص الذي هو متممه والحاجة التي هو قاضيتها فما من
نقيصة أو حاجة إلا وهو المرجو في تمامها وقضائها فهو المسبح المنزه
عن كل نقص وحاجة فله أن يحكم في نظام التكوين بين خلقه بما شاء،
وفي نظام التشريع في عبادته بما أراد، كيف لا؟ وهو ملك له أن يحكم في
أهل مملكته وعليهم أن يطيعوه.

وإذا حكم وشرع بينهم ديناً لم يكن ذلك منه حاجة إلى تعبيدهم ونقص فيه يتممه بعبادتهم لأنه قدوس منزّه عن كل نقص وحاجة. ثم إذا حكم وشرع وبلغه إياهم عن غنى منه ودعاهم إليه بوساطة رسله فلم يستجيبوا دعوته وقرّدوا عن طاعته لم يكن ذلك تعجيزاً منهم له تعالى لأنه العزيز لا يغلبه فيما يريده غالب.

ثم إن الذي حكم وشرعه من الدين بما أنه الملك القدوس العزيز ليس يذهب لغى لا أثر له لأنه حكيم على الإطلاق لا يفعل ما يفعل إلا لمصلحة ولا يريد منهم ما يريد إلا لنفع يعود إليهم وخير ينالونه فيستقيم به حالهم في دنياهم وآخرهم.

وبالجملة فتشريعه الدين وإنزاله الكتاب بيعث رسول يبلغهم ذلك بتلاوة آياته، ويزكيهم ويعلمهم من منه تعالى وفضل كما قال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ﴾ إلخ.

ثانياً : وفقاً لتفسير النور

ملاحظة سورة الجمعة

سورة الجمعة مدنية، عدد آياتها إحدى عشرة آية.

من الأهداف الأساس لهذه السورة ترغيب المسلمين وحثهم على المشاركة في صلاة الجمعة والحضور فيها.

ابتدأت هذه السورة بتسييح الله تعالى وتبيين بعثة نبي الإسلام، ثم

شرعت تطلب من المسلمين ألا يكونوا كاليهود الذين حملوا التوراة؛ ولكنهم لم يحملوها كما ينبغي حملها ولم يعملوا بها. وتطلب هذه السورة من المسلمين ترك أعمالهم التجارية عند سماعهم نداء الصلاة من يوم الجمعة، وأن يسارعوا إلى ذكر الله، وإذا لم يفعلوا فهم مستحقون للعقاب والتفريع.

وقد ورد الحث على قراءة سورة الجمعة، ليلة الجمعة وفي الركعة الأولى من صلاة الجمعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

إشارات

- تبتدئ السورة السابقة بقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ﴾، وتبتدئ هذه السورة بالفعل نفسه ولكن بصيغة المضارع: ﴿يُسَبِّحُ﴾.

ولربما دلّ هذا على أن تسبيح الله تعالى، وجد في ما مضى، وهو الآن موجود، وسيبقى.

- يُحتمل أن تكون الصفات الأربعة في هذه الآية (الملك، القدوس، العزيز، الحكيم) مقدمة للآية التالية إذ يقول تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾، ليبين الله تعالى أن إرساله الرسل ليس ناشئاً عن

١١٦ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

حاجته للعبادة، بل لأنه الحاكم المنزه والمقتدر، وقد بعث الأنبياء على أساس حكمته ليخرج الناس من الظلمات إلى النور عن طريق تزكيتهم وتربيتهم وتعليمهم الدين والحكمة.

- تسبيح الله تعالى هو أساس كل العقائد والأفكار الإسلامية الصحيحة:

التوحيد: مبني على أساس تسبيح الله وتنزيهه عن الشرك:
﴿سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الطور: الآية ٤٣].

العدل: مبني على أساس تنزيه الله عن الظلم: ﴿سُبْحَنَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [سورة القلم: الآية ٢٩].

النبوة والإمامة: مبنيان على أساس تسبيح الله، يعني أن الله منزّه عن أن يترك البشر لحال أنفسهم دون هداية، والأشخاص الذين يقولون إن الله لم يوج إلى أحد من عباده ولم يهدهم؛ لا يعرفون الله حق معرفته: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [سورة الأنعام: الآية ٩١].

المعاد: مبني على أساس تسبيح الله وتنزيهه عن العبث والباطل وعن الأعمال التي لا فائدة منها (اللغو): ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ﴾ [آل عمران: ١٩١]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

نعم، إذا ما نزه الإنسان الله تعالى عن كل عيب ونقص، فسوف

يصبح معشوقه ومعبوده، وسيتقيه ويتوكل عليه، وسوف ينظم كل علاقاته الاجتماعية وحركاته وأفعاله وفقاً لما يرضاه سبحانه وتعالى.

أهمية النسب ومكانه

- جاء في القرآن الكريم الأمر بالتوكل ٨ مرّات، والأمر بالاستغفار ٨ مرّات، والأمر بالعبادة ٥ مرّات، والأمر بذكر الله ٥ مرّات، والأمر بالتكبير مرّتين والأمر بالسجود مرّات عدة، أمّا الأمر بالتسبيح فذكر ١٦ مرّة.

- روى الإمام الصادق عليه السلام عن نبي الإسلام ﷺ أنه قال: "إذا ما قال العبد (سبحان الله) سبح معه كل ما تحت العرش ويعطى جزاؤه عشرة أضعاف، وإذا ما قال (الحمد لله) أعطاه الله من نعم الدنيا حتى يلاقي ربه وعندها يعطيه الله من نعم الآخرة" (١).

- تسبيح الله هو من أنواع شكره تعالى، جاء في القرآن قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ... فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [النصر: ١-٣].

- تسبيح الله كفارة للكلام الذي يقال أو يُسمع في المجالس. نقرأ في الحديث أن رسول الله ﷺ عندما كان يقوم من المجلس كان يقول: "سبحانك اللهم وبحمدك، ثم يقول: "ذلك كفارة لما يكون في المجلس".

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٣٠.

- التسبيح وسيلة للنجاة، يقول القرآن في نبي الله يونس عليه السلام: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلِئْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣].

نقرأ في حديث آخر أن من قال سبحان الله: "صلى عليه كل ملك" ^(١).

- من ضمن الأعمال التي وُصِيَ بها في أسحار شهر رمضان المبارك، قراءة دعاء تبدأ كل جملة به (سبحان الله)، "سبحان من يعلم جوارح القلوب، ... سبحان الربّ الودود...".

- وقد ورد في الحديث أنه دخل شخص إلى منزل الإمام الصادق عليه السلام وكان الإمام يصلي، فرآه يكرر ذكر سبحان الله ستين مرة. ونقرأ أيضاً أن الإمام الصادق عليه السلام كان يكرر ذكر سبحان الله في السجود خمسين مرة ^(٢).

نسيخ الطهجات

في النظرة الإلهية للكون، عبادة الله ليست من خصائص الإنسان، بل كل الموجودات في حالة تعبد.

- طلب شخص معجزة من رسول الله ﷺ، فقبض ﷺ قبضة من الأرض ووضعها في يده وبأمر من الرسول الأكرم وبإذن من الله

(١) بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ١٢١.

(٢) الوافي، ج ٢، ص ١٥٧.

تعالى سمع الرجل تسبيح الحصى^(١).

- يقول الرسول الأكرم عليه السلام: "...فربّ مركوبة خير من راكبها؛ هي أكثر ذكراً لله تعالى منه." ^(٢).

- ينبغي أن نشير إلى مجموعة من الملاحظات حول تسبيح الموجودات في الكون:

أ) يعتبر القرآن الكريم أنّ تسبيح الموجودات، نابع عن دراية وعلم وشعور: ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [سورة النور: الآية ٤١].

ب) ليس بمقدور أي شخص أن يدرك تسبيح سائر الموجودات: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [سورة الإسراء: الآية ٤٤].

ج) تسبيح الموجودات متفاوت ومختلف. ينقل الإمام السجاد عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: "إن الطير إذا أصبحت سبّحت ربّها وسألته قوت يومها" ^(٣).

يقول الشاعر الإيراني نظامي، في هذا المجال ما ترجمته:

هل تعرف لماذا كواكب الأفلاك

تدور حول مركز العالم

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٣، ص ٩٦.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٣، ص ١٢٢.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٣، ص ١٢١.

١٢٠ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

ماذا تريد، برحيلها عن المنزل
عَمّا تبحث في سفرها هذا
في هذا المحراب، من معبودها
ماذا تقصد بقدمها هذا
جميعها في حالة دوران وحيرة
تطلب موجدتها

وكذلك يقول حافظ الشيرازي:

ليس فوق نور وجهك نور
وليس فوق منّك على الإنسان منُّ^١
الناظر إلى وجهك كالناظر إلى كل شيء
ليس هناك جمال يفوق جمالك

ويقول (الملا هادي السبزواري) في كتابه الفلسفي، المعروف
بمنظومة السبزواري:

ليس هناك موسى ليسمع نداء: (أنا الحق).
وإلا فإن صوت الشجر ليس حفيف ورقها فحسب.

ويقول (مولوي):

كل ذرات العالم في الخفاء
تحدثك صباحا ومساء
نملك السمع والبصر والذكاء
ولكن لا نستطيع درك أسرار الخفاء

النعالم

- ١ - الوجود كله في حالة تسبيح دائمة، بحسب الرؤية الكونية الإلهية: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.
- ٢ - لا يوجد اختلاف في التسبيح التكويني بين موجودات السماء والأرض، وبين الجمادات، والنباتات، والحيوانات، والإنسان: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.
- ٣ - وجود دليل، وبرهان، وميزان للمدح والثناء أمر إلزامي. الذي يمتلك الحكم، والقداسة، والعزة، والحكمة معاً هو فقط الذي يحق تسبيحه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ... الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.
- ٤ - حكم الله وملكه مقرون بالقداسة، والحكمة، والقدرة: ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾.
- ٥ - حكومة الله مقرونة بالحكمة: ﴿الْمَلِكِ... الْحَكِيمِ﴾.
- ٦ - إن الله عزيز: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وكذلك نبيه والمؤمنون

١٢٢ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

والقرآن: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة المنافقون: الآية ٨]، ﴿وَإِنَّهُ
لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [سورة فصلت: الآية ٤١].

٧- إنما يكون للقدره قيمة حينما تكون مقرونة بالحكمة: ﴿الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾، إن الله قادر كما هو حكيم، أمّا اقتدار الآخرين عادة ما يكون
مقروناً بالاستكبار والاستعمار.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ١٨)

الآيات [سورة الجمعة (٦٢): الآيات ١ إلى ٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ١ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ
قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٢ وَعَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ٣ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٤﴾.

التفسير

الهدف من بعثة الرسول

تبدأ هذه السورة كذلك بالتسبيح لله عز وجل، وتشير إلى بعض صفات
الجمال والجلال والأسماء الحسنى لله.

ويعتبر ذلك في الحقيقة مقدمة للأبحاث القادمة، حيث يقول
تعالى: يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ حيث يسبحونه

الآية الواحدة والعشرون ١٢٣

بلسان الحال والقال وينزّهونه عن جميع العيوب والنقائص المُلِك
القُدّوس العَزِيز الحَكِيم.

وبناء على ذلك تشير الآية أوّلاً إلى «المالكية والحاكمية المطلقة»،
ثمّ «تنزّهه من أي نوع من الظلم والنقص» وذلك لارتباط اسم الملوك
بأنواع المظالم والمآسي، فجاءت كلمة «قُدّوس» لتنفي كلّ ذلك عنه
جلّ شأنه.

ومن جانب آخر فالآية تركّز على ركنين أساسيين من أركان
الحكومة هما «القدرة» و«العلم» وسنرى أنّ هذه الصفات ترتبط
بشكل مباشر بالأبحاث القادمة لهذه السورة.

ونشير هنا إلى أنّ ذكر صفات الحقّ تعالى في الآيات القرآنية
المختلفة جاءت ضمن نظام وترتيب وحساب خاصّ.
وكنا قد تعرّضنا سابقاً لتسبيح كافة المخلوقات.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

فضيلة سورة الجمعة

١ - الصادق عليه السلام: الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ إِذَا كَانَ لَنَا شِيعَةٌ أَنْ
يَقْرَأَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ بِالْجُمُعَةِ وَسَبِّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَفِي صَلَاةِ الظُّهْرِ
بِالْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ^(١).

(١) ج ١٦، ص ٢٤٤ - ثواب الأعمال، ص ١١٨ / نور الثقلين / البرهان.

٢- الباقر عليه السلام: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ ... فِي الرَّجُلِ يُرِيدُ أَنْ يَقْرَأَ بِسُورَةِ الْجُمُعَةِ فِي الْجُمُعَةِ فَيَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ قَالَ يَرْجِعُ إِلَى سُورَةِ الْجُمُعَةِ (١).

٣- الصادق عليه السلام: مَنْ صَلَّى الْجُمُعَةَ بِغَيْرِ الْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ أَعَادَ الصَّلَاةَ فِي سَفَرٍ أَوْ حَضَرٍ وَرَوَى لَا بَأْسَ فِي السَّفَرِ أَنْ يَقْرَأَ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (٢).

٤- الباقر عليه السلام: عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَعْيَنَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ يَقُولُ اقْرَأْ سُورَةَ الْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ فَإِنْ قَرَأْتَهُمَا سُنَّةً فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي الْغَدَاةِ وَالظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَقْرَأَ بِغَيْرِهِمَا فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ يَعْنِي يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِمَامًا كُنْتَ أَوْ غَيْرَ إِمَامٍ (٣).

٥- الصادق عليه السلام: عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام بِمَا أَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَقَالَ اقْرَأْ فِي الْأُولَى بِسُورَةِ الْجُمُعَةِ وَفِي الثَّانِيَةِ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثُمَّ اقْنُتْ حَتَّى تَكُونَ سَوَاءً (٤).

٦- الصادق عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَ بِالْجُمُعَةِ الْمُؤْمِنِينَ فَسَنِّهَا رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليهم بِشَارَةٍ هُمْ وَالْمُنَافِقِينَ تَوْبِيخًا لِلْمُنَافِقِينَ وَلَا يَنْبَغِي تَرْكُهَا فَمَنْ

(١) ج ١٦، ص ٢٤٤ - الكافي، ج ٣، ص ٤٢٦ / نور الثقلين.

(٢) ج ١٦، ص ٢٤٤ - الكافي، ج ٣، ص ٤٢٦ / نور الثقلين.

(٣) ج ١٦، ص ٢٤٤ - علل الشرايع، ج ٢، ص ٣٥٦ / نور الثقلين.

(٤) ج ١٦، ص ٢٤٤ - الكافي، ج ٣، ص ٤٢٥ / نور الثقلين.

تَرْكَهَا مُتَعَمِّدًا فَلَا صَلَاةَ لَهُ^(١).

٧- الصَّادِقُ عليه السلام: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: الْقِرَاءَةُ فِي الصَّلَاةِ فِيهَا شَيْءٌ مُؤَقَّتٌ؟ قَالَ: لَا إِلَّا الْجُمُعَةُ فَإِنَّهُ يُقْرَأُ فِيهَا الْجُمُعَةُ وَالْمُنَافِقِينَ^(٢).

٨- الصَّادِقُ عليه السلام: اقْرَأْ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ بِالْجُمُعَةِ وَسَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَفِي الْفَجْرِ سُورَةَ الْجُمُعَةِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَفِي الْجُمُعَةِ بِالْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ^(٣).

٩- الصَّادِقُ عليه السلام: عَنْ الْحَلْبِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الْقِرَاءَةِ فِي الْجُمُعَةِ إِذَا صَلَّيْتُ وَحْدِي أَرْبَعًا أَجْهَرُ بِالْقِرَاءَةِ فَقَالَ نَعَمْ وَقَالَ اقْرَأْ بِسُورَةِ الْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ^(٤).

نُوبِ الْقِرَاءَةِ

١- الصَّادِقُ عليه السلام: مَنْ قَرَأَهَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فِي صَبَاحِهِ وَمَسَائِهِ أَمِنَ مِنْ وَسْوَسةِ الشَّيْطَانِ وَغَفَرَ لَهُ مَا يَأْتِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الْيَوْمِ الثَّانِي^(٥).

٢- الصَّادِقُ عليه السلام: الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ إِذَا كَانَ لَنَا شِيعَةٌ أَنْ

(١) ج ١٦، ص ٢٤٦ - الكافي، ج ٣، ص ٤٢٥ / نور الثقلين / البرهان.

(٢) ج ١٦، ص ٢٤٦ - نور الثقلين.

(٣) ج ١٦، ص ٢٤٦ - الكافي، ج ٣، ص ٤٢٥ / نور الثقلين؛ «بتفاوت لفظي».

(٤) ج ١٦، ص ٢٤٦ - الكافي، ج ٣، ص ٤٢٥ / نور الثقلين.

(٥) ج ١٦، ص ٢٤٦ - البرهان.

يَقْرَأُ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ بِالْجُمُعَةِ وَسَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَفِي صَلَاةِ الظُّهْرِ بِالْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَكَأَنَّمَا يَعْمَلُ كَعَمَلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ جَزَاؤُهُ وَثَوَابُهُ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةَ^(١).

٣- الرسول ﷺ: مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْجُمُعَةِ أُعْطِيَ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ أَتَى الْجُمُعَةَ وَبَعْدَ مَنْ لَمْ يَأْتِهَا فِي أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ^(٢).

٤- الرسول ﷺ: مَنْ قَرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ اجْتَمَعَ فِي الْجُمُعَةِ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ. وَمَنْ قَرَأَهَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ أَوْ نَهَارٍ أَمِنَ مِمَّا يَخَافُ وَصُرِفَ عَنْهُ كُلُّ مَحْذُورٍ^(٣).

[سورة الجمعة (٦٢): آية ١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾

١- علي بن إبراهيم رحمه الله عليه- يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ الْقُدُّوسُ الْبَرِيُّ مِنْ الْأَفَاتِ الْمُوجِبَاتِ لِلْجَهْلِ^(٤).

٢- الصادق عليه السلام: وَمَتَى عَلِمْنَا أَنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ صَدَّقْنَا بِأَنَّ أَفْعَالَهُ

(١) ج ١٦، ص ٢٤٦- ثواب الأعمال، ص ١١٨/ نور الثقلين/ البرهان.

(٢) ج ١٦، ص ٢٤٦- مستدرک الوسائل، ج ٤، ص ٣٥٢/ نور الثقلين.

(٣) ج ١٦، ص ٢٤٦- القمى، ج ٢، ص ٣٦٥/ البرهان.

(٤) ج ١٦، ص ٢٤٨- نور الثقلين/ البرهان؛ «يسبح لله ما فى السماوات... العزيز الحكيم» محذوف.

الآية الواحدة والعشرون ١٢٧

كُلَّهَا حِكْمَةٌ وَإِنَّ وَجْهَهَا غَيْرُ مُنْكَشِفٍ^(١).

(١) ج ١٦، ص ٢٤٨ - نور الثقلين.

الآية الثانية والعشرون

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١]

مالكية الله

كما سَبَقَ القول في مطلع التعليق حول الآية الكريمة السابقة [آية الجمعة]، تُعد سورة التغابن من ضمن السور المُسَبِّحات كونها أفتتحت بالتسبيح، فهذه الآية الشريفة تضمنت التسبيح من أهل السماوات والسماوات نفسها وأهل الأرضين والأرضين نفسها سبّحوا لله سُبْحَانَ اللَّهِ. تضمنت الآية المُلْكُ لله وتضمنت الحمد له سبحانه وتضمنت كذلك عالم البعث والنشور، فسَنَسِلُطُ الضوء في الحديث حول المالكية لله الواحد القهار، فالله تعالى هو الملك والمالك الحقيقي للموجودات، لأنه خلقها وصورها وأنشأها ورباها ورزقها وهداها وهو المتصرف المطلق في وجودها وعدمه، فلتتعرف على عالم الملك والملكوت عبر ما جادت به أقلام الطائفة مثل زعيم الحوزة العلمية آية

الله العُظمى السيد أبو القاسم الخوئي طاب ثراه في كتاب البيان في تفسير القرآن:

الملك لُغَةً: الإحاطة والسلطة، وهذه قد تكون خارجية حقيقية كما في إحاطته تعالى بالموجودات، فإن كل موجود إنما يتقوم في ذاته بخالقه وموجوده، وليس له واقع مستقل سوى التدلي والارتباط بعلته الموجودة، والممكن فقير محتاج إلى المؤثر في حدوثه وفي بقاءه، فهو لا ينفك عن الحاجة أبداً، قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨] وقد تكون اعتبارية، كما قي ملكية الناس للأشياء، فإن ملكية زيد لما بيده ليست إلا اعتبار كونه مالكاً لذلك الشيء، وأن زمام أمره بيده، وذلك عند حدوث سبب يقتضيه من عقد أو إيقاع أو حيازة أو إرث أو غير ذلك، حسب ما توجبه المصلحة في نظر الشارع أو العقلاء. والملكية عند الفلاسفة هيئة حاصلة من إحاطة شيء بشيء، وهي أحد الأعراض التسعة ويعبر عنها بمقولة الجدة، كالهئية الحاصلة من إحاطة العمامة بالرأس أو الخاتم بالإصبع^(١).

وصدق أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام حينما يتضرع إلى الله ﷻ في تعقيباته المنزّهة لله عن الظلم لمملوكاته وتعذيبهم حيث يقول ﷺ في التعقيبات العامة لكل صلاة (سُبْحَانَ مَنْ لَا

(١) البيان في تفسير القرآن، زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، ص ٤٥٣-٤٥٤.

يَعْتَدِي عَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ سُبْحَانَ مَنْ لَا يَأْخُذُ أَهْلَ الْأَرْضِ بِأَلْوَانِ
الْعَذَابِ سُبْحَانَ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي فِي قَلْبِي نُورًا وَبَصَرًا
وَفَهْمًا وَعِلْمًا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(١).

وإليك تفسير الآية من قبل علماء التفسير الكبار المعاصرين

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٩)

قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ
الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تقدم الكلام في معنى التسبيح والملك
والحمد والقدرة، وأن المراد بما في السماوات والأرض يشمل نفس
السماوات والأرض ومن فيها وما فيها.

وقوله: ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ مطلق يفيد إطلاق الملك وعدم محدوديته بحد
ولا تقيده بقيد أو شرط فلا حكم نافذاً إلا حكمه، ولا حكم له إلا نافذاً
على ما أراد.

وكذا قوله: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ مطلق يفيد رجوع كل حمد من كل حامد -
والحمد هو الثناء على الجميل الاختياري - إليه تعالى لأن الخلق والأمر
إليه فلا ذات ولا صفة ولا فعل جميلاً محموداً إلا منه وإليه.

وكذا قوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ بما يدل عليه من عموم متعلق
القدرة غير محدودة ولا مقيدة بقيد أو شرط. وإذ كانت الآيات - كما

(١) الصحيفة العلوية.

تقدمت الإشارة إليه - مسوقة لإثبات المعاد كانت الآية كالمقدمة الأولى لإثباته، وتفيد أن الله منزّه عن كل نقص وشين في ذاته وصفاته وأفعاله يملك الحكم على كل شيء والتصرف فيه كيفما شاء وأراد، - ولا يتصرف إلا جميلاً - وقدرته تسع كل شيء فله أن يتصرف في خلقه بالإعادة كما تصرف فيهم بالإيذاء - الإحداث والإبقاء - فله أن يبعثهم إن تعلقت به إرادته ولا تتعلق إلا بحكمه.

ثانياً : وفقاً لتفسير النور

ملاحظة سورة التغابن

نزلت هذه السورة في المدينة وتحتوي على ثمانية عشرة آية. عبرت الآية التاسعة عن يوم القيامة بيوم التغابن ولهذا سميت هذه السورة بالتغابن.

التغابن بمعنى غبن الغير. في يوم القيامة، يسعى كل شخص إلى إنقاذ نفسه وإلقاء اللوم على غيره.

تشبه آيات هذه السورة في نظمها وسياقها سورة الحديد وكأنها تلخيص لها.

تبدأ السورة بالحديث عن توحيد الله، ثم تنبه الناس إلى ضرورة مراقبة أعمالهم، وتحدث عن يوم القيامة، وفي الختام تحث الناس على الإنفاق في سبيل الله وتوصيهم بترك حب الدنيا.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

إشارات

- يرتكب الحكّام الدنيويون أخطاء في سبيل كسب القدرة والحفاظ عليها، ولكن الله هو الحاكم الذي يقدره وينزهه كل الكون ولا يصدر عنه أي ظلم.

- الشخص المنزه عن كل نقص وعيب هو المستحق للحمد والثناء، لذا جاء في الآية تسبيح الله أولاً ثم حمده. في الصلاة كذلك يذكر التسبيح إلى جانب الحمد.

التعاليم

١ - تملك كل الموجودات في الكون نوعاً من الشعور، وكل يسبح الله وفقاً لهذا الشعور. (للأسف بعض البشر قد شوّهوا تناغم هذا الكون بتركهم للتسبيح): ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

٢ - حكومة الله حكومة مطلقة وليس لها أي محدودية: ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾؛ حكومة الله حقيقة وليست مجازية أو (اعتبارية أو مؤقتة).

٣ - الكثير من الأفراد ذوي القدرة الحاكمين في الدنيا يتعرضون

١٣٤ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

لانتقاد ولكن الله عنده القدرة والحكومة وهو أهل للحمد: ﴿لَهُ
الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾.

٤- هو منشأ كل الكمالات لذا كان كل الحمد له: ﴿لَهُ الْحَمْدُ﴾.

٥- يعجز الكثير من الحكام في الدنيا عن إنجاز الإصلاحات
وحل المشكلات، ولكن الله هو الحاكم القادر على كل شيء: ﴿لَهُ
الْمُلْكُ ... وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٦- قدرة الله على أي شيء في الوجود بالمستوى نفسه. (بالنسبة
إليه تعالى فإن خلق حجر مثل خلق سلسلة من الجبال، كما هو الحال
بالنسبة إلى عيننا، فإن رؤية المسمار عندها كروية الجبل): ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمل (ج ١٨)

يعلم ما تخفي الصدور

تبدأ هذه السورة بتسبيح الله، الله المالك المهيمن على العالمين
القادر على كل شيء ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾
ويضيف ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ والحاكمة على عالم الوجود كافة، ولهذا السبب:
﴿وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ولا حاجة للحديث عن تسبيح المخلوقات جميعاً لله الواحد

الأحد بعد أن تطرّقنا إلى ذلك في مواضع عديدة، وهذا التسييح ملازم لقدرته على كلّ شيء وتملكه لكلّ الأشياء، ذلك لأنّ كلّ أسرار جماله وجلاله مطوية في هذين الأمرين.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

ثواب القراءة

١ - الصادق عليه السلام: مَنْ قرأ سُورَةَ التَّغَابُنِ فِي فَرِيضَةٍ كَانَتْ شَفِيعَةً لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشَاهِدَ عَدْلٍ عِنْدَ مَنْ يُحْيِزُ شَهَادَتَهَا ثُمَّ لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ^(١).

٢ - الباقر عليه السلام: مَنْ قرأ الْمُسَبِّحَاتِ كُلَّهَا قَبْلَ أَنْ يَنَامَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يُدْرِكَ الْقَائِمَ وَإِنْ مَاتَ كَانَ فِي جِوَارِ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ^(٢).

٣ - الرسول ﷺ: مَنْ قرأ سُورَةَ التَّغَابُنِ دَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْتَ الْفَجَاءَةِ^(٣).

٤ - الرسول ﷺ: مَنْ قرأ هَذِهِ السُّورَةَ دَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْتَ الْفَجَاءَةِ وَمَنْ قرأَهَا وَدَخَلَ عَلَى سُلْطَانٍ يَخَافُ بِأَسْهْ كَفَاهُ اللَّهُ شَرَّهُ^(٤).

٥ - الرسول ﷺ: مَنْ قرأَهَا دَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْتَ الْفَجَاءَةِ وَمَنْ قرأَهَا

(١) ج ١٦، ص ٢٩٢ - ثواب الأعمال، ص ١١٨ / نور الثقلين / البرهان.

(٢) ج ١٦، ص ٢٩٢ - الكافي، ج ٢، ص ٦٢٠ / نور الثقلين / البرهان.

(٣) ج ١٦، ص ٢٩٢ - نور الثقلين.

(٤) ج ١٦، ص ٢٩٢ - البرهان.

وَدَخَلَ عَلَى سُلْطَانٍ جَائِرٍ يَخَافُهُ، كَفَاهُ اللَّهُ شَرَّهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ سُوءٌ^(١).

٦ - الصّادق عليه السلام: مَنْ خَافَ مِنْ سُلْطَانٍ أَوْ مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ عَلَيْهِ، يَقْرَأُهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِيهِ شَرَّهُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى^(٢).

[سورة التغابن (٦٤): آية ١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

١ - الرّسول ﷺ: مَنْ قَالَ حِينَ يَدْخُلُ السُّوقَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ بِعَدَدِ مَا خَلَقَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٣).

٢ - الصّادق عليه السلام: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ وَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ فَقَالَ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ

(١) ج ١٦، ص ٢٩٢ - البرهان.

(٢) ج ١٦، ص ٢٩٤ - البرهان.

(٣) ج ١٦، ص ٢٩٤ - بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٣٦٩ / بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ١٧٢ / بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٩١؛ «أعطى من الأجر... يوم القيامة» محذوف.

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(١).

٣- الرَّسُولُ ﷺ: إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا إِنَّهُ وَثَرٌ يُحِبُّ الْوَثَرَ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ فَبَلَّغْنَا أَنْ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ إِنَّ أَوْلَهَا يُفْتَتَحُ بِهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٢).

(١) ج ١٦، ص ٢٩٤ - بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ٣٢٣ / بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ٣٢٨؛ «وهو حي لا يموت بيده الخير» محذوف.

(٢) ج ١٦، ص ٢٩٤ - بحار الأنوار، ج ٤، ص ٢٠٩.



الفصل الرابع

الآية التي وردَ فيها لفظ (تُسَبِّحُ)

آية مكررة

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]

ديمومة التسبيح للحي القيوم

قد وردَ لفظ التسبيح في سورة الإسراء سبع مرات أربع منها في آيات متفرقة، وثلاثة ألفاظ مجتمعة في هذه الآية المُسَبِّحة الكريمة والمتفردة من حيث احتوائها على عدّة من ألفاظ التسبيح، فنجد أنها من بين آيات التسبيح الوحيدة التي احتوت على ثلاثة من ألفاظ التسبيح، فاللفظ الأول: (تُسَبِّحُ) جاء بصيغة المضارع، واللفظ الثاني: (يُسَبِّحُ) جاء بصيغة المضارع، واللفظ الثالث: (تَسْبِيحَهُمْ) كذلك جاء بصيغة المصدر، فالآية الكريمة متفردة من حيث تعدد ألفاظ التسبيح فيها ومُتحدّةٌ فيما بينها؛ فجميع ألفاظ التسبيح الواردة فيها مُتحدّة من حيث صيغة فعل التسبيح المضارع وفي ذلك دلالةٌ عظيمة نحو استمرارية ودوام التسبيح في الكون، وقد أشرنا نحو ذلك

١٤٢ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

باستفاضة في الجزء الأول من هذا الكتاب حول ذات الآية المُسبحة
الكريمة هذه^(١)، لذلك نعبّر إلى موطن آية التسبيح التالية لها.

(١) موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين، ج ١، يوسف إبراهيم الخضير.



الفصل الخامس

الآية التي وردَ فيها لفظ (تُسَبِّحُهُ)

الآية الثالثة والعشرون

﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾

[الفتح: ٩].

عظمة الرسول الأعظم ﷺ

ميز الله نبينا الأعظم ﷺ دون الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، جعله المثل الأعلى في جميع صفات الجمال والكمال، اصطفاه الله من الخلق واختاره وانتجبه كما قالت الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها: (وأشهد أن أبي محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، اختاره وانتجبه قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتبله، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالى بمايل الأمور، وإحاطةً بحوادث الدهور، ومعرفةً بمواقع المقدور، ابتعثه الله تعالى إتماماً لأمره، وعزيمةً على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير

حتمه، فرأى الأمم فرقا في أديانها، عكفا على نيرانها، عابدة لأوثانها،
مُنكرة لله مع عرفانها، فأنازل الله بمحمد صلى الله عليه وآله ظلمها،
وكشف عن القلوب بهمها، وجلّى عن الأبصار غممها، وقام في الناس
بالهداية، وأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العمية، وهداهم إلى
الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم، ثم قبضه الله إليه قبض
رأفة واختيار، ورغبة وإيثار فمحمد صلى الله عليه وآله عن تعب هذه
الدار في راحة، قد حفّ بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفار،
ومجاورة الملك الجبار، صلى الله على أبي نبيه وأمينه على الوحي،
وصفيه وخيرته من الخلق ورضيّه، والسلام عليه ورحمة الله
وبركاته). (١)

بعد ما تقدم من فوائد نتقل في حديقة علماء التفسير لجني ثمار هذه
الآية المباركة

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان

بيان!

قوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلاً﴾ القراءة المشهورة بتاء الخطاب في الأفعال الأربعة، وقرأ ابن
كثير وأبو عمرو بياء الغيبة في الجميع وقرتها أرجح بالنظر إلى السياق.

وكيف كان فاللام في ﴿لِتُؤْمِنُوا﴾ للتعليل أي أرسلناك كذا وكذا لتؤمنوا بالله ورسوله.

والتعزير - على ما قيل - النصر والتوقير التعظيم كما قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾: [نوح: ١٣]، والظاهر أن الضمائر في ﴿تُعْزِرُوهُ﴾ و﴿تُوقِرُوهُ﴾ و﴿تُسَبِّحُوهُ﴾ جميعا لله تعالى والمعنى: إنا أرسلناك كذا وكذا ليؤمنوا بالله ورسوله وينصروه تعالى بأيديهم وألستهم ويعظموه ويسبحوه - وهو الصلاة - بكرة وأصيلا أي غداة وعشيا.

وقيل: الضميران في ﴿تُعْزِرُوهُ﴾ و﴿تُوقِرُوهُ﴾ للرسول ﷺ، وضمير ﴿تُسَبِّحُوهُ﴾ لله تعالى ويوهنه لزوم اختلاف الضمائر المتسقة.

بحث روائي

في الدر المنثور، أخرج ابن عدي وابن مردويه والخطيب وابن عساكر في تاريخه عن جابر بن عبد الله قال: ﴿لما نزلت على رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿وَتُعْزِرُوهُ﴾ قال النبي ﷺ لأصحابه: ما ذاك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: لتنصروه.

وفي العيون، بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت لعلي بن موسى الرضا عليه السلام: يا بن رسول الله - ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث: أن المؤمنين يزورون ربهم من منازلهم في الجنة؟ فقال: يا أبا الصلت إن الله تعالى فضل نبيه محمداً على جميع خلقه

من النبيين والملائكة، وجعل طاعته طاعته، ومبايعته مبايعته، وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته، فقال عليه السلام: ﴿مَنْ يُطِيعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وقال النبي ﷺ: من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله، ودرجته ﷺ في الجنة أعلى الدرجات، ومن زاره في درجته في الجنة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى.

وفي إرشاد المفيد، في حديث بيعة الرضا عليه السلام قال: وجلس المأمون ووضع للرضا عليه السلام وسادتين عظيمتين - حتى لحق بمجلسه وفرشه، وأجلس الرضا عليه السلام في الحضرة وعليه عمامة وسيف. ثم أمر ابنه العباس بن المأمون أن يبايع له في أول الناس - فرفع الرضا عليه السلام يده فتلقي بها وجهه وبطنها وجوههم - فقال له المأمون:

ابسط يدك للبيعة فقال الرضا عليه السلام: إن رسول الله ﷺ هكذا كان يبايع - فبايعه الناس ويده فوق أيديهم.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور

إشارات

- التعزيز في اللغة المنع، وفي هذه الآية يراد منه الحفظ والحماية من كل ما يسوء.

- من المعاني التي ربّما تكون مرادة من كلمة "شاهد" في الآية

النموذج الأكمل والأتمّ، فعندما يوصف النبي ﷺ بأنه شاهد، معناه أنه نموذج وقدوة، وبكلمة مختصرة: إنسان كامل.

- العبارتان: "تعزروه" و"توقروه" قد يكون المراد من الضمير فيهما الله سبحانه، وقد يكون النبي ﷺ، وعلى أي حال تكريم الله واحترامه يكون باحترام النبي.

النعاليم

١ - النبي ﷺ شاهد على أعمالنا ومطلع على تصرفاتنا: ﴿أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا﴾.

٢ - من الوظائف الموكلة إلى النبي ﷺ مراقبة العباد والشهادة على أعمالهم، والإنذار والبشارة: ﴿أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾. ومن الواجبات الملقاة على عاتق الناس الدفاع عن النبي ﷺ وعن حياض التشريع الإلهي وحدود الله: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾.

٣ - من القواعد المهمة في التربية الجمع بين الترغيب والترهيب (البشارة والإنذار): ﴿شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

٤ - البشارة والإنذار، والتحذير والحثّ، من الحاجات الضرورية للإنسان والتي يتوقف عليها اختيارنا الطريق الصحيح: ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

١٥٠ موسوعة التسييح في مدرسة الثقليين ج ٢

٥ - حماية حياض الدين والدفاع عن رسول الله من لوازم الإيمان:
﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾.

٦ - لا بد من أن يقترن الدفاع عن رسول الله بالاحترام، ومن أن يكون نابعا من المحبة له: ﴿وَتُوقِّرُوهُ﴾.

٧ - على الإنسان أن يبقى في حالة ذكر دائمة لله، وأفضل الأوقات للذكر والدعاء هو الصباح والمساء: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل

مكانة النبي وواجب الناس تجاهه!

قلنا إن بعض الجهلاء اعترضوا بشدة على صلح الحديبية وحتى أن بعض تعبيراتهم لم تخل من عدم الاحترام بالنسبة إلى النبي ﷺ وكان مجموع هذه الأمور يستوجب أن يؤكد القرآن مرة أخرى على عظمة النبي ﷺ وجلالة قدره!.

لذلك فإن الآية الأولى من الآيات أعلاه تخاطب النبي فتقول: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

وهذه ثلاثة أوصاف بارزة هي من أهم ما يتمتع به النبي من صفات ومقام. كونه ﴿شَهِيدًا﴾ و﴿مُبَشِّرًا﴾، و﴿نَذِيرًا﴾.

﴿شَهِيدًا﴾ على جميع الأمة الإسلامية، بل هو شاهد على جميع الأمم

كما نقرأ هذا التعبير في الآية (٤١) من سورة النساء ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾.

ونقرأ في الآية (٥) من سورة التوبة قوله تعالى: ﴿وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

وأساساً فإن لكل إنسان شهوداً كثيرين!

أولهم الله الذي هو عالم الغيب والشهادة المطلع على جميع أعماله ونيّاته!.

ومن بعده الملائكة المأمورون بحفظ أعماله كما ورد التعبير في الآية (٢١) من سورة (ق) ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾.

ثم أعضاء بدن الإنسان وحتى جلده شاهد عليه ... ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور، الآية ٢٤].

وجاء في الآية ٢١ من سورة فصلت في هذا الصدد أيضاً: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

و«الأرض» أيضاً، من زمرة الشهود وكما جاء في سورة الزلزلة ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.

وطبقاً لبعض الروايات فإن «الزمان» أحد الشهود أيضاً، إذ نقرأ في بعض أحاديث الإمام علي عليه السلام قوله: «ما من يوم يمرّ على بني

آدم إلا قال له ذلك اليوم أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد فافعل فيّ خيرا واعمل فيّ خيرا، أشهد لك يوم القيامة فإنك لن تراني بعد هذا أبدا»^(١).

ولا شك أن شهادة الله وحدها كافية، لكن تعدد الشهود فيه إتمام للحجة أكثر وله أثر تربوي - أقوى - في الناس ...

وعلى كل حال فإن القرآن الكريم بين هذه الأوصاف الثلاثة وهي الشهادة والبشارة والإنذار التي هي من الأوصاف الأساسية للنبي ﷺ لتكون مقدمة لما ورد في الآية التي بعدها.

وفي الآية التالية خمسة أوامر مهمّة - هي في الحقيقة بمثابة الهدف من سمات النبي المذكورة آنفا: وتشكل أمرين في طاعة الله وتسبيحه وتقديره، وثلاثة أوامر منها في «طاعة» رسوله و«الدفاع عنه» و«تعظيم مقامه»، إذ تقول الآية: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

كلمة ﴿تُعَزِّرُوهُ﴾ مشتقة من مادة تعزيز، وهو في الأصل يعني «المنع» ثم توسّعوا فيه فأطلق على كل دفاع ونصرة وإعانة للشخص في مقابل أعدائه كما يطلق على بعض العقوبات المانعة عن الذنب «التعزيز» أيضا.

وكلمة ﴿تُوَقِّرُوهُ﴾ مشتقة من مادة توقير، وجذورها «الوقر»

(١) نور الثقلين، ج ٥، ص ١١٢.

ومعناها الثقل ..

فيكون معنى التوقير هنا التعظيم والتكريم.

وطبقا لهذا التفسير فإن الضميرين في ﴿تُعَزِّرُوهُ﴾ و﴿تُوقِّرُوهُ﴾ يعودان على شخص النبي ﷺ والهدف من ذلك هو الدفاع عنه بوجه أعدائه وتعظيمه واحترامه «وقد اختار هذا التفسير الشيخ الطوسي في «التيان» و«الطبرسي» في مجمع البيان وغيرهما أيضا».

غير أن جماعة من المفسرين ذهبوا إلى أن جميع الضمائر في الآية تعود على الله، والمراد بالتعزير والتوقير هنا نصره دين الله وتعظيمه وتكريمه دينه ودليلهم على هذا التفسير انسجام جميع الضمائر بعضها مع بعض. غير أن التفسير الأول يبدو أقرب، لأن «التعزير» أولاً: معناه في الأصل المنع وذب الأعداء والدفاع عن «الشخص»، ولا يصح ذلك في شأن الله إلا على سبيل «المجاز» فحسب! وأهم من ذلك هو شأن نزول الآية، إذ إنَّها نزلت بعد صلح الحديبية وكان بعضهم يسيء التعامل مع النبي ولا يحترم مقامه الكريم، وقد نزلت الآية لتنبيه المسلمين على ما ينبغي عليهم من الوظائف بالنسبة إلى رسول الله ﷺ.

ثم لا ينبغي أن ننسى أن الآية هي بمثابة النتيجة للآية السابقة التي وصفت النبي بأنه «شاهد ومبشر ونذير» وهذا الأمر يهيء الأرضية

المناسبة للآية التي بعدها.

وفي آخر آية من الآيات محل البحث إشارة قصيرة إلى مسألة «بيعة الرضوان» وقد جاء التفصيل عنها في الآية (١٨) من السورة ذاتها! وتوضيح ذلك هو: كما قلناه آنفاً إنَّ النبي ﷺ رأى في منامه كما تقول التواريخ أنَّه دخل مع أصحابه مكة، فتوجَّه على أثر هذه الرؤيا مع ألف وأربع مئة صحابي إلى مكة، إلَّا أنَّ قريشا صمَّمت على منعه وهو على مقربة من مكة... فتوقف النبي ﷺ مع أصحابه في منطقة الحديبية... وتمَّ تبادل المبعوثين بين قريش والنبي حتى انتهى الأمر إلى معاهدة صلح الحديبية! وفي عملية تبادل السفراء والمبعوثين، أمر عثمان مرَّةً أن يبلغ أهل مكة - من قبل النبي - أنَّه لا يريد الحرب ولا القتال وإنَّما يريد العمرة فحسب، إلَّا أنَّ المشركين من أهل مكة أوقفوا عثمان مؤقتاً وكان هذا الأمر سبباً أن يشيع بين المسلمين خبر قتل عثمان، ولو كان هذا الموضوع صحيحاً لكان دليلاً على إعلان قريش الحرب ومنازلة النبي ﷺ لذلك فإنَّ النبي قال: «لا نبارح مكاننا «الحديبية» حتى نأخذ البيعة من قومنا».

فطلب تجديد البيعة... فاجتمع المسلمون وبايعوا النبي ﷺ تحت شجرة هناك على أن لا يتركوا النبي وراءهم ظهرياً وأن يقاتلوا مع النبي أعداءه ويذبُّوا عنه ما دام فيهم طاقة على ذلك. فبلغ هذا الأمر سمع المشركين ودبَّ الرعب فيهم، وهذا ما دعاهم إلى الصلح مع

النبي. ومن هنا سميت مبايعة المسلمين نبيهم تحت الشجرة بيعة الرضوان حيث وردت الإشارة إليها في الآية (١٨) من السورة ذاتها: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾.

وعلى كل حال فإن القرآن يتحدث عن مبايعة المسلمين في الآية محل البحث فيقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾! و«البيعة» معناها المعاهدة على اتباع الشخص وطاعته، وكان المرسوم أو الشائع بين الناس أن الذي يعاهد الآخر ويبايعه يمد يده إليه ويظهر وفاءه ومعاهدته عن هذا الطريق لذلك الشخص أو لذلك «القائد» المبايع!.

وحيث أن الناس يمدّون أيديهم ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ عند البيع وما شاكله من المعاملات ويعقدون المعاملة بمد الأيدي و«المصافحة» فقد أطلقت كلمة «البيعة» على هذه العقود والعهود أيضا. وخاصة أنهم عند «البيعة» كأنما يقدمون أرواحهم لدى العقد مع الشخص الذي يظهر وفاءهم له.

وعلى هذا يتضح معنى ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.. إذ إن هذا التعبير كناية عن أن بيعة النبي هي بيعة الله، فكأن الله قد جعل يده على أيديهم فهم لا يبايعون النبي فحسب بل يبايعون الله، وأمثال هذه الكناية كثيرة في اللغة العربية!.

وبناء على هذا التفسير فإن من يرى بأن معنى هذه الجملة يد الله فوق أيديهم هو أن قدرة الله فوق قدرتهم أو أن نصره الله أعظم من نصره الناس وأمثال ذلك لا يتناسب تأويله مع شأن نزول الآية ومفادها وإن كان هذا الموضوع بحد ذاته صحيحا.

ثم يضيف القرآن الكريم قائلا: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ ٱللَّهُ فَمِىٔهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. كلمة ﴿نَكَثَ﴾ مشتقة من «نكث» ومعناها الفتح والبسط ثم استعملت في نقض العهد^(١).

والقرآن في هذه الآية ينذر جميع المبايعين للنبي ﷺ أن يثبتوا على عهدهم ويبيعتهم فمن ثبت على العهد فسيؤتيه الله أجرا عظيما ومن نكث فإنما يعود ضرره عليه ولا ينال الله ضرره أبدا .. بل إنه يهدد وجود المجتمع وكرامته وعظمته ويعرضه للخطر بنقضه البيعة!.

وقد ورد - في كلام - عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «إِنَّ فِي النَّارِ لَمَدِينَةً يُقَالُ لَهَا الْحَصِينَةُ، أَفَلَا تَسْأَلُونِي مَا فِيهَا؟! فَقِيلَ لَهُ: مَا فِيهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟! قَالَ: فِيهَا أَيْدِي النَّاكِثِينَ»^(٢).

ومن هنا يتضح بجلاء قبح نقض البيعة من وجهة نظر الإسلام!!

(١) «النكث» بفتح النون مصدر و«النكث» بكسر النون اسم مصدر

(٢) بحار الأنوار، الجزء ٦٧، الصفحة ١٨٦.

وفي هذا المجال هناك بحوث في «البيعة في الإسلام» وحتى «قبل الإسلام» وكيفية البيعة وأحكامها ستأتي بأذن الله في ذيل الآية (١٨) من هذه السورة ذاتها!.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

١ - علي بن إبراهيم رحمه الله عليه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ثُمَّ عَظَفَ بِالْمُخَاطَبَةِ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ ثُمَّ عَظَفَ عَلَى نَفْسِهِ عَزَّ فَقَالَ ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ مَعْطُوفًا عَلَى قَوْلِهِ ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١).



الفصل السادس

الآية التي وردَ فيها لفظ (تُسَبِّحُونَ)

الآية الرابعة والعشرون

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]

مساوئ البخل

من نفحات هذه الآية الكريمة تعطي درساً عن وخامة وفداحة وعاقبة البخل والشح والحرص، فالبخل يُخلف دماراً في نفوس أصحابه من الكراهة والبغضاء والقساوة والتنافر وأمراضاً نفسيةً واجتماعية عدّة في الدنيا والآخرة، لهذا وبتأمل ما جاء في القرآن المجيد من الآيات المنذرة والموبخة بفداحة البخل وشناعته المقيته وما صدر عن الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته الأطهار ﷺ في ذم البخل والتعوذ منه.

نأخذ بعضاً من تعاليم القرآن كيف يتحدث عن ذم البخل ومُتصفيه في ثلاثٍ من الآيات:

الآية الأولى: ﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَّنْ يَبْخُلُ ۚ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد ٣٨]

الآية الثانية: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء ٣٧]

الآية الثالثة: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران ١٨٠]

هذه الآيات واضحة الدلالة في ذم البخل فهي صفةٌ وسجيةٌ خسيسة تبعث على حرمان النفس والمجتمع من العطاء والصلة بين أفراد الأرحام والمجتمع، لهذا جاء القرآن الكريم يقبح ويذم مُتصفيه بأبشع الصور.

أما ما جاء عن أهل البيت عليهم السلام في ذم البخل والشح والطمع أحاديث كثيرة وبصورٍ مروعة ومُخيفة وهذا ما يحكم به الوجدان والفطرة السليمة حتى أن النظر إلى البخيل يُقسي القلب وقيل في المثل "أبخل الناس بهاله أجودهم بعرضه" وإليكُم نفحات وبعض الدرر الصادرة من أهل البيت عليهم السلام في ذم البخل وبيان آثاره الدنيوية

والأخروية نتأمل في هذه الأحاديث كما يلي^(١):

قال رسول الله ﷺ: [إياكم والشح، فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم].

قال رسول الله ﷺ: [لا يدخل الجنة بخیل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة].

قال رسول الله ﷺ: [البخیل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار، وجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخیل، وأدوى الداء البخل].

قال رسول الله ﷺ: [الموبقات ثلاث: شح مطاع، وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه].

قال رسول الله ﷺ: [إن الله يبغض الشيخ الزاني، والبخیل المنان، والمعيل المختال].

قال رسول الله ﷺ: [إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، امرهم بالكذب فكذبوا، وأمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا].

قال رسول الله ﷺ: [البخل شجرة تنبت في النار، فلا يلج النار

(١) جامع السعادات ١-٣، المولى النراقي، ص ٣٠٠-٣٠١.

إلا بخيل].

قال رسول الله ﷺ: [خلق البخل من مقتته، وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة الزقوم، ودلي بعض أغصانها إلى الدنيا، فمن تعلق بغصن منها أدخله النار. ألا إن البخل من الكفر، والكفر في النار].

وقتل في الجهاد رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فبكته باكية وقالت: وا شهيداه! فقال رسول الله ﷺ: [ما يدريك انه شهيد؟ فلعله كان يتكلم بما لا يعنيه، أو يبخل بما لا ينقصه].

قال رسول الله ﷺ: [إن الله يبغض البخيل في حياته، والسخي عند موته].

قال رسول الله ﷺ: [السخي الجهول أحب إلى الله عز وجل من العابد البخيل].

قال رسول الله ﷺ: [الشح والإيمان لا يجتمعان في قلب واحد].

قال رسول الله ﷺ: [خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل، وسوء الخلق].

قال رسول الله ﷺ: [لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلاً ولا جباناً].

قال رسول الله ﷺ: [يقول قائلكم: الشحيح أعذر من الظالم. وأي ظلم أظلم عند الله من الشح؟ حلف الله بعزته وعظمته وجلاله

لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل].

وقال ﷺ: [اللهم إني أعوذ بك من البخل!].

وروي أن رسول الله ﷺ كان يطوف بالبيت، فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي!

قال رسول الله ﷺ: وما ذنبك؟ صفه لي.

قال: هو أعظم من أن أصفه لك.

قال ﷺ: ويحك! ذنبك أعظم أم الأرضون؟

قال: بل ذنبي يا رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: ويحك! ذنبك أعظم أم الجبال!

قال: بل ذنبي يا رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: فذنبك أعظم أم البحار؟

قال: بل ذنبي يا رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: فذنبك أعظم أم السماوات؟

قال: بل ذنبي يا رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: ذنبك أعظم أم الله؟.

قال: بل الله أعظم وأعلى وأجل.

قال ﷺ: أتصف لي ذنبك؟

قال: يا رسول الله، إني رجل ذو ثروة من المال، وإن السائل ليأتي ليسألني فكانما يستقبلني بشعلة من النار.

فقال رسول الله ﷺ: إليك عني! لا تحرقني ببارك! فو الذي بعثني بالهداية والكرامة، لو قمت بين الركن والمقام، ثم صليت ألفي ألف عام، وبكيت حتى تجري من دموعك الأنهار وتسقي بها الأشجار، ثم مت وأنت لثيم، لأكبك الله في النار! ويحك! أما علمت أن الله يقول: ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ﴾ [محمد: ٣٨]. ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: [سيأتي على الناس زمان عضوض، يعرض المؤمن على ما في يده، ولم يؤمر بذلك]. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

فمن تذكيرات الآية آفة الذكر أن من موانع النعم والحجب عنها نسيان التسبيح، فنسيانه سبب من أسباب الفقر والضياع، سبحانه من لا ينبغي التسبيح إلا له.

بعد ما تقدم من فوائد نتقل في حديقة علماء التفسير لجني ثمار هذه الآية المباركة.

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان

بيان

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ - إلى قوله - رَغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي أعدلهم طريقاً وذلك أنه ذكرهم بالحق وإن تبعهم في العمل وقيل:

المراد أوسطهم سناً وليس بشيء ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ﴾ وقد كان قال لهم ذلك وإنما لم يذكر قبل في القصة إيجازاً بالتعويل على ذكره هاهنا.

﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ المراد بتسبيحهم له تعالى تنزيههم له من الشركاء حيث اعتمدوا على أنفسهم وعلى سائر الأسباب الظاهرية فأقسموا ليصر منها مصبحين ولم يستثنوا لله مشية فعزلوه تعالى عن السببية والتأثير ونسبوا التأثير إلى أنفسهم وسائر الأسباب الظاهرية، وهو إثبات للشريك، ولو قالوا: لنصر منها مصبحين إلا أن يشاء الله كان معنى ذلك نفي الشركاء وأنهم إن لم يصرموا كان لمشية من الله وإن صرموا كان ذلك بإذن من الله فله الأمر وحده لا شريك له.

وقيل: المراد بتسبيحهم لله ذكر الله تعالى وتوابعهم إليه حيث نوا أن يصرموها ويحرموا المساكين منها، وله وجه على تقدير أن يراد بالاستثناء عزل نصيب من الثمار للمساكين.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ تسبيح منهم لله

سبحانه إثر توبيخ أوسطهم لهم، أي ننزه الله تنزيها من الشركاء الذين أثبتناهم فيما حلفنا عليه فهو ربنا الذي يدبر بمشيئته أمورنا لأننا كنا ظالمين في إثباتنا الشركاء فهو تسبيح واعتراف بظلمهم على أنفسهم في إثبات الشركاء.

وعلى القول الآخر توبة واعتراف بظلمهم على أنفسهم وعلى المساكين.

بحث روائي

بإسناده إلى ابن عباس: "أنه قيل له إن قوما من هذه الأمة - يزعمون أن العبد يذنب فيحرم به الرزق، فقال ابن عباس: فوالله الذي لا إله إلا هو - هذا أنور في كتاب الله من الشمس الضاحية - ذكره الله في سورة ن والقلم.

إنه كان شيخ وكان له جنة - وكان لا يدخل إلى بيته ثمرة منها - ولا إلى منزله حتى يعطي كل ذي حق حقه - فلما قبض الشيخ ورثه بنوه - وكان له خمس من البنين - فحملت جنتهم في تلك السنة التي هلك فيها أبوهم حملا - لم يكن حملته قبل ذلك - فراحوا الفتية إلى جنتهم بعد صلاة العصر - فأشرفوا على ثمرة ورزق فاضل - لم يعاينوا مثله في حياة أبيهم.

فلما نظروا إلى الفضل طغوا وبغوا - وقال بعضهم لبعض: إن أبانا كان شيخا كبيرا - قد ذهب عقله وخرف - فهللوا نتعاقد فيما بيننا أن

لا نعطي أحدا- من فقراء المسلمين في عامنا شيئا- حتى نستغني ويكثر أموالنا- ثم نستأنف الصنيعة فيما استقبل من السنين المقبلة- فرضي بذلك منهم أربعة وسخط الخامس- وهو الذي قال الله: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾.

فقال الرجل: يا بن عباس كان أوسطهم في السن؟ فقال: لا بل كان أصغرهم سنا وأكبرهم عقلا- وأوسط القوم خير القوم، والدليل عليه في القرآن قوله: إنكم يا أمة محمد أصغر الأمم وخير الأمم- قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.

قال لهم أوسطهم: اتقوا وكونوا على منهاج أبيكم- تسلموا وتغنموا فبطشوا به وضربوه ضربا مبرحا- فلما أيقن الأخ منهم أنهم يريدون قتله- دخل معهم في مشورتهم كارها لأمرهم غير طائع. فراحوا إلى منازلهم ثم حلفوا بالله- ليصر من إذا أصبحوا ولم يقولوا إن شاء الله- فابتلاههم الله بذلك الذنب وحال بينهم- وبين ذلك الرزق الذي كانوا أشرفوا عليه- فأخبر عنهم في الكتاب فقال: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿٧﴾ وَلَا يَسْتَنْتُونَ ﴿٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ قال: كالمحترق.

فقال الرجل: يا بن عباس ما الصريم؟ قال: الليل المظلم، ثم قال:

لا ضوء له ولا نور.

فلما أصبح القوم ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾ ٢١ أَنْ اُعْدُوا عَلَيَّ حَرْثَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ ﴿قَالَ:

﴿فَانْظُرُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ﴾ قال الرجل: وما التخافت يا ابن عباس؟ قال: يتشاورون فيشاور بعضهم بعضا - لكيلا يسمع أحد غيرهم - فقالوا: ﴿لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ ٢٢ وَغَدُوا عَلَيَّ حَرْدٍ قَدِيرِينَ ﴿في أنفسهم أن يصرموها - ولا يعلمون ما قد حل بهم من سطوات الله ونقمته.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ وما قد حل بهم ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ﴾ ٢٣ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿فحرمهم الله ذلك الرزق بذنب كان منهم - ولم يظلمهم شيئا.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿قال: يلومون أنفسهم فيما عزموا عليه ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ٢٤ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿فقال الله: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

أقول: وقد ورد ما يقرب من مضمون هذا الحديث والذي قبله في روايات أخر وفي بعض الروايات أن الجنة كانت لرجل من بني

إسرائيل ثم مات وورثه بنوه فكان من أمرهم ما كان.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور

إشارات

- الحرد هو البخل ومنع الناس حقوقهم: ﴿عَدَوْا عَلَى حَرْدٍ﴾ أي أن أصحاب البستان انطلقوا بقصد حرمان الفقراء.

- يُقَسِّي الحرص والبخل قلب الإنسان، حتى يصل إلى درجة لا يرحم فيها المسكين والفقير: ﴿لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾.

- (أوسط) تقال للشخص المعتدل البعيد عن الإفراط والتفريط.

- إعطاء المساكين ليس مستحباً وإنما واجباً؛ لأن الله تعالى لا يعاقب أحداً على ترك المستحب. جاء في هذه الآية أن حرمان المساكين كان السبب في حرق البستان في الدنيا، وكذلك في الآخرة يقول أهل النار إن سبب عذابهم أنهم لم يعتنوا بالمحرومين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ... لَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾ (١).

- لا يختص إعطاء الفقراء بفقراء المؤمنين. لم يرد في هذه الحادثة ذكر كفر الفقراء أو إيمانهم ولكن ذكر بخل بعضٍ وحرصهم، وجوع الآخرين وفقيرهم.

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني

- قد يلزم أحياناً فضح الفرد أو المجموعة المخطئة في المجتمع وذلك لتغيير فكر أو ثقافة معينة بحيث يصبح هؤلاء عبرة للآخرين. الله وهو من: «أظهر الجميل وستر القبيح» يكشف هنا عما حدث، لتكون قصة الجنة المحروقة عبرة للتاريخ.

- فلنكرر كلمة (ربنا) كثيراً في دعائنا وحديثنا. تكررت هذه الكلمة مرات عدة في هذه الآيات: ﴿رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ... عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا ... إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾.

- إذا جاء عذاب الله، أحرق الجميع. مع أن أحد الورثة كان مخالفاً لحرمان الفقراء إلا أن سهمه من البستان احترق كذلك.

- أمثلة على العذاب الدنيوي:

(أ) سلب النعم، (ب) سلطة الأشرار، (ج) سلب التوفيق، (د) سلب الراحة والأمن.

ولكن عذاب الآخرة أليم وأشد وأعظم: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

النعاليم

١ - كلما كانت نية السوء أكبر كلما زاد الخطر أكثر: ﴿لَا يَدْخُلَنَّهَا﴾ (قالوا لن يدخل ولا فقير واحد إلى البستان، فأحرق الله تعالى كل البستان).

٢- يذهب البخل والحرص الشديدان بالإنسان إلى مرحلة لا يكون فيها حاضراً حتى لمساعدة مسكين واحد. (مسكين) جاءت بصيغة المفرد.

٣- لا ينفع أي من البخل: ﴿لَا يَسْتَتْنُونَ﴾، ولا التصميم بالخفاء: ﴿يَتَخَفَتُونَ﴾، أو الإقدام المقتدر: ﴿قَدِيرِينَ﴾ في إنجاز أمر ما: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾.

٤- الرجوع إلى النفس هو أحد فوائد الأحداث الصعبة: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾.

٥- إذا حرمتنا الآخرين من شيء، فسنحرم من أشياء: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾؛ (محرومون من الفاكهة، محرومون من الثواب الإلهي، محرومون من دعاء الفقراء، محرومون من رضا روح الوالد، محرومون من العزة الاجتماعية).

٦- قولوا الحق وإن كنتم أقلية: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾.

٧- يحول الاعتدال والتعقل دون البخل والحرص ويكون سبباً في إيقاف الظالمين: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾.

٨- اغتنموا الفرص للتبليغ. الأشخاص الذين لم يقبلوا في أمس أن يستمعوا لكلام الحق، قبلوا اليوم أن يستمعوا: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ

لَكُمْ ﴿٢٧﴾.

٩- يجب أن نعترف بتقصيرنا عند تحليلنا لسبب المصائب وأن ننزه الله تعالى: ﴿سُبْحَنَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

١٠- بإمكانكم أن تنجزوا اليوم ما قصّرتُم فيه بالأمس: ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبَّنَا﴾.

١١- ظلم الإنسان لنفسه هو السبب في حرمانه من الألفاظ الإلهية: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ .. إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

١٢- يتحوّل الاتحاد إلى تفرقة في نهاية المطاف، إذا لم يكن مبني على التقوى. (الاخوة الذين اتحدوا في الأمس لحرم الفقراء، يلقي اليوم كل منهم اللوم على الآخر): ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ﴾.

١٣- منع الآخرين من حقوقهم هو ظلم للنفس وطغيان على الآخرين: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ .. إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

١٤- فلنعترف أكثر بضعفنا وقبح عملنا أمام الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ .. إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾. (كما يقول الإمام علي عليه السلام في دعاء كميل: "معتذراً نادماً، منكسراً مستقيلاً، مستغفراً منيباً مقراً مدعناً معترفاً").

١٥- إذا ما فقدتم أموالاً دنيوية فليكن أملككم بالرحمة واللفظ الإلهي، فإنه سيبدلكم أحسن منها: ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾.

١٦ - يجبر الله ويُعوّض عما مضى كيفما شاء، فلا ييأس المخطئون ولا يظنّوا أنهم دائماً خاسرون: ﴿يُبَدِّلْنَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾.

١٧ - فرصة العودة إلى الله تعالى مُتاحة دائماً: ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾؛ (عندما رأى أصحاب الجنة بستانهم المحروق، أفاقوا من غفلتهم وتابوا ورجعوا إلى الله).

١٨ - إحزان الفقير وقهره، له عذاب دنيوي وآخرى: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾.

١٩ - الإيثار بعقاب يوم القيامة وعذابه، يحول دون البخل والطغيان والظلم: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل

أصحاب البستان والطير المولم

الآيات الشريفة - أعلاه - استمرار لقصة أصحاب الجنة، التي مرّت علينا في الآيات السابقة.. فلقد تحرّكوا في الصباح الباكر على أمل أن يقطفوا محصولهم الكثير، ويستأثروا به بعيداً عن أنظار الفقراء والمحتاجين، ولا يسمحوا لأي أحد من الفقراء بمشاركتهم في هذه النعمة الإلهية الوافرة، غافلين عن تقدير الله... فإذا بصاعقة مهلكة تصيب جنتهم في ظلمة الليل فتحوّلها إلى رماد، في وقت كان أصحاب الجنة يغطّون في نوم عميق.

يقول القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾.

المقصود من (ضالّون) يمكن أن يكون عدم الاهتداء إلى طريق البستان أو الجنة، أو تضييع طريق الحقّ كما احتمل البعض، إلّا أنّ المعنى الأوّل أنسب حسب الظاهر.

ثمّ أضافوا: بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ أي أردنا أن نحرم الفقراء والمحتاجين من العطاء إلّا أنّنا حرّمنا أكثر من الجميع، حرّمنا من الرزق المادّي، ومن البركات المعنوية التي تحصل عن طريق الإنفاق في سبيل الله للفقراء والمحتاجين.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾.

ألم أقل لكم اذكروا الله بالتعظيم وتجنّبوا مخالفته واشكروا نعمته وامنحوا المحتاجين شيئاً ممّا تفضّل الله به عليكم؟! لكنّكم لم تصغوا لما قلته لكم، وأخيراً وصلتم إلى هذه النتيجة البائسة في هذا اليوم الأسود.

ويستفاد ممّا تقدّم أنّ أحدهم كان شخصاً مؤمناً ينهّاهم عن البخل والحرص، إلّا أنّهم كانوا لا يسمعون كلامه، ولقد أفصح عن رأيه بقوة بعد هذه الحادثة، وأصبح منطقته أكثر حدّة وقاطعية. وقد وبّخهم كثيراً على موقفهم من الفقراء، ووجّه لهم ملامة عنفية.

وتستيقظ ضمائرهم في تلك اللحظة ويعترفون بخطئهم وذنوبهم

وقالوا ﴿سُبْحَنَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

أ/ إن التعبير ﴿أَوْسَطُهُمْ﴾ في الآية السابقة يمكن أن يكون بلحاظ حد الاعتدال في العقل والفكر والعلم وقيل: إنه الوسط في السن والعمر. إلا أنه مستبعد جداً، وذلك لعدم وجود ارتباط بين العمر وهذه المقالة الوافية المعبرة. والارتباط يكون عادة - بمثل هذا الكلام بين العقل والفكر.

ب / والتعبير ب ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ مأخوذ بلحاظ أن أصل وجذر كل الأعمال الصالحة هو الإيمان ومعرفة الله وتسبيحه وتنزيهه.

وقد فسر البعض «التسبيح» هنا بمعنى (شكر النعمة) والتي من ملازماتها إعانة المحرومين، وهذان التفسيران لا يتنافيان مع بعضهما البعض، وهما مجموعان في مفهوم الآية الكريمة.

لقد سبق تسبيحهم (الاعتراف بالذنب)، ولعل هذا كان لرغبتهم في تنزيه الله تعالى عن كل ظلم بعيداً عما نزل بجنتهم من دمار وبلاء عظيم، وكأن لسان حالهم يقول: ربنا إننا كنا نحن الظالمين لأنفسنا وللآخرين، ولذا حق علينا مثل هذا العذاب، وما أصابنا منك هو العدل والحكمة.

كما يلاحظ في قسم آخر من آيات القرآن الكريم - أيضاً - أن التسبيح قبل الإقرار بالظلم، حيث نقرأ ذلك في قصة يونس عليه السلام عند

١٧٨ موسوعة التسييح في مدرسة الثقليين ج ٢

ما أصبح في بطن الحوت، وذلك قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

والظلم بالنسبة لهذا النبي العظيم هو بمعنى ترك الأولى، كما أوضحنا ذلك في تفسير هذه الآية.

إلا أن المسألة لم تنته إلى هذا الحد، حيث يقول تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ﴾.

والملاحظ من منطوق الآية أن كل واحد منهم في الوقت الذي يعترف بذنبه، فإنه يلقي بأصل الذنب على عاتق الآخر، ويوبّخه بشدة، وأنه كان السبب الأساس فيما وصلوا إليه من نتيجة بائسة مؤلمة، وكلّ منهم - أيضا - يؤكد أنه لم يكن غريبا عن الله والعدالة إلى هذا الحد.

نعم، هكذا تكون عاقبة كل الظالمين عند ما يصبحون في قبضة العذاب الإلهي.

ومع الإقرار بالذنب فإنّ كلا منهم يحاول التنصّل ممّا لحق بهم، ويسعى جاهدا لتحويل مسؤولية البؤس والدمار على الآخرين.

ويحتمل أن يكون شعور كلّ منهم - أو غالبيتهم - بالأدوار المحدودة لهم فيما حصل، هو الذي دفع كلا منهم للتخلي عن مسؤولية ما حصل، وذلك كأن يقترح شخص شيئا، ويؤيده الآخر في هذا

الاقتراح، ويتبنّى ثالث هذا العمل، ويظهر الرابع رضاه بسكوته ..
ومن الواضح في مثل هذه الأحوال مساهمة الجميع في هذه الجريمة
ومشاركتهم في الذنب.

ثم يضيف تعالى: ﴿قَالُوا يَتَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ﴾.

لقد اعترفوا في المرحلة السابقة بالظلم، وهنا اعترفوا بالطغيان،
والطغيان مرحلة أعلى من الظلم، لأنّ الظالم يمكن أن يستجيب
لأصل القانون إلّا أنّ غلبة هواه عليه يدفعه إلى الظلم، أمّا الطاغى فإنّه
يرفض القانون ويعلن تمرّده عليه ولا يعترف برسميّته.

ويحتمل أن يكون المقصود بالظلم هو: (ظلم النفس)، والمقصود
بالطغيان هو (التجاوز على حقوق الآخرين).

ومّا يجدر ملاحظته أنّ العرب تستعمل كلمة (ويس) عند ما
يواجهون مكروها ويعبّرون عن انزعاجهم منه، كما أنّهم يستعملون
كلمة (ويح) أحيانا، وأحيانا أخرى (ويل) وعادة يكون استعمال
الكلمة الأولى في المصيبة البسيطة، والثانية للأشدّ، والثالثة للمصيبة
الكبيرة، واستعمال كلمة (الويل) من قبل أصحاب البستان يكشف
عن أنّهم كانوا يعتبرون أنفسهم مستحقّين لأشدّ حالات التوبيخ.

وأخيرا- بعد عودة الوعي إلى ضمائرهم وشعورهم. بل
واعترافهم بالذنب والإنابة إلى الله- توجّهوا إلى البارئ عزّ وجلّ داعين،

وقالوا: ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ فقد توجَّهنا إليه ونريد منه إنفاذاً ممَّا تورَّطنا فيه ..

والسؤال المطروح هنا: هل أن هؤلاء ندموا على العمل الذي أقدموا عليه، وقرروا إعادة النظر في براجمهم المستقبلية، وإذا شملتهم النعمة الإلهية مستقبلاً فسيؤدّون حق شكرها؟ أم أنّهم وبّخوا أنفسهم وكثر اللوم بينهم بصورة موقّعة، شأنهم شأن الكثير من الظالمين الذين يشتدّ ندمهم وقت حلول العذاب، وما إن يزول الضرّ الذي حاقّ بهم إلّا ونراهم يعودون إلى ما كانوا عليه سابقاً من ممارسات مريضة؟

اختلف المفسّرون في ذلك، والمستفاد من سياق الآية اللاحقة أن توبتهم لم تقبل، بلحاظ عدم اكتمال شروطها وشرائطها، ولكن يستفاد من بعض الروايات قبول توبتهم، لأنّها كانت عن نيّة خالصة، وعوضهم عن جنتهم بأخرى أفضل منها، مليئة بأشجار العنب المثمرة.

ويقول تعالى في آخر آية من هذه الآيات، بلحاظ الاستفادة من هذا الدرس والإعتبار به: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

وهكذا توجّه الآية خطابها إلى كلّ المغرورين، الذين سحرهم المال وأبطرهم الثروة والإمكانات المادية، وغلب عليهم الحرص

والاستئثار بكل شيء دون المحتاجين .. بأنه لن يكون لكم مصير أفضل من ذلك. وإذا ما جاءت صاعقة وأحرقت تلك الجنة، فمن الممكن أن تأتي صاعقة أو عذاب عليكم من أمثال الآفات والحروب المحلية والعالمية المدمرة، وما إلى ذلك، لتذهب بالنعم التي تحرسون عليها.

بمّان

١ - الاستئثار بالنعم بلاء عظيم

جبل الإنسان وطبع على حبّ المال، ويمثّل هذا الحبّ غريزة في نفسه، لأنّ له فوائد شتى، وهذا الحبّ غير مذموم إذا كان في حدّ الاعتدال، وجعل نصيب منه للمحتاجين، وهذا لا يعني الاقتصار على أداء الحقوق الشرعية فقط، بل أداء بعض الإنفاقات المستحبة.

وجاء في الروايات الإسلامية ضرورة جعل نصيب للمحتاجين الحاضرين ممّا يقطف من ثمار البساتين وحصاد الزرع. وهذا ما يعرف بعنوان (حقّ الحصاد) وهو مقتبس من الآية الشريفة: ﴿وَعَاثُوا حَقَّهُ وَيَوْمَ حَصَادِهِ﴾، وهذا الحقّ غير حقّ الزكاة، وما يعطى للمحتاجين الحاضرين منه أثناء قطف الثمار أو حصاد الزرع غير محدود بحدّ معيّن. (١)

(١) يمكن مطالعة الروايات التي جاءت في هذا المجال في ج ٦، من (وسائل الشيعة) أبواب زكاة الغلات، باب ١٣، وفي (سنن البيهقي) ج ٤، ص ١٣٣

إلا أنّ التعلّق بالمال حينما يكون بصورة مفرطة وجشعة فإنّه يأخذ شكلاً منحرفاً وأنانياً، وقد لا يكون بحاجة إليه، فحرمان الآخرين والاستئثار بالأموال والتلذّذ بحياسة النعم والمواهب الإلهية دون سواه، مرض وبلاء كما نلاحظ في حياتنا المعاصرة مفردات ونماذج كثيرة في مجتمعاتنا البشرية تعيش هذه الحالة.

وقصة (أصحاب الجنة) التي حدّثتنا الآيات السابقة عنها، هي كشف وتعزية واضحة لهذه النفسيات المريضة لأصحاب الأموال الذين يستأثرون بالخير والنعم والهبات الإلهية، ويؤكّدون بحصرها فيهم دون سواهم .. ويتجسّد هذا المعنى في الخطّة التي أعدّت من جانب أصحاب الجنة في حرمان المحتاجين، بالتفصيل الذي ذكرته الآيات الكريمة .. وغاب عن بالهم أنّ آهات هؤلاء المحرومين تتحوّل في أحيان كثيرة إلى صواعق محرقة، تحيل سعادة هؤلاء الأغنياء الظالمين إلى وبال، وتظهر هذه الصواعق على شكل كوارث ومفاجآت وثورات، ويشاهدون آثارها المدمّرة بأمّ أعينهم، ويتحوّل ترفهم وبذخهم إلى زفرات وآهات وصرخات تشقّ عنان السماء، معلّنين التوبة والإقلاع عن الممارسات الاستثنائية، ولات ساعة متاب.

٢ - العلاقة بين [الرزق] و[الذنوب]

مما يستفاد - ضمناً - من القصة أعلاه وجود علاقة بين الذنب والرزق، ومما يؤيّد هذا ما

ورد في حديث عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إنَّ الرجل ليذنب الذنب، فيدراً عنه الرزق، وتلا هذه الآية: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ۝ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾» (١)

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

١ - علي بن إبراهيم رحمه الله عليه: قوله: (لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ يَقُولُ لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ) (٢).

٢ - ابن عباس رحمه الله عليه: قَالَ ﴿أَوْسَطُهُمْ﴾ أَيُّ أَعْدَهُمْ قَوْلًا. (٣)

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٣٩٥، (حديث ٤٤).

(٢) ج ١٦، ص ٤٩٤ - القمي، ج ٢، ص ٣٨٢

(٣) ج ١٦، ص ٤٩٦ - بحر العرفان، ج ١٦، ص ١٢٧



الفصل السابع

الآيات التي وردَ فيها لفظ (يُسَبِّحُونَ)

الآية الخامسة والعشرون

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]

دوام الذكر والتسبيح

الملائكة لا يفترون من التسبيح على اختلاف أصنافهم كما سوف نوافيكم عنهم في الآية القادمة بإذن الله - آية ٧٥ من سورة الزمر. خاطب الله تبارك وتعالى المؤمنين في العديد من الآيات القرآنية بالإكثار من الذكر والتسبيح، نذكر ثلاث آيات منها واللاقي تحشنا على الإكثار من الذكر والتسبيح كما يلي:

١ - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

٢ - قال تعالى: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٣].

٣ - قال تعالى: ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٤].

فالنفس لا تطمئن إلا بذكر الله كما قال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ

١٨٨ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾
[الرعد: ٢٨].

ونذكر الآن ما أفاد المولى ملا محمد مهدي النراقي عن كثرة الذكر
للّه وفوائده كما يلي:

أما الذكر فالنافع منه هو الذكر على الدوام، أو في أكثر الأوقات،
مع حضور القلب، وفراغ البال، والوجه الكلي إلى الخالق المتعال،
حتى يتمكن المذكور في القلب، ويتجلى عظمته الباهرة عليه، وينشرح
الصدر بشروق نوره عليه، وهو غاية ثمرة العبادات، وللذكر أول
 وآخر، فأوله:

يوجب الأنس والحب، وآخره: يوجب الأنس والحب، والمطلوب
منه ذلك الحب والأنس . فإن العبد في بداءة الأمر يكون متكلفا
بصرف قلبه ولسانه عن الوساس والفضول إلى ذكر الله، فإن وفق
للمداومة أنس به وانغرس في قلبه حب المذكور، ومن أحب شيئا أكثر
ذكره، ومن أكثر ذكر شيء، وإن كان تكلفا، أحبه . ومن هنا قال
بعضهم: (كأدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة) ولا
تصدر النعم من الأنس والحب، ولا يصدر الأنس والحب إلا من
المداومة على المكاءدة والتكلف مدة طويلة، حتى يصير التكلف طبعاً!
وكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الإنسان تناول طعام يستبشعه أولاً،
ويكأئد أكله، ويواظب عليه، فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه؟

فالنفس تصير معتادة متحملة لما تكفلت: (هي النفس ما عودتها تتعود).^(١)

وما صدر عن النبي الأكرم ﷺ وأهل البيت عليه السلام في الحث والمداومة على الذكر أحاديث كثيرة نذكر صوراً منها مشوقةً حول الذكر والتسبيح فتلك التعاليم والاضاءات مُطهرة للسنن ومنورة للقلوب ومقومة للعقول من بداية التهليل والتسبيح والتحميد والحوقة والتسمية والتسبيحات الأربع والأسماء الحُسنى وغيرها من الأسماء المباركة وإليك طرائف من الأحاديث كما أفاد العلامة الشيخ محمد الريشهري في ميزان الحكمة كما يلي:

الحث على كثرة الذكر^(٢)

- رسول الله ﷺ: عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً، فإنه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض.

- الإمام علي عليه السلام: احترسوا من الله عز ذكره بكثرة الذكر.

- رسول الله ﷺ: وقد سئل: أحب أن أكون أخص الناس إلى الله تعالى؟ أكثر ذكر الله تكن أخص العباد إلى الله تعالى.

- الإمام الصادق عليه السلام: لما سئل: من أكرم الخلق على الله؟

(١) جامع السعادات، جزء ٣، ص ٢٩٠.

(٢) ميزان الحكمة، جزء ٢، ص ٩٦٥.

أكثرهم ذكرا لله وأعملهم بطاعته!

حد الذكر الكثير^(١)

- الإمام الصادق عليه السلام: ما من شيء إلا وله حد ينتهي إليه إلا الذكر فليس له حد ينتهي إليه، فرض الله عز وجل الفرائض، فمن أداهن فهو حدهن... إلا الذكر فإن الله عز وجل لم يرض منه بالقليل، ولم يجعل له حدا ينتهي إليه. ثم تلا هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾.

- عنه عليه السلام: أكثروا ذكر الله ما استطعتم في كل ساعة من ساعات الليل والنهار، فإن الله أمر بكثرة الذكر له.

- عنه عليه السلام: إذا ذكر العبد ربه في اليوم مئة مرة كان ذلك كثيرا.

- الإمام علي عليه السلام: من ذكر الله في السر فقد ذكر الله كثيرا.

- الإمام الصادق عليه السلام: تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام من الذكر الكثير الذي قال الله عز وجل: ﴿اِذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾.

- حميري بإسناده إلى عبد الله بن بكير: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى ﴿اِذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ قال: ما أدنى الذكر الكثير؟ قال: فقال: التسبيح في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة.

(١) ميزان الحكمة، جزء ٢، ص ٩٦٦.

الحث على دوام الذكر^(١)

- الإمام علي عليه السلام: لسان البرّ مستهتر بدوام الذكر.

- عنه عليه السلام: مداومة الذكر خلصان الأولياء.

- عنه عليه السلام: المؤمن دائم الذكر، كثير الفكر.

- رسول الله ﷺ: ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها إلا حسر عليها يوم القيامة.

- الإمام علي عليه السلام - من دعاء علمه لنوف البكالي - : إلهي إنه من لم يشغله الولوع بذكرك، ولم يزوه السفر بقربك كانت حياته عليه ميتة، وميتته عليه حسرة.

- في المناجاة الشعبانية: إلهي وألهمني ولها بذكرك إلى ذكرك وهمتي إلى روح نجاح أسمائك ومحل قدسك.

- عنهم عليه السلام: أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تجعلني ممن يديم ذكرك، ولا ينقض عهدك.

- الإمام علي عليه السلام - في الدعاء - : أسألك بحقك وقدسك وأعظم صفاتك وأسمائك أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة، وبخدمتك موصولة، وأعمالي عندك مقبولة، حتى يكون أعمالي وإرادتي

(١) ميزان الحكمة، جزء ٢، ص ٩٦٦.

[أورادي - خ ل] كلها وردا واحدا، وحالي في خدمتك سرمدًا.

كثرة التسبيح

وفي كثرة التسبيح مما صدرَ عن أهل البيت عليهم السلام:

- الإمام علي عليه السلام - في ذكر حديث معراج النبي صلوات الله عليه - قال الله تعالى: يا أحمد، ليس كل من قال: (أُحِبُّ الله) أحبني، حتى يأخذ قوتاً... ويشغل بذكري اشتغلاً، ويكثر التسبيح دائماً. ^(١)

- عن يونس بن يعقوب: قُلْتُ لأبي عبد الله عليه السلام: من قال (سبحان الله) مئة مرة، كان مِمَّنْ ذَكَرَ الله كثيراً؟ قال: نعم. ^(٢)

بعد ما تقدم من فوائد نتقل في حديقة علماء التفسير لجني ثمار هذه الآية المباركة

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان

بيان

قوله: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾ بمنزلة التفسير لقوله: ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي لا يأخذهم عي وكلال بل يسبحون الليل والنهار من غير فتور، والتسبيح بالليل والنهار كناية عن دوام التسبيح من غير انقطاع.

(١) منتخب نهج الذكر، محمد الريشهري، ص ١٢٢.

(٢) منتخب نهج الذكر، محمد الريشهري، ص ١٢٣.

يصف تعالى حال المقربين من عباده والمكرمين من ملائكته أنهم مستغرقون في عبوديته مكبون على عبادته لا يشغلهم عن ذلك شاغل ولا يصرفهم صارف، وكأن الكلام مسوق لبيان خصوصية مالكيته وسلطته المذكورة في صدر الآية.

وذلك أن السنة الجارية بين الموالي وعبيدهم في الملك الاعتباري أن العبد كلما زاد تقرباً من مولاه خفف عنه بالإغماض عن كثير من الوظائف والرسوم الجارية على عامة العبيد، وكان معفوا عن الحساب والمؤاخذه، وذلك لكون الاجتماع المدني الإنساني مبنيًا على التعاون بمبادلة المنافع بحسب مساس الحاجة، والحاجة قائمة دائماً، والمولى أحوج إلى مقربي عبده من غيرهم كما أن الملك أحوج إلى مقربي حضرته من غيرهم، فإذا كان انتفاع المولى من عبده المقرب أكثر من غيره فليكن ما يبذله من الكرامة بإزاء منافع خدمته كذلك ولذا يرفع عنه كثير مما يوضع لغيره ويعفي عن بعض ما يؤاخذ به غيره فإنما هي معاملة ومبايعة.

وهذا بخلاف ملكه تعالى لعبيده فإنه ملك حقيقي مالكة في غنى مطلق عن مملوكه، ومملوكه في حاجة مطلقة إلى مالكة ولا يختلف الحال فيه بالقرب والبعد وعلو المقام ودنوه بل كلما زاد العبد فيه قرباً كانت العظمة والكبرياء والعزة والبهاء عنده أظهر والإحساس بذلة نفسه ومسكنتها وحاجتها أكثر ويلزمها الإمعان في خشوع العبودية

وخضوع العبادة.

بحث روائي

في العيون، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في هاروت وماروت في حديث: أن الملائكة معصومون - محفوظون عن الكفر والقبائح بألطف الله تعالى - قال الله تعالى فيهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ - وقال عز وجل: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ - يعني الملائكة - لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

وفي نهج البلاغة، قال عليه السلام في وصف الملائكة: ومسبحون لا يسأمون، ولا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان.

أقول: وبه يضعف ما في بعض الروايات أن الملائكة ينامون كما في كتاب كمال الدين بإسناده عن داود بن فرقد عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله: أنه سئل عن الملائكة أينامون؟ فقال: ما من حي إلا وهو ينام خلا الله وحده: فقلت: يقول الله عز وجل: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾؟ قال: أنفاسهم تسبيح.

على أن الرواية ضعيفة.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور

إشارات

* «السنة الجارية بين الموالي وعبيدهم في الملك الاعتباري أن العبد كلما زاد تقرباً من مولاه خَفَّفَ عنه بالإغماض عن كثير من الواجبات والرسوم الجارية على عامة العبيد، وكان معفواً من الحساب والمؤاخذه... وهذا بخلاف ملكه تعالى لعبيده، فإنه ملك حقيقي: مالكة في غنى مطلق عن مملوكه، ومملوكه في حاجة مطلقة إلى مالكة، ولا يختلف فيه الحال بالقرب، والبعد، وعلو المقام ودنوه، بل كلما زاد العبد فيه قرباً كانت العظمة، والكبرياء، والعزة، والبهاء، عنده أظهر، والإحساس بذلة نفسه ومسكنتها وحاجتها أكثر، فيلزمها الإمعان في خشوع العبودية وخضوع العبادة»، ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾.

* ورد في الخطبة الأولى من نهج البلاغة كلام للإمام علي عليه السلام يصف فيه الملائكة إذ يقول: «ومسبحون لا يسأمون ولا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان».

النعاليم

١. الملكية الحقيقية لعالم الوجود إنما هي لله تعالى، ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ (لذا ما دمنا الآن مملوكين له فلا بد لنا من أن نعمل بمقتضى وظيفة العبودية).

٢. لا ينحصر كل من العبادة والعبودية بالإنسان فحسب، ﴿مِنْ عِنْدِهِ﴾.

٣. في السموات موجودات حية ذات شعور أيضاً. (كلمة ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾، وردت مقابل كلمة ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ عِنْدِهِ﴾ وهذا يشير إلى وجود موجودات حية ذات شعور غير الملائكة أيضاً).

٤. بعض مخلوقات الله تعالى تصل إلى مقام القرب الإلهي، ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾.

٥. أساس ترك العبادة هو التكبر، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾.

٦. العبادة تقرن الإنسان بالملائكة، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾.

٧. النشاط، أساس قيم للعبادة، ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾.

٨. الملائكة لا ينامون، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾.

٩. دوام العبادة يزيد لها عظمة وقيمة، ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾.

١٠. علينا أن نضع العقائد الباطلة تحت مجهر السؤال والتساؤل، ﴿أَمْ أَتَّخِذُوا إِلَهَةً مِّنْ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثال

التفسير

الشرك ينبع من الظنّ: كان الكلام في الآيات السابقة عن أنّ عالم الوجود ليس عبثياً لا هدف من ورائه، فلا مزاح ولا عبث، ولا لهو ولا لعب، بل له هدف تكاملي دقيق للبشر. ولما كان من الممكن أن يوجد هذا التوهم، وهو: ما حاجة الله إلى إيماننا وعبادتنا؟

فإنّ الآيات التي نببحثها تجيب أولاً عن هذا التوهم، وتقول: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ (أي الملائكة) لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْثُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

ومع هذا الحال فأى حاجة لطاعتكم وعبادتكم؟ فكلّ هؤلاء الملائكة المقربين مشغولون بالتسبيح ليلاً ونهاراً، وهو تعالى لا يحتاج حتى لعبادة هؤلاء، فإذا كنتم قد أمرتم بالإيمان والعمل الصالح والعبودية فإنّ كلّ ذلك سيعود بالنفع عليكم.

وهنا نقطة تلفت الانتباه أيضاً، وهي أنّه في نظام العبيد والموالي الظاهري، كلما تقرب العبد من مولاه يقلّ خضوعه أمامه، لأنّ يختصّ به أكثر، فيحتاجه المولى أكثر. أمّا في نظام عبودية الخلق والخالق فالأمر على العكس، فكلّما اقتربت الملائكة وأولياء الله من الله سبحانه زادت عبوديتهم.

وبعد أن نفت في الآيات السابقة عبثية ولا هدفية عالم الوجود، وأصبح من المسلم أن لهذا العالم هدفا مقدسا، فإن هذه الآيات تتطرق إلى بحث مسألة وحدة المعبود ومدبر هذا العالم، فتقول: ﴿أَمْ أَتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾.

وهذه الجملة في الحقيقة إشارة إلى أن المعبود يجب أن يكون خالقا، وخاصة خلق الحياة، لأنها أوضح مظاهر الخلق ومصاديقه. وهذا في الحقيقة يشبه ما نقرأه في الآية «٧٣» من سورة الحج: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ ومع هذا الحال كيف يكون هؤلاء أهلا للعبادة؟

التعبير بـ «إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ» إشارة إلى الأصنام والمعبودات التي كانوا يصنعونها من الحجارة والخشب، وكانوا يظنونها حاكمة على السماوات.

وتبين الآية التالية أحد الأدلة الواضحة على نفي آلهة وأرباب المشركين، فتقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

هذه الادعاءات غير الصحيحة وهذه الأرباب المصنوعة والآلهة المظنونة ليست إلا أوهاما، وساحة كبرياء ذاته المقدسة لا تتلوث بهذه النسب المغلوطة.

برهان الثمانع

إنّ الدليل الوارد في الآية آنفة الذكر ولإثبات التوحيد ونفي الآلهة، في الوقت الذي هو بسيط وواضح، فإنّه من البراهين الفلسفيّة الدقيقة في هذا الباب، ويذكره العلماء تحت عنوان (برهان التمانع). ويمكن إيضاح خلاصة هذا البرهان بما يلي:

إنّنا نرى - بدون شكّ - نظاما واحدا حاكما في هذا العالم، ذلك النظام المتناسق من جميع جهاته، فقوانينه ثابتة تجري في الأرض والسّماء، ومناهجه متطابقة بعضها مع بعضها، وأجزاؤه متناسبة.

إنّ انسجام القوانين وأنظمة الخلقة هذا يحكي أنّها تنبع من عين واحدة، لأنّ البدايات إن كانت متعدّدة، والإرادات مختلفة، لم يكن يوجد هذا الانسجام مطلقا، وهذا الشيء الذي يعبر عنه القرآن ب (الفساد) يلاحظ في العالم بوضوح.

إذا كنّا من أهل التحقيق والمطالعة - ولو قليلا - فإنّنا نستطيع أن نفهم جيدا من خلال تحقيق كتاب ما، أنّ كاتبه شخص واحد أم عدّة أشخاص؟ فإنّ الكتاب الذي يؤلّفه شخص واحد يوجد انسجام خاص بين عباراته، ترتيب جملة، تعبيراته المختلفة، كنياته وإشاراته، عناوينه ورؤوس مطالبه، طريقة الدخول في البحوث والخروج منها، والخلاصة: إنّ كلّ أقسامه متحدّة متناسقة لأنّها وليدة فكر واحد، وترشّح قلم واحد.

أمّا إذا تعهّد شخصان أو عدّة أشخاص بأن يؤلّف كلّ منهم جزءاً من الكتاب - وإن كان الجميع علماء متقاربون في الروح والتفكير - فستظهر آثار هذه الازدواجية أو الكثرة في العبارات والألفاظ، وطريقة الأبحاث. وسبب ذلك واضح، لأنّ الفردين مهما كانا منسجمين في الفكر والذوق، فإنّهما في النتيجة فردان، فلو كانت كلّ شيءاتهما واحدة لأصبحا فرداً واحداً، فبناء على هذا فيجب أن يكون هناك تفاوت فيما بينهما قطعاً لئلاّ يتّكنا أن يكونا فردين، وهذا الاختلاف سيؤثر أثره في النتيجة، وسيبدي آثاره في كتاباتهما.

وكلّما كان هذا الكتاب أكبر وأكثر تفصيلاً، ويبحث مواضيع متنوّعة، فإنّ عدم الانسجام يلمس فيه أوضح. وكتاب عالم الخلقة الكبير، الذي نضّيع بكلّ وجودنا في طيّات عباراته لعظمته يشمله هذا القانون أيضاً.

حقّاً إنّنا لا نستطيع مطالعة كلّ هذا الكتاب حتى لو صرفنا كلّ عمرنا في مطالعته، إلّا أنّ هذا القدر الذي وفّقنا نحن - وجميع العلماء - لمطالعة منسجم إلى الحدّ الذي يدلّ تماماً على وحدة مؤلّفه... إنّنا كلّما تصفّحنا هذا الكتاب العجيب فستظهر بين كلماته وسطوره وصفحاته آثار تنظيم عال وانسجام منقطع النظير.

فإذا كانت هناك إرادات وبدايات متعدّدة تتدخل في إدارة هذا العالم وتنظيمه، فهل كان بالإمكان أن يوجد مثل هذا الانسجام؟

ولو فكّرنا: لماذا يستطيع علماء الفضاء أن يرسلوا السفن الفضائية إلى الفضاء بدقة كاملة، وينزلوا العربّة على القمر في المحلّ الذي قدروه من الناحية العلمية بدقة متناهية، ثمّ يحركونها من هناك وينزلونها إلى الأرض في المحلّ الذي توقّعوه؟

ألم تكن هذه الدقّة في الحسابات لكون النظام الحاكم على كلّ الوجود الذي هو أساس حسابات هؤلاء العلماء - دقيقاً ومنسجماً، بحيث إذا كان هناك شيء من عدم الانسجام - ومن الناحية الزمانيّة جزء من مئة من الثانية - فستضطرب جميع حساباتهم؟

ونقول باختصار: إذا كانت هناك إرادتان أو عدّة إرادات حاكمة في العالم، فإنّ لكلّ واحدة قضاء، وكانت الأخرى تمحو أثر الأولى، وسيؤول العالم إلى الفساد عندئذ.

سؤال:

وهنا يثار سؤال يمكن استلهاً جوابه من التوضيحات السابقة، وهو: هل تعدّد الآلهة يكون منشأً للفساد عند ما يحارب أحدها الآخر، أمّا إذا اعتقدنا بأنّ هؤلاء أفراد حكماء عالمون، فإنّهم يتعاونون فيما بينهم ويديرون العالم؟

وجواب هذا السؤال لا لبس فيه: فإنّ كونهم حكماء لا يزيل تعدّدهم، فعند ما نقول: إنّهم متعدّدون، فإنّ معناه إنّهم ليسوا متّحدين

من جميع الجهات، لأنهم إن اتحدوا من كل الجوانب أصبحوا إلهًا واحدًا، وبناء على ذلك فأينما وجد التعدد وجد الاختلاف الذي يؤثر في الإدارة والعمل شئنا أم أبينا، وهذا سيجرّ عالم الوجود إلى الهرج والمرج.

وقد استند في بعض هذه الاستدلالات إلى أنه لو كان هناك إرادتان حاکمتان على الخلق، لما كان هناك عالم أصلا. في حين أن هذه الآية تتحدّث عن فساد العالم واختلال النظام، لا عن عدم وجود العالم.

ومن اللطيف أن نقرأ في حديث يرويه هشام بن الحكم عن الإمام الصادق عليه السلام في جواب الرجل الملهّد الذي كان يتحدّث عن تعدّد الآلهة، أنه

قال: «لا يخلو قولك أنّهما اثنان من أن يكونا قوين أو يكونا ضعيفين، أو يكون أحدهما قويا والآخر ضعيفا، فإن كانا قوين فلم لا يدفع كلّ واحد منهما صاحبه وينفرد بالتدبير، وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنه واحد كما تقول، للعجز الظاهر في الثاني، وإن قلت: إنّهما اثنان، لا يخلو من أن يكونا متفقين من كلّ جهة أو متفرّقين من كلّ جهة، فلمّا رأينا الخلق منتظما، والفلک جاريا، واختلاف الليل والنهار، والشمس والقمر، دلّ صحّة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر أن المدبّر واحد.

ثم يلزمك إن ادّعت اثنين فلا بدّ من فرجة بينهما حتى يكونا اثنين، فصارت الفرجة ثالثا بينهما قديما معهما فيلزمك ثلاثة، فإن ادّعت ثلاثة لزمك ما قلنا في الاثنين حتى يكون بينهما فرجتان فيكون خمسا، ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية في الكثرة».

إنّ بداية هذا الحديث إشارة إلى برهان التمانع، ونهايته إشارة إلى برهان آخر يسمّى ب (برهان الفرجة).

وفي حديث آخر: إنّ هشام بن الحكم سأل الإمام الصادق عليه السلام: ما الدليل على أنّ الله واحد؟ قال: «اتّصال التدبير، وتمام الصنع، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾».

وبعد أن ثبت بالاستدلال الذي ورد في الآية توحيد مدبّر ومدير هذا العالم، فتقول الآية التالية: إنّّه قد نظّم العالم بحكمة لا مجال فيها للإشكال والانتقاص ولا أحد يعترض عليه في خلقه: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

وبالرغم من أنّ المفسّرين قد تكلموا كثيرا حول تفسير هذه الآية، إلّا أنّ ما ذكرناه أعلاه يبدو هو الأقرب.

وتوضيح ذلك: أنّ لدينا نوعين من الأسئلة:

الأوّل: السؤال التوضيحي، وهو أن يكون الإنسان جاهلا ببعض المسائل، ويرغب في أن يدرك حقيقتها، وحتى إذا علم وآمن بأنّ هذا

العمل الذي تمّ كان صحيحا، فإنّه يريد أن يعلم النقطة الأصليّة والهدف الحقيقيّ منه، ومثل هذا السؤال جائز حتى حول أفعال الله، بل إنّ هذا السؤال يعتبر أساس ومصدر الفحص والتحقيق في عالم الخلقة والمسائل العلميّة، وقد كان لأصحاب النبي والأئمة كثير من هذه الأسئلة سواء فيما يتعلّق بعالم التكوين أو التشريع.

أمّا النوع الثّاني: فهو السؤال الاعتراضي، والذي يعني أنّ العمل الذي تمّ كان خطأ، كأن ينقضّ إنسان عهده بلا سبب، فنقول: لماذا نقضت عهذك؟ فليس الهدف طلب التوضيح، بل الهدف الاعتراض والتخطئة.

من المسلّم أنّ هذا النوع من السؤال لا معنى له حول أفعال الله الحكيم، وإذا ما اعترض أحد أحيانا فلجهله، إلّا أنّ مجال هذا السؤال حول أفعال الآخرين واسع.

وفي حديث عن الإمام الباقر عليه السلام في جواب سؤال جابر الجعفري عن هذه الآية أنّه قال: «لأنّه لا يفعل إلّا ما كان حكمة وصوابا».

ويمكن أن تستخلص نتيجة من هذا الكلام، وهي: إنّ أحدا إذا سأل سؤالاً من النوع الثّاني، فهو دليل على أنّه لم يعرف الله معرفة صحيحة لحدّ الآن، وهو جاهل بكونه حكيمًا.

وتشتمل الآية التالية على دليلين آخرين في مجال نفي الشرك،

فمضافا إلى الدليل السابق يصبح مجموعها ثلاثة أدلة.

تقول الآية أولا: ﴿أَمْ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ وهو إشارة إلى أنكم إذا صرفتم النظر عن الدليل السابق القائم على أن نظام عالم الوجود دليل على التوحيد، فإنه لا يوجد أي دليل - على الأقل - على إثبات الشرك وألوهية هذه الآلهة، فكيف يتقبل إنسان عاقل مطلباً لا دليل عليه؟

ثم تشير إلى الدليل الأخير فتقول: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي﴾ وهذا هو الدليل الذي ذكره علماء العقائد تحت عنوان (إجماع واتفاق الأنبياء على التوحيد).

ولما كانت كثرة المشركين (وخاصة في ظرف حياة المسلمين في مكة، والتي نزلت فيها هذه السورة) مانعا أحيانا من قبول التوحيد من قبل بعض الأفراد، فهي تضيف: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

لقد كانت مخالفة الأكثرية الجاهلة في كثير من المجتمعات دليل وحجة لإعراض الغافلين الجاهلين دائما، وقد انتقد القرآن الاستناد إلى هذه الأكثرية بشدة في كثير من الآيات، سواء التي نزلت في مكة أو المدينة، ولم يعرها أية أهمية، بل اعتبر المعيار هو الدليل والمنطق.

ولما كان من المحتمل أن يقول بعض الجاهلة الغافلين أن لدينا أنبياء

كعيسى مثلاً دعوا إلى آلهة متعددة، فإن القرآن الكريم يقول في آخر آية من الآيات محل البحث بصراحة تامة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وبهذا يثبت أنه لا عيسى ولا غيره قد دعا إلى الشرك، ومثل هذه النسبة إليه تهمة وافتراء.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

١ - السَّجَّاد عليه السلام: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ يَسْأَلُهُ عَنِ الْعَرْشِ وَأَمَّا مَا سَأَلَ مِنَ الْعَرْشِ مِمَّ خَلَقَهُ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ أَرْبَاعاً لَمْ يَخْلُقْ قَبْلَهُ إِلَّا ثَلَاثَةً أَشْيَاءَ الْهَوَاءَ وَالْقَلَمَ وَالنُّورَ ثُمَّ خَلَقَهُ مِنْ أَلْوَانِ أَنْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ نُورٌ أَخْضَرُ مِنْهُ اخْضَرَّتِ الْخُضْرَةُ وَنُورٌ أَصْفَرُ مِنْهُ اخْضَرَّتِ الصُّفْرَةُ وَنُورٌ أَحْمَرُ مِنْهُ اخْضَرَّتِ الْحُمْرَةُ وَنُورٌ أَبْيَضُ وَهُوَ نُورُ الْأَنْوَارِ وَمِنْهُ ضَوْءُ النَّهَارِ ثُمَّ جَعَلَهُ سَبْعِينَ أَلْفَ طَبَقٍ غَلِظَ كُلُّ طَبَقٍ كَأَوَّلِ الْعَرْشِ إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ طَبَقٌ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهِ وَيُقَدِّسُهُ بِأَصْوَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَاللِّسَنَةُ غَيْرُ مُشْتَبِهَةٍ لَوْ أُذِنَ لِلِّسَانِ وَاحِدٍ فَاسْمَعَ شَيْئاً مِمَّا تَحْتَهُ لَهَدَمَ الْجِبَالَ وَالْمَدَائِنَ وَالْخُصُوفَ وَكَشَفَ الْبِحَارَ وَهَلَكَ مَا دُونَهُ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَرْكَانٍ يَحْمِلُ كُلُّ رُكْنٍ مِنْهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ يُسَبِّحُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَفْتُرُونَ وَلَوْ أَحَسَّ حَسَّ شَيْءٍ مِمَّا فَوْقَهُ مَا قَامَ لِذَلِكَ طَرْفَةٌ عَيْنٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِحْسَاسِ الْجَبْرُوتُ وَالْكِبْرِيَاءُ وَالْعِظَمَةُ وَالْقُدُسُ وَالرَّحْمَةُ وَالْعِلْمُ وَلَيْسَ وَرَاءَ

هَذَا مَقَالٌ.

٢- الصادق عليه السلام: عن داود بن فرقدٍ قَالَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَخْبِرْنِي عَنِ الْمَلَائِكَةِ أَيْنَا مُونَ؟ قُلْتُ لَا أَدْرِي قَالَ يَقُولُ اللَّهُ عز وجل ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ثُمَّ قَالَ لَا أُطْرِفُكَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام بِشَيْءٍ؟ فَقُلْتُ بَلَى فَقَالَ سِئْلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ مَا مِنْ حَيٍّ إِلَّا وَهُوَ يَنَامُ خَلَا (مَا خَلَا) اللَّهُ وَحْدَهُ عز وجل وَالْمَلَائِكَةُ يَنَامُونَ فَقُلْتُ يَقُولُ اللَّهُ عز وجل ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ قَالَ أَنْفَاسُهُمْ تَسْبِيحٌ.

٣- الصادق عليه السلام: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرْقِيِّ يَرْفَعُهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: قَالَ لَهُ رَجُلٌ جُعِلْتُ فِدَاكَ أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَمَا وَصَفَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ثُمَّ قَالَ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ كَيْفَ لَا يَفْتُرُونَ وَهُمْ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ صلی الله علیه و آله فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ مُحَمَّدًا صلی الله علیه و آله أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَقَالَ انْقُصُوا مِنْ ذِكْرِي بِمَقْدَارِ الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ صلی الله علیه و آله فَقَوْلُ الرَّجُلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ فِي الصَّلَاةِ مِثْلُ قَوْلِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ.

٤- الرَّسُولُ صلی الله علیه و آله: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ جَاءَ جَبْرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ بِالْبُرَاقِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ... قَالَ ثُمَّ مَرَرْنَا بِمَلَائِكَةِ

مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهُمُ اللَّهُ كَيْفَ شَاءَ وَوَضَعَ وُجُوهَهُمْ كَيْفَ شَاءَ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ أَطْبَاقِ أَجْسَادِهِمْ إِلَّا وَهُوَ يُسَبِّحُ اللَّهَ وَيُحَمِّدُهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِأَصْوَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ أَصْوَاتُهُمْ مُرْتَفَعَةٌ بِالتَّحْمِيدِ وَالْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَسَأَلَتْ جِبْرِئِيلَ عَنْهُمْ، فَقَالَ كَمَا تَرَى خُلِقُوا إِنَّ الْمَلِكَ مِنْهُمْ إِلَى جَنْبِ صَاحِبِهِ مَا كَلَّمَهُ قَطُّ وَلَا رَفَعُوا رُءُوسَهُمْ إِلَى مَا فَوْقَهَا وَلَا خَفَضُوهَا إِلَى مَا تَحْتَهُمْ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ خُشُوعًا فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ فَرَدُّوا عَلَى إِيْمَاءٍ بَرُّهُ وَسَهُمْ لَا يَنْظُرُونَ إِلَيَّ مِنَ الْخُشُوعِ فَقَالَ لَهُمْ جِبْرِئِيلُ هَذَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى الْعِبَادِ رَسُولًا وَنَبِيًّا وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدُهُمْ أَفَلَا تَكَلِّمُونَهُ قَالَ فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ جِبْرِئِيلَ أَقْبَلُوا عَلَى بِالسَّلَامِ وَأَكْرَمُونِي وَبَشَّرُونِي بِالْخَيْرِ لِي وَلَا أُتَمِّتِي.

٥- أمير المؤمنين عليه السلام: مُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ وَلَا سَهُوُ الْعُقُولِ وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ وَلَا غَفْلَةُ النَّسْيَانِ.

٦- أمير المؤمنين عليه السلام: وَلَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طَوْلِ دُورِهِمْ.

٧- الصادق عليه السلام: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ مِيرَاثِ الْعِلْمِ مَا مَبْلَغُهُ أَجَوَامِعُ مَا هُوَ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ أَمْ تَفْسِيرُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي نَتَكَلَّمُ فِيهَا فَقَالَ إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَدِينَتَيْنِ مَدِينَةً بِالْمَشْرِقِ وَمَدِينَةً بِالْمَغْرِبِ فِيهِمَا قَوْمٌ لَا يَعْرِفُونَ إِبْلِيسَ وَلَا يَعْلَمُونَ بِخَلْقِ إِبْلِيسَ نَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ حِينٍ فَيَسْأَلُونَا عَمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُونَا عَنِ الدُّعَاءِ فَنُعَلِّمُهُمْ وَيَسْأَلُونَا عَنْ قَائِمِنَا عليه السلام مَتَى يَظْهَرُ وَفِيهِمْ عِبَادَةٌ

وَاجْتِهَادٌ شَدِيدٌ وَلَمَدِينَتِهِمْ أَبْوَابٌ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعِ إِلَى الْمِصْرَاعِ مِئَةٌ فَرَسِيخٌ
هَئِمَّ تَقْدِيرُكُمْ وَتَمَجِيدٌ وَدُعَاءٌ وَاجْتِهَادٌ شَدِيدٌ لَوْ رَأَيْتُمُوهُمْ لَا خَتَرْتُمْ
عَمَلَكُمْ يُصَلِّي الرَّجُلُ مِنْهُمْ شَهْرًا لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنْ سَجْدَتِهِ طَعَامُهُمُ
التَّسْبِيحُ وَلِبَاسُهُمُ الْوَرَقُ وَوُجُوهُهُمْ مُشْرِقَةٌ بِالنُّورِ إِذَا رَأَوْا مِنَّا وَاحِدًا
لَحْسُوهُ وَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَأَخَذُوا مِنْ أَثَرِهِ مِنَ الْأَرْضِ يَتَبَرَّكُونَ بِهِ هَئِمَّ
دَوِيُّ إِذَا صَلَّوْا كَأَشَدِّ مِنْ دَوِيِّ الرِّيحِ الْعَاصِفِ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ لَمْ يَضَعُوا
السَّلَاحَ مُنْذُ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ قَائِمَنَا ﷺ يَدْعُونَ اللَّهَ ﷻ أَنْ يُرِيَهُمْ إِيَّاهُ
وَعُمُرُ أَحَدِهِمْ أَلْفُ سَنَةٍ إِذَا رَأَيْتَهُمْ رَأَيْتَ الْخُشُوعَ وَالِاسْتِكَانَةَ وَطَلَبَ
مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ إِذَا احْتَبَسْنَا عَنْهُمْ ظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ سَخَطِ
يَتَعَاهَدُونَ أَوْقَاتَنَا الَّتِي نَأْتِيهِمْ فِيهَا لَا يَسْأَمُونَ وَلَا يَقْتُرُونَ يَتْلُونَ كِتَابَ
اللَّهِ ﷻ كَمَا عَلَّمْنَاهُمْ وَإِنْ فِيمَا نَعَلَّمُهُمْ مَا لَوْ تَلَى عَلَى النَّاسِ لَكَفَرُوا بِهِ
وَلَا نَكْرَاهُ يَسْأَلُونَا عَنِ الشَّيْءِ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ لَا يَعْرِفُونَهُ فَإِذَا
أَخْبَرْنَاهُمْ بِهِ انْشَرَحَتْ صُدُورُهُمْ لِمَا يَسْتَمْعُونَ مِنَّا وَسَأَلُوا لَنَا طَوْلَ
الْبَقَاءِ وَأَنْ لَا يَفْقِدُونَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّ الْمِنَّةَ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِيمَا نَعَلَّمُهُمْ
عَظِيمَةٌ وَهُمْ خَرَجَةٌ مَعَ الْإِمَامِ إِذَا قَامَ يَسْبِقُونَ فِيهَا أَصْحَابَ السَّلَاحِ
وَيَدْعُونَ اللَّهَ ﷻ أَنْ يُجْعَلَهُمْ مِمَّنْ يَنْتَصِرُ بِهِمْ لِدِينِهِ فِيهِمْ كُهُولٌ وَشَبَابٌ إِذَا
رَأَى شَابٌّ مِنْهُمْ الْكَهْلَ جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَلَسَةَ الْعَبْدِ لَا يَقُومُ حَتَّى يَأْمُرَهُ
هَئِمَّ طَرِيقُ هُمْ أَعْلَمُ بِهِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى حَيْثُ يُرِيدُ الْإِمَامُ ﷺ فَإِذَا أَمَرَهُمُ
الْإِمَامُ بِأَمْرٍ قَامُوا عَلَيْهِ أَبَدًا حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَأْمُرُهُمْ بِغَيْرِهِ لَوْ أَنَّهُمْ

وَرَدُّوْا عَلَى مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مِنَ الْخَلْقِ لَأَفْنَوْهُمْ فِي سَاعَةٍ
وَاحِدَةٍ لَا يَخْتَلُ فِيهِمُ الْحَدِيدُ هُمْ سُيُوفٌ مِنْ حَدِيدٍ غَيْرِ هَذَا الْحَدِيدِ لَوْ
ضَرَبَ أَحَدُهُمْ بِسَيْفِهِ جَبَلًا لَقَدَّهُ حَتَّى يَفْصِلَهُ وَيَغْزُو بِهِمُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
الْهِنْدَ وَالْدَّيْلَمَ وَالْكُرْدَ وَالرُّومَ وَبَرْبَرَ وَفَارِسَ وَيِنَّ جَابِرَسَا إِلَى جَابَلَقَا
وَهُمَا مَدَيَّتَانِ وَاحِدَةٌ بِالْمَشْرِقِ وَوَاحِدَةٌ بِالْمَغْرِبِ لَا يَأْتُونَ عَلَى أَهْلِ دِينٍ
إِلَّا دَعَوْهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى الْإِسْلَامِ وَالْإِقْرَارِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالتَّوْحِيدِ
وَوَلَايَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَنْ أَجَابَ مِنْهُمْ وَدَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ
تَرَكُوهُ وَأَمَرُوا عَلَيْهِ أَمِيرًا مِنْهُمْ وَمَنْ لَمْ يُجِبْ وَلَمْ يَقَرَّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَلَمْ يَقَرَّ
بِالْإِسْلَامِ وَلَمْ يُسَلِّمْ قَتْلُوهُ حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا دُونَ
الْجَبَلِ أَحَدٌ إِلَّا آمَنَ.

٨- أمير المؤمنين عليه السلام: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سُئِلَ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام هَلْ كَانَ فِي الْأَرْضِ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى
يَعْبُدُونَ اللَّهَ قَبْلَ آدَمَ عليه السلام وَذُرِّيَّتِهِ فَقَالَ نَعَمْ قَدْ كَانَ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يُقَدِّسُونَ اللَّهَ وَيُسَبِّحُونَهُ وَيُعْظِمُونَهُ
بَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَفْتُرُونَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ الْأَرْضَ خَلَقَهَا قَبْلَ
السَّمَاوَاتِ ثُمَّ خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ رُوحَانِيَّينَ لَهُمْ أَجْنَحَةٌ يَطِيرُونَ بِهَا حَيْثُ
يَشَاءُ اللَّهُ فَأَسْكَنَهُمْ فِيمَا بَيْنَ أَطْبَاقِ السَّمَاوَاتِ يُقَدِّسُونَهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَاصْطَفَى مِنْهُمْ إِسْرَافِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجِبْرِئِيلَ ثُمَّ خَلَقَ عِزَّ وَجَلَّ فِي الْأَرْضِ
الْجِنَّ رُوحَانِيَّينَ لَهُمْ أَجْنَحَةٌ فَخَلَقَهُمْ دُونَ خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ وَحَفِظَهُمْ أَنْ

يَبْلُغُوا مَبْلَغَ الْمَلَائِكَةِ فِي الطَّيْرَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَأَسْكَنَهُمْ فِيمَا بَيْنَ أَطْبَاقِ
الْأَرْضَيْنِ السَّبْعِ وَفَوْقَهُنَّ يُقَدِّسُونَ اللَّهَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ثُمَّ
خَلَقَ خَلْقًا دُونَهُمْ لَهُمْ أَبْدَانٌ وَأَرْوَاحٌ بَغَيْرِ أَجْنَحَةٍ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ
نَسْنَسُ أَشْبَاهُ خَلْقِهِمْ وَلَيْسُوا بِإِنْسٍ وَأَسْكَنَهُمْ أَوْسَاطَ الْأَرْضِ عَلَى
ظَهْرِ الْأَرْضِ مَعَ الْجِنِّ يُقَدِّسُونَ اللَّهَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ قَالَ وَكَانَ
الْجِنُّ تَطِيرُ فِي السَّمَاءِ فَتَلْقَى الْمَلَائِكَةَ فِي السَّمَاوَاتِ فَيَسَلُّمُونَ عَلَيْهِمْ
وَيَزُورُونَهُمْ وَيَسْتَرْجُونَ إِلَيْهِمْ وَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمْ الْخَبْرُ ثُمَّ إِنَّ طَائِفَةً مِنَ
الْجِنِّ وَالنَّسْنَاسِ الَّذِينَ خَلَقَهُمُ اللَّهُ وَأَسْكَنَهُمْ أَوْسَاطَ الْأَرْضِ مَعَ الْجِنِّ
تَمَرَّدُوا وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ فَمَرَحُوا وَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَعَلَا
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْعُتْوِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى سَفَكُوا الدَّمَاءَ فِيمَا
بَيْنَهُمْ وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ وَجَحَدُوا رُبُوبِيَّةَ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ وَأَقَامَتِ الطَّائِفَةُ
الْمُطِيعُونَ مِنَ الْجِنِّ عَلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَبَايَعُوا الطَّائِفَتَيْنِ مِنَ الْجِنِّ
وَالنَّسْنَاسِ الَّذِينَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ فَحَطَّ اللَّهُ أَجْنَحَةَ الطَّائِفَةِ
مِنَ الْجِنِّ الَّذِينَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ وَتَمَرَّدُوا فَكَانُوا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى
الطَّيْرَانِ إِلَى السَّمَاءِ وَإِلَى مُلَاقَةِ الْمَلَائِكَةِ لَمَّا ارْتَكَبُوا مِنَ الذُّنُوبِ
وَالْمَعَاصِي قَالَ وَكَانَتِ الطَّائِفَةُ الْمُطِيعَةُ لِأَمْرِ اللَّهِ مِنَ الْجِنِّ تَطِيرُ إِلَى
السَّمَاءِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ وَكَانَ إِبْلِيسُ وَاسْمُهُ الْحَارِثُ
يُظْهَرُ لِلْمَلَائِكَةِ أَنَّهُ مِنَ الطَّائِفَةِ الْمُطِيعَةِ ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى خَلْقًا عَلَى
خِلَافِ خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ وَعَلَى خِلَافِ خَلْقِ الْجِنِّ وَعَلَى خِلَافِ خَلْقِ

النَّسَاسِ يَدْبُونُ كَمَا يَدْبُ الْهُوَامُ فِي الْأَرْضِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ كَمَا تَأْكُلُ
الْأَنْعَامُ مِنْ مَرَاغِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ ذُكْرَانٌ لَيْسَ فِيهِمْ إِنَاثٌ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ
فِيهِمْ شَهْوَةَ النِّسَاءِ وَلَا حُبَّ الْأَوْلَادِ وَلَا الْحِرْصَ وَلَا طُولَ الْأَمَلِ وَلَا
لَذَّةَ عَيْشٍ لَا يُلْبِسُهُمُ اللَّيْلُ وَلَا يَغْشَاهُمُ النَّهَارُ وَلَيْسُوا بِبَهَائِمٍ وَلَا هَوَامٍّ
لِبَاسُهُمْ وَرَقُ الشَّجَرِ وَشُرْبُهُمْ مِنَ الْعُيُونِ الْغِزَارِ وَالْأَدْوِيَةِ الْكِبَارِ ثُمَّ
أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُفَرِّقَهُمْ فَرَقَتَيْنِ فَجَعَلَ فِرْقَةً خَلْفَ مَطْلِعِ الشَّمْسِ مِنْ وَرَاءِ
الْبَحْرِ فَكَوَّنَ لَهُمْ مَدِينَةً أَنْشَأَهَا تُسَمَّى جَابِرْسَا طُولُهَا اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ
فَرَسِيخٍ فِي اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ فَرَسِيخٍ وَكَوَّنَ عَلَيْهَا سُورًا مِنْ حَدِيدٍ يَقْطَعُ
الْأَرْضَ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ أَسْكَنَهُمْ فِيهَا وَأَسْكَنَ الْفِرْقَةَ الْأُخْرَى خَلْفَ
مَغْرِبِ الشَّمْسِ مِنْ وَرَاءِ الْبَحْرِ وَكَوَّنَ لَهُمْ مَدِينَةً أَنْشَأَهَا تُسَمَّى جَابِلَقَا
طُولُهَا اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَرَسِيخٍ فِي اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ فَرَسِيخٍ وَكَوَّنَ لَهُمْ سُورًا
مِنْ حَدِيدٍ يَقْطَعُ إِلَى السَّمَاءِ فَأَسْكَنَ الْفِرْقَةَ الْأُخْرَى فِيهَا لَا يَعْلَمُ أَهْلُ
جَابِرْسَا بِمَوْضِعِ أَهْلِ جَابِلَقَا وَلَا يَعْلَمُ أَهْلُ جَابِلَقَا بِمَوْضِعِ أَهْلِ
جَابِرْسَا وَلَا يَعْلَمُ بِهِمْ أَهْلُ أَوْسَاطِ الْأَرْضِ مِنَ الْجَنِّ وَالنَّسَاسِ
فَكَانَتِ الشَّمْسُ تَطْلُعُ عَلَى أَهْلِ أَوْسَاطِ الْأَرْضِ مِنَ الْجَنِّ وَالنَّسَاسِ
فَيَتَنَفَّعُونَ بِحَرِّهَا وَيَسْتَضِيئُونَ بِنُورِهَا ثُمَّ تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حِمَّةٍ فَلَا يَعْلَمُ
بِهَا أَهْلُ جَابِلَقَا إِذَا غَرَبَتْ وَلَا يَعْلَمُ بِهَا أَهْلُ جَابِرْسَا إِذَا طَلَعَتْ لِأَنَّهَا
تَطْلُعُ مِنْ دُونِ جَابِرْسَا وَتَغْرُبُ مِنْ دُونِ جَابِلَقَا فَقِيلَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَكَيْفَ يُبْصَرُونَ وَيَحْيَوْنَ وَكَيْفَ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَلَيْسَ تَطْلُعُ

الشَّمْسُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ إِنَّهُمْ يَسْتَضِيئُونَ بِنُورِ اللَّهِ فَهُمْ فِي أَشَدِّ ضَوْءٍ مِنْ
نُورِ الشَّمْسِ وَلَا يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ شَمْسًا وَلَا قَمَرًا وَلَا نُجُومًا
وَلَا كَوَاكِبَ وَلَا يَعْرِفُونَ شَيْئًا غَيْرَهُ فَقِيلَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَيُّ
إِبْلِيسَ عَنْهُمْ قَالَ لَا يَعْرِفُونَ إِبْلِيسَ وَلَا سَمِعُوا بِذِكْرِهِ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا
اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَمْ يَكْتَسِبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ قَطُّ خَطِيئَةً وَلَمْ يَقْتَرِفْ إِثْمًا
لَا يَسْقُمُونَ وَلَا يَهْرُمُونَ وَلَا يَمُوتُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَعْبُدُونَ اللَّهَ لَا
يَفْتَرُونَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ عِنْدَهُمْ سَوَاءٌ وَقَالَ إِنَّ اللَّهَ أَحَبُّ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا
وَذَلِكَ بَعْدَ مَا مَضَى لِلْجِنِّ وَالنَّسْنَاسِ سَبْعَةُ آلَافِ سَنَةٍ فَلَمَّا كَانَ مِنْ خَلْقِ
اللَّهِ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ لِلَّذِي أَرَادَ مِنَ التَّدْبِيرِ وَالتَّقْدِيرِ فِيمَا هُوَ مُكَوَّنُهُ فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ.

الآية السادسة والعشرون

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]

وظائف الملائكة

القرآن المجيد تحدث عن الملائكة في الكثير من الآيات الكريمة وبصورٍ شتى، تارةً عن الإيمان والاعتقاد بهم فقد قرن القرآن الإيمان بالملائكة كالإيمان بالله وكتبه ورسله كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ ءَالْكِتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَالْكِتَبِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَلَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ءَوَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءَغُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وتارة تحدث عن قوتهم في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ [المدر: ٣١].

وتارة ذكر بوظائفهم الدنيوية والأخروية العديدة منها ما يرتبط بعالم السماوات والعرش والجنة والنار ومنها، ومنها ما يرتبط بعالم الدنيا نستقي ذلك من القرآن الكريم وما صدر عن الرسول ﷺ وأهل البيت  في تعداد وظائف الملائكة.

بعض من وظائف الملائكة في القرآن الكريم

الملائكة المقربون

قوله تعالى: ﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢].

حملة العرش

قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

الحافون حول العرش

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَاقِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

ملائكة الكرسي

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

الحفظة من الملائكة

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠].
قوله تعالى: ﴿لَهُ مِعْقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

ملائكة الجنة وخرزنها

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

ملائكة النار

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا

٢١٨ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ٢

النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظُ شِدَادٍ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿التحریم: ٦﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ [المدثر: ٣١].

روح القدس

قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾
[القدر: ٤].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾
[فصلت: ٣٠].

سُفراء الهجي

قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

الاحاديث الواردة في وظائف الملائكة

أما ما ورد من أحاديث عن الرسول ﷺ وأهل البيت  في
وظائف الملائكة نذكر بعضاً منها كما يلي:

عن رسول الله ﷺ قال: (إذا قام العبد المؤمن إلى صلاته نظر الله
إليه حتى ينصرف، وأظلت الرحمة رأسه إلى أفق السماء، والملائكة تحفه
من حوله إلى أفق السماء، ووكل الله به ملكاً قائماً على رأسه، يقول: أيها
المصلي لو تعلم من ينظر إليك ومن تناجي ما التفت ولا زلت من

موضعك أبداً^(١)

عن رسول الله ﷺ قال: (إن الله اختار لي ولأهل بيتي سبعين ألف ملك من الملائكة الكروبيين يطوفون بقبري وقبر أهل بيتي ويعرجون إلى السماء بأعمال زوارنا ويصلون علينا وعلى زوارنا)^(٢)

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (من زار أمير المؤمنين عليه السلام عارفاً بحقه غير متجبر ولا متكبر، كتب الله له أجر مئة ألف شهيد.. إلى أن قال: واستقبلته الملائكة، فإذا انصرف شيعوه إلى منزله، فإذا مرض عادوه، وإن مات تبعوه بالاستغفار إلى قبره)^(٣).

رُوي: أن الله يخلق من عرق زوار الحسين عليه السلام من كل عرقة سبعين ألف ملك يسبحون الله ويهللونه ويستغفرون لزوار الحسين إلى أن تقوم الساعة.^(٤)

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إذا كانت عشية الخميس ليلة الجمعة نزلت الملائكة من السماء معها أقلام الذهب وصحف الفضة، لا يكتبون عشية الخميس وليلة الجمعة ويوم الجمعة إلى أن تغيب

(١) دار السلام، السيد هاشم البحراني.

(٢) دار السلام، السيد هاشم البحراني.

(٣) دار السلام، السيد هاشم البحراني.

(٤) جامع الأخبار، الشيخ محمد السبزواري.

الشمس إلا الصلاة على محمد وآل محمد^(١).

في وصية النبي ﷺ إلى سلمان: (المؤمن إذا قرأ القرآن فتح الله عليه باب الرحمة وخلق الله بكل حرف يخرج من فمه ملكًا يسبح له إلى يوم القيامة)^(٢).

عن أبي عبد الله عليه السلام (من شيع جنازة مؤمن حتى يدفن في قبره، وكل الله عز وجل به سبعين ألف ملك من المشيعين يشيعونه ويستغفرون له حتى إذا خرج من قبره)^(٣).

عن النبي ﷺ قال: (ما من قوم اجتمعوا يذكرون فضل محمد وعلي بن أبي طالب وأهل بيته إلا هبطت ملائكة السماء يحفون بهم، فإذا تفرقوا عرجت الملائكة إلى السماء، فيقول الملائكة: انا نشم منكم رائحة ما شممنها، ولا رائحة أطيب منها، فيقولون إنا كنا قعودًا عند قوم يذكرون فضل محمد وآل محمد فعبق بنا من ريحهم، فيقولون: اهبطوا بنا إلى المكان الذي كانوا فيه فيقولون: إنهم تفرقوا)^(٤).

عن أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا كان يوم الجمعة، أرسل الله تعالى ملائكة، معهم أقلام من ذهب وصحف من

(١) دار السلام، السيد هاشم البحراني.

(٢) جامع الأخبار، الشيخ محمد السبزواري.

(٣) روضة الواعظين، الشيخ محمد بن قتال النيشابوري.

(٤) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني.

فضة، فيأتون ويقفون بباب المسجد ويكتبون أسامي الذين يأتون إلى المسجد الأول فالأول، فإذا كتبوا سبعين منهم قالوا: هؤلاء بعدد السبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام من أمته، ثم يتخللون في الصفوف ويتفقدون الذين لم يحضروا، فيقولون: أين فلان؟ قيل لهم: هو مريض، فيقولون: اللهم اشفه حتى يقيم صلاة الجمعة. ويقولون: أين فلان؟ قيل لهم: ذهب إلى السفر، فتقول الملائكة: اللهم رده سالمًا فإنه صاحب الجمعة. فيقولون: أين فلان؟ فيقولون مات، فيقولون: اللهم اغفر له فإنه كان يقيم الجمعة^(١).

ومسك الختام في وظائف الملائكة ما صدر عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الرائعة حيث إنه قال: (فَمَلَأُھُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِھِ - مِنْھُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ - وَصَافُونَ لَا يَتَزَايِلُونَ وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ - لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ وَلَا سَهُوُ الْعُقُولِ - وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ وَلَا غَفْلَةُ النَّسْيَانِ - وَمِنْھُمْ أَمْنَاءٌ عَلَى وَحْيِهِ وَالسِّنَّةُ إِلَى رُسُلِهِ - وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ - وَمِنْھُمْ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ وَالسَّدَنَةُ لَأَبْوَابِ جَنَانِهِ - وَمِنْھُمْ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُھُمْ - وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُھُمْ - وَالخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَائُھُمْ - وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُھُمْ - نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُھُمْ مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِھُمْ - مَضْرُوبَةٌ بَيْنَھُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونِھُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ - وَأَسْتَارُ

(١) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ج ٦، ص ٤٥.

الْقُدْرَةِ - لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ - وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ
الْمُصْنُوعِينَ - وَلَا يَحْدُونَهُ بِالْأَمَاكِينِ وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ. (١)

شرح خطبة أمير المؤمنين عليه السلام حول وظائف الملائكة

نورد الآن شرح ابن ميثم لهذه الخطبة القراء كما يلي (٢):

أنه عليه السلام ذكر من الملائكة أنواعا وأشار بالسجود والركوع والصف والتسييح إلى تفاوت مراتبهم في العبادة والخشوع، وذلك أن الله سبحانه قد خصّ كلّاً منهم بمرتبة معينة من الكمال في العلم والقدرة لا يصل إليها من دونه، وكلّ من كانت نعمة الله عليه أكمل وأتم كانت عبادته أعلى وطاعته أوفى ثم إن السجود والركوع والصف والتسييح عبادات متعارفة بين الخلق ومتفاوتة في استلزام كمال الخضوع والخشوع، ولا يمكن حملها على ظواهرها المفهومة منها لأن وضع الجبهة على الأرض وانحناء الظهر والوقوف في خطّ واحد وحركة اللسان بالتسييح أمور مبنية على وجود هذه الآلات التي هي خاصّة ببعض الحيوانات فبالحري أن يحمل تفاوت المراتب المذكورة لهم على تفاوت كمالهم في الخضوع والخشوع لكبرياء الله وعظيمته إطلاقاً للفظ الملزوم على لازمه على أن السجود في اللغة هو الانقياد والخضوع كما مرّ.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني، ج ١، ص ١٣٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني، ج ١، ص ١٦٨: ١٦٠.

إذا عرفت ذلك فنقول: يحتمل أن يكون قوله ﷺ منهم سجود إشارة إلى مرتبة الملائكة المقربين لأنّ درجتهم أكمل درجات الملائكة فكانت نسبة عبادتهم وخضوعهم إلى خضوع من دونهم كنسبة خضوع السجود إلى خضوع الركوع . فإن قلت إنّّه قد تقدّم أنّ الملائكة المقربين مبرّؤون عن تدبير الأجسام والتعلّق بها فكيف يستقيم أن يكونوا من سكّان السماوات ومن الأطوار الذين ملئت بهم . قلت: إنّ علاقة الشيء بالشيء وإضافته إليه يكفي فيها أدنى مناسبة بينهما، والمناسبة هاهنا حاصلة بين الأجرام السماويّة وبين هذا الطور من الملائكة وهي مناسبة العلة للمعلول أو الشرط للمشرط فكما جاز أن ينسب الباري جلّ جلاله إلى الاختصاص بالعرش والاستواء عليه في لفظ القرآن الكريم مع تنزيهه تعالى وتقدّسه من هذا الظاهر ولم يجر في الحكمة أن يكشف للخلق من عظمة الحقّ سبحانه أكثر من هذا القدر فكذلك جاز أن ينسب الملائكة المقربون إلى الكون في السماوات بطريق الأولى وإن تنزهوا عن الأجسام وتديرها لأنّ عليّاً ﷺ قاصد قصد الرسول ﷺ وقصد القرآن الكريم وناطق به فليس له أن يفصح بما تنبؤ عنه الأفهام، وبالله التوفيق .

قوله وركوع يشبه أن يكون إشارة إلى حملة العرش إذا كانوا أكمل ممّن دونهم فكانت نسبة عبادتهم إلى عبادة من دونهم كنسبة خضوع الركوع إلى خضوع الصفّ .

قوله وصافون يحتمل أن يكون إشارة إلى الملائكة الحافين من حول العرش قيل:

إنهم يقفون صفوفًا لأداء العبادة كما أخبر تعالى عنهم ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ وتحقيق ذلك أن لكل واحد منهم مرتبة معينة ودرجة معينة من الكمال يخصه وتلك الدرجات باقية غير متغيرة وذلك يشبه الصفوف، ومما يؤيد القول بأنهم الحافون حول العرش ما جاء في الخبر أن حول العرش سبعين ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مئة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلا وهو يسبح .

قوله ومسبحون يحتمل أن يكون المراد بهم الصافون وغيرهم من الملائكة، والواو العاطفة وإن اقتضت المغائة إلا أن المغائة حاصلة إذ هم من حيث هم صافون غيرهم من حيث هم مسبحون وتعد هذه الاعتبار يسوغ تعدد الأقسام بحسبها وعطف بعضها على بعض، ويؤيد ذلك الجمع بين كونهم صافين وبين كونهم مسبحين في قوله تعالى ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ (١٦٥) ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ ويحتمل أن يريد نوعا وأنواعا آخر من ملائكة السماوات، فأما سلب الركوع عن الساجدين، وسلب الانتصاب عن الراكعين، وسلب المزاولة عن الصافين، وسلب السأم عن المسبحين فإشارة إلى كمال في مراتبهم المعينة كل بالنسبة إلى من هو دونه وتأکید لها بعدم النقصان اللاحق

فإنَّ الركوع وإن كان عبادة إلَّا أنَّه نقصان بالنسبة إلى السجود، والانتصاب نقصان في درجة الراكع بالنسبة إلى ركوعه، وكذلك التزاييل عن مرتبة الصفِّ نقص فيها، وكذلك السأم في التسبيح نقصان فيه وإعراض عن الجهة المقصودة به وأيضا فالسأم والملل عبارة عن إعراض النفس عن الشيء بسبب كلال بعض القوى الطبيعيَّة عن أفعالها، وذلك غير متصوّر في حقِّ الملائكة السماويَّة، وأمَّا سلب غشيان النوم عنهم في قوله لا يغشاهم نوم العيون فهو ظاهر الصدق، وبيانه أنَّ غشيان النوم لهم مستلزم لصحَّة النوم عليهم واللازم باطل في حقِّهم فالملزوم مثله أمَّا الملازمة فظاهرة، وأمَّا بطلان اللازم فلأنَّ النوم عبارة عن تعطيل الحواسِّ الظاهرة عن أفعالها لعدم انصباب الروح النفسانيِّ إليها ورجوعها بعد الكلال والضعف، والملائكة السماويَّة منزّهون عن هذه الأسباب والآلات، فوجب أن يكون النوم غير صحيح في حقِّهم فوجب أن لا يغشاهم، وأمَّا سلب سهو العقول وغفلة النسيان، فاعلم أنَّ الغفلة عبارة عن عدم التفطّن للشيء وعدم تعقُّله بالفعل وهي أعمُّ من السهو والنسيان وكالجنس لهما، بيان ذلك أنَّ السهو هو الغفلة عن الشيء مع بقاء صورته أو معناه في الخيال أو الذكر بسبب اشتغال النفس والتفاتها إلى بعض مهمَّاتها، وأمَّا النسيان فهو الغفلة عنه مع انمحاء صورته أو معناه عن إحدى الخزانيتين بالكلِّيَّة ولذلك يحتاج الناسي للشيء إلى تجشُّم كسب جديد وكلفة في

تحصيله ثانيا، وبهذا يظهر الفرق بين الغفلة والسهو والنسيان، وإذا عرفت ذلك ظهر أنّ هذه الأمور الثلاثة من لواحق القوى الإنسانيّة فوجب أن تكون مسلوّبة عن الملائكة السماويّة لسلب معروضاتها عنهم، ولما ذكر سهو العقول ونفاه عنهم أردفه بسلب ما هو أعمّ منه وهو الغفلة لاستلزام سلبها سلب النسيان، وقد كان ذلك كافيا في سلب النسيان إلّا أنّه أضاف الغفلة إليه ليتأكّد سلبه بسلبها، وأمّا قوله ولا فترة الأبدان، فلأنّ الفترة هي وقوف الأعضاء البدنيّة عن العمل وقصورها بسبب تحلّل الأرواح البدنيّة وضعفها ورجوعها للاستراحة، وكلّ ذلك من توابع المزاج الحيوانيّ فلا جرم صدق سلبها عنهم .

قوله ومنهم امناء على وحيه وألسنة إلى رسله مختلفون بقضائه وأمره يشبه أن يكون هذا القسم داخلا في الأقسام السابقة من الملائكة، وإنّما ذكره ثانيا باعتبار وصف الأمانة على الوحي والرسالة والاختلاف بالأمر إلى الأنبياء ﷺ وغيرهم لأنّ من جملة الملائكة المرسلين جبرئيل عليه السلام وهو من الملائكة المقربين، واعلم أنّه لما ثبت أنّ الوحي وسائر الإفاضات من الله تعالى على عباده إنّما هو بواسطة الملائكة كما علمت كيفيّة ذلك لا جرم صدق أنّ منهم امناء على وحيه وألسنة إلى رسله إذ كان الأمين هو الحافظ لما كلّف بحفظه على ما هو عليه ليؤدّيه إلى مستحقّه، وإفاضة الوحي النازل بواسطة الملائكة

محفوظة نازلة كما هي مبرّاة عن الخلل الصادرة عن سهو لعدم معروضات السهو هناك أو عن عمد لعدم الداعي إليه ولقوله تعالى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

وأما كونهم ألسنة إلى رسله فهي استعارة حسنة إذ يقال: فلان لسان قومه أي المفصح عن أحوالهم والمخاطب عنهم فيطلق عليه اسم اللسان لكونه مفصحا عما في النفس، ولما كانت الملائكة وسائط بين الحق سبحانه وبين رسله في تأدية خطابه الكريم إليهم لا جرم حسن استعارة هذا اللفظ لهم لمكان المشابهة، والمراد هاهنا بالاختلاف التردد بأمر الله وما قضى به مرة بعد أخرى وبالقضاء الأمور المقضية إذ يقال: هذا قضاء الله أي مقضي الله، ولا يراد به المصدر فإن معنى ذلك هو سطر ما كان وما يكون في اللوح المحفوظ بالقلم الإلهي وذلك أمر قد فرغ منه كما قال ﷺ: جفّ القلم بما هو كائن، فإن قلت: كيف يصحّ أن يكون هذا القسم داخلا في السجود لأنّ من كان أبدا ساجدا كيف يتصور أن يكون مع ذلك مترددا في الرسالة والنزول والصعود مختلفا بالأوامر والنواهي إلى الرسل ﷺ قلت: إنّنا بينّا أنّه ليس المراد بسجود الملائكة هو وضع الجبهة على الأرض بالكيّفية التي نحن عليها، وإنّما هو عبارة عن كمال عبوديّتهم لله تعالى وخضوعهم تحت قدرته وذلتهم في الإمكان والحاجة تحت ملك وجوب وجوده، ومعلوم أنّه ليس بين السجود بهذا المعنى وبين

ترددهم بأوامر الله تعالى واختلافهم بقضائه على وفق مشيئته وأمره منافاة بل كل ذلك من كمال عبوديتهم وخضوعهم لعزته واعترافهم بكمال عظمتهم .

قوله ومنهم الحفظة لعباده .

فاعلم أنّ في هذا القسم مطلوبين أحدهما ما الحفظة، والثاني ما المراد منهم ثم الحفظة منهم حفظة للعباد كما قال تعالى ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾

ومنهم حفظة على العباد كما قال تعالى ﴿وَيُرْسِلْ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ والمراد من الأولين حفظ العباد بأمر الله تعالى من الآفات التي تعرض لهم ومن الآخرين ضبط الأعمال والأقوال من الطاعات والمعاصي كما قال ﴿كَرَامًا كَتَبِينَ ﴿٧﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ وكقوله ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ قال ابن عباس: إنّ مع كلّ إنسان ملكين أحدهما على يمينه والآخر على يساره فإذا تكلم الإنسان بحسنة كتبها من على يمينه، وإذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار: انتظر لعله يتوب منها فإن لم يتب كتبت عليه قال المفسرون: فائدة ذلك أنّ المكلف إذا علم أنّ الملائكة موكلون به يحضرون عليه أعماله ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد في موقف القيامة كان ذلك أزجر له عن القبائح، واعلم أنّه يحتمل أن يكون التعدّد المذكور في

الحفظة تعدداً بحسب الذوات، ويحتمل أن يكون بحسب الاعتبار .
 قال بعض من زعم أن الحفظة للعباد هي القوى التي أرسلها الله تعالى من سماء جوده على الأبدان البشرية: يحتمل أن يكون الحفظة على العباد هي مبادئ تلك القوى، ويكون معنى كتبه السيئات والحسنات وضبطهما على العباد إمّا باعتبار ما يصدر ويتعدّد عن العبد من السيئات والحسنات في علم تلك المباديء أو يكون معناها كتبه صور الأفعال الخيرية والشرية إلى العبد بقلم الإفاضة في لوح نفسه بحسب استعدادها لذلك قال: ويشبه أن تكون إشارة ابن عباس بانتظار ملك اليسار كاتب السيئات توبة العبد إلى أنه ما دامت السيئة حالة غير ممكنة من جوهر نفس العبد فإن رحمة الله تعالى تسعه فإذا تاب من تلك السيئة لم تكتب في لوح نفسه، وإن لم يتب حتى صارت ملكة راسخة في نفسه كتبت وعذب بها يوم تقوم الساعة .

قال: ويحتمل أن يكون الحفظة على العباد هم بأعيانهم من الحفظة لهم فإن النفس تحفظ في جوهرها ما يفعله من خير وشرّ وتحصيه يوم البعث على نفسها إذا زالت عنها الغواشي البدنية وتجده مصوراً مفصّلاً لا تغيب عنها منه شيء كما قال تعالى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾

وكما قال تعالى ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾

وكما قال ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۖ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾

وقال: وأما معنى كونهم من ملائكة السماء فلأن أصلهم من ملائكة السماء ثم ارسلوا إلى الأرض، والله اعلم، وأما السدنة لأبواب جنانه فقد عرفت ما قيل فيهم.

قوله فمنهم الثابتة في الأرضيين السفلى أقدامهم المارقة من السماء العليا أعناقهم والخارجة من الأركان أقطارهم والمناسبة لقوائم العرش أكنافهم: فاعلم أن هذه الأوصاف وردت في صفة الملائكة الحاملين للعرش في كثير من الأخبار فيشبه أن يكونوا المقصودين بها هاهنا، وروى عن ميسرة أنه قال: أرجلهم في الأرض السفلى رؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشدّ خوفا من أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة أشدّ خوفا من أهل السماء السادسة وهكذا إلى سماء الدنيا، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: لا تتفكروا في عظمة ربكم ولكن تفكروا فيما خلق من الملائكة فإن خلقا منهم يقال له إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الأرض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سماوات وأنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع، والوصع طائر صغير، وعن ابن عباس أيضا أنه قال: لما خلق الله تعالى حملة العرش

قال لهم احمّلوا عرشي فلم يطيقوا فقال لهم: قولوا لا حول ولا قوّة إلّا بالله فلمّا قالوا ذلك استقل فنفذت أقدامهم في الأرض السابعة على متن الثرى فلم تستقرّ فكتب في قدم كلّ ملك منهم اسما من أسمائه فاستقرت أقدامهم، ووجه هذا الخبر أنّ وجودهم وبقائهم وحولهم وقوتهم التي بها هم على ما هم إنّما هو من حوله وقوته وهيبته فلو أنّه سبحانه خلقهم وقال لهم: احمّلوا عرشي ولم تكن لهم استعانة ولا مدد بحول الله وقوته ومعونة لم ينتهضوا بحمل ذرّة من ذرّة مبدعاته ومكوّناته فضلا عن تدبير العرش الذي هو أعظم الأجرام الموجودة في العام.

إذا عرفت ذلك فنقول: أمّا من قال بأنّ الملائكة أجسام كان حمل صفاتهم المذكورة في هذه الأخبار في كلامه عليه السلام على ظاهرها أمرا ممكنا وأنّه تعالى قادر على جميع الممكنات، وأمّا من نزّهم عن الجسميّة فقال إنّ الله سبحانه لما خلق الملائكة السماويّة مسخّرين لأجرام السماوات مدبّرين لعالمنا عالم الكون والفساد وأسبابا لما يحدث فيه كانوا محيطين بإذن الله علما بما في السماوات والأرض فلا جرم كان منهم من ثبت في تخوم الأرض السفلى أقدام إدراكاتهم التي ثبتت واستقرّت باسم الله الأعظم وعلمه الأعزّ الأكرم ونفذت في بواطن الوجودات الموجودات خبر أو مرقت من السماء العليا أعناق عقولهم وخرجت من أقطارها أركان قواهم العقلية، وقوله المناسبة لقوائم

العرش أكتافهم يريد أنهم مشبهون ومناسبون لقوائم العرش في بقائهم وثباتهم عن الزائل من تحته أبدا إلى ما شاء الله .

فإن قلت: فهل هناك قوائم غير الحاملين للعرش الذي أشار إليهم، وتكون هذه الطائفة من الملائكة مناسبة لتلك القوائم أم لا .

قلت: قد جاء في الخبر أن العرش له قوائم، روى عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عليه السلام عن جدّه ﷺ أنه قال: إن بين القائمين من قوائم العرش والقائمة الأخرى خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام قال بعض المحققين: إن هناك قوائم ثمان قد فوض الله تعالى إلى كلّ ملك من الملائكة الثمانية الحاملين للعرش تدبير قائمة منها وحملها ووكله بها .

إذا عرفت ذلك فنقول: يحتمل أن يكون قد أشار عليه السلام بقوله تلك القوائم ووجه المناسبة أن الكتف لما كان محلّ القوّة والشدة استعاره عليه السلام ها هنا للقوّة والقدرة التي يخصّ كلّ ملك من تلك الملائكة وبها يدبّر تلك القوائم من العرش، ولا شك أن بين كلّ قائمة من تلك القوائم وبين كلّ قدرة من تلك القدرة مناسبة ما لأجلها خصّ الله سبحانه ذلك الملك بحمل تلك القائمة وذلك معنى قوله المناسبة لقوائم العرش أكتافهم ويحتمل أن يكون كما استعار لهم لفظ الأقدام استعار لهم أيضا لفظ الأكتاف ثم شبه قيامهم بأمر الله في حملهم للعرش بقيام الأساطين التي يبني عليها الواحد منّا عرشه فهم

مناسبون مشابهون لقوائم العرش التي بينى عليها من غير أن يكون هناك تعرّض لإثبات قوائم بل ما يشبه القوائم .

قوله ناكسة دونه أبصارهم متلفعون تحته بأجنحتهم: الضميران في دونه وتحتة راجعان إلى العرش وقد جاء في الخبر عن وهب بن منبه قال: إنّ لكلّ ملك من حملة العرش ومن حوله أربعة أجنحة أمّا جناحان فعلى وجهه مخافة أن ينظر إلى العرش فيصعق وأمّا جناحان فيفهبوا بهما ليس لهم كلام إلّا التسبيح والتحميد، وكنى عليه السلام بنكس أبصارهم عن كمال خشيتهم لله تعالى واعترافهم بقصور أبصار عقولهم عن إدراك ما وراء كمالاتهم المقدّرة لهم وضعفها عمّا لا يحتمله من أنوار الله وعظمته المشاهدة في خلق عرشه وما فوقهم من مبدعاته فإنّ شعاع أبصارهم منته واقف دون حجب عزّة الله .

وعن بريد الرقاشيّ أنّ لله تعالى ملائكة حول العرش يسمّون المخلخلين تجري أعينهم مثل الأنهار إلى يوم القيامة يميّدون كأنّما تنفضهم الرياح من خشية الله تعالى فيقول لهم الربّ جلّ جلاله ملائكتي ما الذي يخيفكم فيقولون: ربّنا لو أنّ أهل الأرض اطّلعوا من عزّتك وعظمتك على ما اطّلعنا عليه ما ساغوا طعاما ولا شرابا ولا انبسطوا في فرشهم ولخرجوا إلى الصحراء يخورون كما يخور الثور، واعلم أنّه لما كان الجناح من الطائر والإنسان عبارة عن محلّ القوّة والقدرة والبطش صحّ أن يستعار للملائكة على سبيل الكناية عن

كما لهم في قدرتهم وقوتهم التي يطرون في بيداء جلال الله وعظمته وتصدر بواسطتهم كمالات ما دونهم من مخلوقات الله، وصح أن توصف تلك الأجنحة بالقلّة والكثرة في آحادهم، ويكون ذلك كناية عن تفاوت قرابتهم وزيادة كمال بعضهم على بعض، ولما استعار لفظ الأجنحة استلزم ذلك أن يكون قد شبههم بالطائر ذي الجناح، ثم لما كان الطائر عند قبض جناحه يشبه المتلفع بثوبه والملتحف به وكانت أجنحة الملائكة التي هي عبارة عن كمالهم في قدرهم وعلومهم مقبوضة قاصرة عن التعلق بمثل مقدورات الله ومبدعاته واقفة دون جلاله وعظمته في صنعه لا جرم أشبه ذلك قبض الأجنحة المشبه للتلفع بالثوب فاستعار عليه السلام لفظ التلفع أيضا وكنى به عن كمال خضوعهم وانقهارهم تحت سلطان الله وقوته والمشاهدة في صورة عرشه .

فإن قلت: إنك بينت أن المراد بالركوع هم حملة العرش فكيف يستقيم مع ذلك أن يقال إن هذا القسم هم حملة العرش أيضا فإن من كان أقدامهم في تخوم الأرضين، وأعناقهم خارجة من السماوات السبع ومن الكرسي والعرش كيف يكون مع ذلك راكعا قلت: الجواب عنه قد سبق في قوله ومنهم امناء على وحيه فإن الركوع أيضا المقصود منه الخشوع لعز الله وعظمته وذلك غير مناف للأوصاف المذكورة هاهنا، وبالله التوفيق .

قوله مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة وأستار القدرة إشارة إلى أن الآلات البشرية قاصرة عن إدراكهم والوصول إليهم، وذلك لتنزههم عن الجسميّة والجهة وقربهم من عزة مبدعهم الأوّل جلّ جلاله، وبعد القوى الإنسانيّة عن الوقوف على أطوارهم المختلفة ومراتبهم المتفاوتة، وإذا كان الحال في الملك العظيم من ملوك الدنيا إذا بلغ في التعزّز والتعظيم إلى حيث لا يراه إلاّ أجلاء خواصّه، وكان الحال أيضا في بعض خواصّه كذلك كالوزير والحاجب والنديم فإنّهم لا يصل إليهم كلّ الناس بل لا يصل إليهم إلاّ من كانت له إليهم وسيلة تامّة وعلاقة قويّة وكان منشأ ذلك إنّما هو عظمة الملك وهيئته وقربهم منه فكان الحائل بينهم وبين غيرهم إنّما هو حجب عزة الملك وأستار قدرته وقهره، فكيف الحال في جبار الجبابرة ومالك الدنيا والآخرة، وحال ملائكته المقربين ومن يليهم من حملة العرش الروحانيّين، فبالحرّيّ أن ينسب عدم وصول قوانا الضعيفة إليهم وإدراكها لمراتبهم إلى حجب عزة الله وعظمته لهم وكمال ملكه وتمام قدرته وما أهّلهم له من قربهم ومطالعة أنوار كبريائه عزّ سلطانه ولا إله إلاّ هو.

قوله ولا يتوهّمون ربّهم بالتصوير إشارة إلى تنزيههم عن الإدراكات الوهميّة والخياليّة في حقّ مبدعهم عزّ سلطانه إذ كان الوهم إنّما يتعلّق بالأمور المحسوسة ذات الصور والأحياز والمحالّ

الجسمانية فالوهم وإن أرسل طرفه إلى قبلة وجوب الوجود وبالغ في تقليب حدقه فلن يرجع إلّا بمعنى جزئيّ يتعلّق بمحسوس حتّى أنّه لا يقدر نفسه ولا يدركها إلّا ذات مقدار وحجم، ولما كان الوهم من خواصّ المزاج الحيواني لا جرم سلب التوهم عن هذا الطور من الملائكة لعدم قوّة الوهم هناك فإنّ هذه القوّة لما كانت موجودة للإنسان لا جرم كان يرى ربّه في جهة ويشير إليه متحيّزا ذا مقدار وصورة، ولذلك وردت الكتب الإلهية والنواميس الشرعية مشحونة بصفات التجسيم كالعين واليد والإصبع والاستواء على العرش ونحو ذلك خطابا للخلق بما تدركه أوهامهم وتوطينا لهم وإيناسا حتّى أنّ الشارع لو أخذ في مبدء الأمرين لهم أنّ الصانع الحكيم ليس داخل العالم ولا خارجة ولا في جهة وليس مجسم ولا عرض لاشتدّ نفار أكثرهم من قبول ذلك وعظم إنكارهم له فإنّ الوهم في طبيعته لا يثبت موجودا بهذه الصفة ولا يتصوره، ومن شأنه أن ينكر ما لا يتصور فكان منكرا لهذا القسم من الموجودات والخطابات الشرعية وإن وردت بصفات التجسيم إلّا أنّ الألفاظ الموهمة لذلك لما كانت قابلة للتأويل محتملة له كانت وافية بالمقاصد إذ العامي المغمور في ظلمات الجهل يحمله على ظاهره ويحصل بذلك تقييده عن تشتت اعتقاده وذو البصيرة المترقّي عن تلك الدرجة يحمله على ما يحتمله عقله من التأويل، وكذلك حال من هو أعلى منه، والناس في ذلك على

مراتب فكان إيرادها حسنا وحكمة .

قوله ولا يجرون عليه صفات المصنوعين .

أقول: إجراء صفات المصنوعين عليه إنما يكون بمناسبته ومماثلته مع مصنوعاته ومكوّناته وكلّ ذلك بقياس من الوهم ومحاكاة من المتخيّلة له بصورة المصنوع، فكان الوهم يحكم أوّلا يكون الباري عزّ سلطانه مثلا لمصنوعاته التي يتعلّق إدراكه بها من المتحيّزات وما يقوم بها ويخيّله بصورة منها ثمّ يساعده العقل في مقدّمة أخرى هي أنّ حكم الشيء حكم مثله فيجري حينئذ عليه صفات مصنوعاته التي حكم بمثليّته لها، ولما كانت الملائكة السماويّة منزّهين عن الوهم والخيال لا جرم وجب تنزيههم عن أن يجروا عليه صفات مصنوعاته سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً، وكذلك قوله ولا يحدّونه بالأماكن ولا يشيرون إليه بالنظائر فإنّ الحاكم بحدّه في مكان وتحيّزه فيه والمشير إليه بالمثل المتصوّر له بالقياس إلى نظير يشاكله ويشابهه إنّما هو الوهم والخيال، ولما عرفت أنّهما يخصّان للحيوان العنصريّ لا جرم كانت هذه الأحكام مسلوّبة عن الملائكة السماويّة مطلقاً وبالله التوفيق .

بعد ما تقدم من فوائد نتقل في حديقة علماء التفسير لجني ثمار هذه

الآية المباركة

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان

بيان

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ إلى آخر الآية الحف الإحداق والإحاطة بالشيء، والعرش هو المقام الذي يصدر منه الفرامين^(١) والأوامر الإلهية التي يدبر بها العالم، والملائكة هم المجرون لمشيته العاملون بأمره، ورؤية الملائكة على تلك الحال كناية عن ظهور ذلك وقد طويت السماوات.

والمعنى: وترى يومئذ الملائكة والحال أنهم محدقون بالعرش مطيفون به لإجراء الأمر الصادر منه وهم يسبحون بحمد ربهم.

بحث روائي

في تفسير القمي، في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فهذه مخاطبة النبي ﷺ والمعنى لأمته، وهو ما قاله الصادق عليه السلام: إن الله عز وجل بعث نبيه بإياك أعني واسمعي يا جارة.

وعن كتاب التوحيد، بإسناده إلى الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله عز وجل لا يوصف.

(١) (بيان أو قرار، أو لفظ فارسي معناه أمر أو حكم أو دستور) كتاب المعاني، ولسان العرب (النسخة الإلكترونية).

قال: وقال زرارة: قال أبو جعفر عليه السلام: إن الله لا يوصف وكيف يوصف وقد قال في كتابه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ فلا يوصف بقدر إلا كان أعظم من ذلك.

وفيه، بإسناده عن سليمان بن مهران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ قال: ملكه لا يملكها معه أحد.

والقبض عن الله تعالى في موضع آخر المنع - والبسط منه الإعطاء والتوسع كما قال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يعني يعطي ويوسع ويضيق، والقبض منه عز وجل في وجه آخر الأخذ - والأخذ في وجه القبول منه كما قال: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ أي يقبلها من أهلها ويشب عليها.

قلت: فقله عز وجل: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾؟ قال: اليمين اليد واليد القدرة والقوة - يقول عز وجل: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ أي بقدرته وقوته سبحانه وتعالى عما يشركون.

أقول: وروي في الدر المنثور، عن أبي هريرة عن النبي صلوات الله وسلامه عليه: في قوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أنهم الشهداء مقلدون بأسيا فهم حول عرشه

الخبر وظاهره أن النفخة غير نفخة الإمامة وقد تقدم أن الآية

ظاهرة في خلافه.

وروي عن أنس عنه عليه السلام: "أنهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت - وحمة العرش وأنهم يموتون بعدها الخبر. والآية ظاهرة في خلافه.

وروي عن جابر: استثنى موسى لأنه كان صعق قبل، الخبر. وفيه أن الصعق سواء أخذ بمعنى الموت أو بمعنى الغشية لا يختص الصعق قبل ذلك بموسى عليه السلام.

وفي المجمع: في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ فيه قولان أحدهما ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: أن جهنم لها سبعة أبواب أطباق بعضها فوق بعض - ووضع إحدى يديه على الأخرى فقال: هكذا - وأن الله وضع الجنان على الأرض، ووضع النيران بعضها فوق بعض فأسفلها جهنم، وفوقها لظى، وفوقها الحطمة، وفوقها سقر، وفوقها الجحيم، وفوقها السعير، وفوقها الهاوية - وفي رواية الكلبي أسفلها الهاوية وأعلاها جهنم.

وفي الخصال، عن أبي عبد الله عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: إن للجنة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبيون والصديقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبوها.

فلا أزال واقفا على الصراط أدعو وأقول: رب سلم شيعتي ومحبي وأنصاري- ومن تولاني في دار الدنيا- فإذا النداء من بطنان العرش- قد أجيب دعوتك وشفعت في شيعتك- ويشفع كل رجل من شيعتي ومن تولاني ونصرني- وحارب من حاربنى بفعل أو قول- في سبعين ألفا من جيرانه وأقربائه-.

وباب يدخل منه سائر المسلمين- ممن يشهد أن لا إله إلا الله- ولم يكن في قلبه مثقال من بغضنا أهل البيت.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور

إشارات

- ﴿حَافِينَ﴾ من حفّ بمعنى الإحاطة، و﴿الْعَرْشِ﴾ هو محل القدرة والإرادة الإلهية.

النعاليم

- ١- يمكن لأولياء الله رؤية الملائكة ﴿تَرَى الْمَلَائِكَةَ﴾.
- ٢- العرش هو مكان تواجد الملائكة ﴿حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾.
- ٣- الملائكة على جهوزية تامة لتنفيذ الأوامر الإلهية ﴿حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾.
- ٤- الملائكة مشغولة بالتسبيح دائماً ﴿يُسَبِّحُونَ﴾.

٥- الحمد والتسييح مقرونان ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.

٦- الملائكة كالبحر يخضعون للربوبية الإلهية ﴿رَبَّهُمْ﴾.

٧- الحكم الإلهي في يوم القيامة يبتني على الحق والعدل ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ (يجب أن نعمل في الدنيا على أساس الحق لأننا سوف نحاسب بالحق) ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾.

٨- الحمد والثناء إنما يليق بمن كان رباً للعالمين كافة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

ثالثاً : وفقاً لتفسير الأمل

التفسير

المهلكون يدخلون الجنة أفواجا!!

هذه الآيات - التي هي آخر آيات سورة (الزمر) - تواصل بحثها حول موضوع المعاد، حيث تتحدث عن كيفية دخول المؤمنين المتقين الجنة، بعد أن كانت الآيات السابقة قد استعرضت كيفية دخول الكافرين جهنم، لتتضح الأمور أكثر من خلال هذه المقارنة.

في البداية تقول: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾.

استعمال عبارة (سيق) (والتي هي من مادة (سوق) على وزن

(شوق) وتعني الحث على السير). أثار التساؤل، كما لفت أنظار الكثير من المفسرين، لأنّ هذا التعبير يستخدم في موارد يكون تنفيذ العمل فيها من دون أي اشتياق ورغبة في تنفيذه، ولذلك فإنّ هذه العبارة صحيحة بالنسبة لأهل جهنم، ولكن لم استعملت بشأن أهل الجنة الذين يتوجهون إلى الجنة بتلهف واشتياق؟

قال البعض: إنّ هذه العبارة استعملت هنا لأنّ الكثير من أهل الجنة ينتظرون أصدقاءهم.

وبالعوض الآخر قال: إنّ تلهف وشوق المتقين للقاء البارئ عز وجل يجعلهم يتحينون الفرصة لذلك اللقاء بحيث لا يقبلون حتّى بالجنة. فيما قال البعض: إنّ هناك وسيلة تنقلهم بسرعة إلى الجنة.

مع أنّ هذه التفسيرات جيدة ولا يوجد أي تعارض فيما بينهما، إلّا أنّ هناك نقطة أخرى يمكن أن تكون هي التفسير الأصح لهذه العبارة، وهي مهما كان حجم عشق المتقين للجنة، فإن الجنة وملائكة الرحمة مشتاقة أكثر لو فود أولئك عليهم، كما هو الحال بالنسبة إلى المستضيف المشتاق لضيف والمتلهف لو فوده عليه إذ إنّّه لا يجلس لا نتظاره وإنّما يذهب لجلبه بسرعة قبل أن يأتي هو بنفسه إلى بيت المستضيف، فملائكة الرحمة هي كذلك مشتاقة لو فود أهل الجنة.

والملاحظة أن (زمر) تعني هنا المجموعات الصغيرة، وتبيّن أن

أهل الجنة يساقون إلى الجنة على شكل مجموعات مجموعات كل حسب مقامه.

ثم تضيف الآية ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾

[ما هو جواب الجملة الشرطية ﴿إِذَا جَاءُوهَا﴾؟ ذكر المفسرون آراء متعددة، أنسبها الذي يقول: إن عبارة (قال لهم خزنتها) جوابها والواو زائدة. كما احتملوا أن جواب الجملة محذوف، والتقدير (سلام من الله عليكم)، أو أن حذف الجواب إشارة إلى أن سعة الموضوع وعلوه لا يمكن وصفها، والبعض قال: (فتمت) هي الجواب و(الواو) زائدة.].

الملفت للنظر أن القرآن الكريم يقول بشأن أهل جهنم: إثمهم حينما يصلون إلى قرب جهنم تفتح لهم الأبواب، ويقول بشأن أهل الجنة، إن أبواب الجنة مفتحة لهم من قبل، وهذه إشارة إلى الاحترام والتبجيل الذي يستقبلون به من قبل ملائكة الرحمة، كالمضيف المحب الذي يفتح أبواب بيته للضيوف قبل وصولهم، ويقف عند الباب بانتظارهم.

وقد قرأنا في الآيات السابقة أن ملائكة العذاب يستقبلون أهل جهنم باللوم والتوبيخ الشديدين، عند ما يقولون لهم: قد هيئت لكم

أسباب الهداية، فلم تركتموها وانتهيتم إلى هذا المصير المشؤوم؟
أما ملائكة الرحمة فإنها تبادر أهل الجنة بالسلام المرافق للاحترام
والتبجيل، ومن ثمّ تدعوهم إلى دخول الجنة.

عبارة ﴿طَبُّتُمْ﴾ من مادة (طيب) على وزن (صيد) وتعني الطهارة،
ولأنّها جاءت بعد السلام والتحية، فمن الأرجح القول بأن لها مفهوما
إنشائيا، وتعني:

لتكونوا طاهرين مطهرين ونتمنى لكم السعادة والسرور.
وبعبارة أخرى: طابت لكم هذه النعم الطاهرة، يا أصحاب
القلوب الطاهرة.

ولكن الكثير من المفسرين ذكروا لهذه الجملة معنى خبريا عند
تفسيرها، وقالوا: إنّ الملائكة تخاطبهم بأنكم تطهرتم من كلّ لوث
وخبث، وقد طهرتم بإيمانكم وبعملكم الصالح قلوبكم وأرواحكم،
وتطهرتم من الذنوب والمعاصي، ونقل البعض رواية تقول: إنّ هناك
شجرة عند باب الجنة، تفيض من تحتها عينا ماء صافيتان، يشرب
المؤمنون من إحداها فيتطهر باطنهم، ويغتسلون بماء العين الأخرى
فيتطهر ظاهرهم، و، هنا يقول خزنة الجنة لهم: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ طَبُّتُمْ
فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [تفسير القرطبي المجلد (٨) الصفحة ٥٧٣].

الملاحظ أن ﴿الْخُلُودَ﴾ استخدم بشأن كلّ من أهل الجنة وأهل

النَّار، وذلك لكي لا يخشى أهل الجنة من زوال النعم الإلهية، ولكي يعلم أهل النار بأنه لا سبيل لهم للنجاة من النار. الآية التالية تتكون من أربع عبارات قصار غزيرة المعاني تنقل عن لسان أهل الجنة السعادة والفرح اللذين غمراهم، حيث تقول: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾.

وتضيف في العبارة التالية ﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ﴾

المراد من الأرض هنا أرض الجنة. واستخدام عبارة (الإرث) هنا، إنما جاء لكونهم حصلوا على كل هذه النعم في مقابل جهد قليل بذلوه، إذ- كما هو معروف- فإن الميراث هو الشيء الذي يحصل عليه الإنسان من دون أي عناء مبذول.

أو أنها تعني أن لكل إنسان مكان في الجنة وآخر في جهنم، فإن ارتكب عملاً استحق به جهنم فإن مكانه في الجنة سوف يمنح لغيره، وإن عمل عملاً صالحاً استحق به الجنة، فيمنح مكاناً في الجنة ويترك مكانه في جهنم لغيره.

أو تعني أنهم يتمتعون بكامل الحرية في الاستفادة من ذلك الإرث، كالميراث الذي يحصل عليه الإنسان إذ يكون حراً في استخدامه.

هذه العبارة- في الواقع- تحقق عيني للوعد الإلهي الذي ورد في الآية «٦٣» من سورة مريم ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ

تَقِيًّا ﴿٢٤٧﴾.

العبارة الثالثة تكشف عن الحرية الكاملة التي تمنح لأهل الجنة في الاستفادة من كافة ما هو موجود في الجنة الواسعة، إذ تقول: ﴿نَنْبَوُّ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾.

يستشف من الآيات القرآنية أن في الجنة الكثير من البساتين والحدائق وقد أطلقت عليها في الآية (٧٢) من سورة التوبة عبارة جَنَّاتٍ عَدْنٍ وأهل الجنة وفقا لدرجاتهم المعنوية يسكنون فيها، وأن لهم كامل الحرية في التحرك في تلك الحدائق والبساتين في الجنة.

أما العبارة الأخيرة فتقول: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾.

وهذه إشارة إلى أن هذه النعم الواسعة إنما تعطى في مقابل العمل الصالح (المتولد من الإيمان طبعاً) ليكون صاحبه لائقاً ومستحقاً لنيل مثل هذه النعم. وهنا يطرح هذه السؤال وهو: هل أن هذا القول صادر عن أهل الجنة، أم أنه كلام الله جاء بعد كلام أهل الجنة؟

المفسرون وافقوا الرأيين، ولكنهم رجحوا المعنى الأول الذي يقول: إنه كلام أهل الجنة ويرتبط بالعبارات الأخرى في الآية.

وفي النهاية تخاطب الآية - مورد بحثنا وهي آخر آية من سورة الزمر - الرسول الأكرم ﷺ قائلة: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ يسبحون الله ويقدمونه ويحمدونه.

إذ تشير إلى وضع الملائكة الحافين حول عرش الله، أو أنها تعبر عن استعداد أولئك الملائكة لتنفيذ الأوامر الإلهية، أو أنها إشارة إلى خفايا قيمة تمنح في ذلك اليوم للخواص والمقربين من العرش الإلهي، مع أنه لا يوجد أي تعارض بين المعاني الثلاثة، إلا أن المعنى الأول أنسب.

ولهذا تقول العبارة التالية ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾.

وباعتبار هذه الأمور هي دلائل على ربوبية الباري عز وجل واستحقاق ذاته المقدسة والمنزّهة لكل أشكال الحمد والثناء، فإن الجملة الأخيرة تقول:

﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وهنا يطرح هذا السؤال: هل أن هذا الخطاب صادر عن الملائكة، أم عن أهل الجنة المتقين، أم أنه صادر عن الاثنين؟

المعنى الأخير أنسب من غيره، لأن الحمد والثناء على الله هو منهاج كلّ أولي الألباب، ومنهاج كلّ الخواص والمقربين، واستعمال كلمة (قيل) وهي فعل مبني للمجهول يؤيد ذلك.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

١-١ - أمير المؤمنين عليه السلام: ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ وَلَهُ الْحَمْدُ افْتَتَحَ الْكِتَابَ بِالْحَمْدِ لِنَفْسِهِ وَخَتَمَ أَمْرَ الدُّنْيَا وَمَجِئَ الْآخِرَةِ بِالْحَمْدِ لِنَفْسِهِ فَقَالَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ اللَّابِسِ

الْكِبْرِيَاءِ بِلَا تَجْسُدُ.

١-٢- الرسول ﷺ: سَأَلَ ابْنُ سَلَامٍ النَّبِيَّ ﷺ فَكَانَ فِيمَا سَأَلَهُ مَا السِّتَّةَ عَشَرَ وَمَا الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ قَالَ سِتَّةَ عَشَرَ صَفًّا مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ.

١-٣- أمير المؤمنين عليه السلام: إِنَّ أَخَوَيْنِ يَهُودِيَيْنِ سَأَلَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَنْ وَاحِدٍ لَا ثَانِي لَهُ وَعَنْ ثَانٍ لَا ثَالِثَ لَهُ إِلَى مِئَةٍ مُتَّصِلَةٍ نَجْدَهَا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَهِيَ فِي الْقُرْآنِ تَتْلُوهُ فَتَبَسَّمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَقَالَ... وَأَمَّا السِّتَّةَ عَشَرَ فَسِتَّةَ عَشَرَ صَفًّا مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ.

١-٤- الرسول ﷺ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْمِعْرَاجِ نَظَرْتُ تَحْتَ الْعَرْشِ أَمَامِي فَإِذَا أَنَا بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام قَائِمًا أَمَامِي تَحْتَ الْعَرْشِ يُسَبِّحُ اللَّهَ وَيَقْدِّسُهُ قُلْتُ يَا جَبْرَائِيلُ عليه السلام سَبِّحْنِي عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ عليه السلام قَالَ لَكِنِّي أَخْبِرُكَ أَعْلَمُ يَا مُحَمَّدُ ﷺ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُكْثِرُ مِنَ الثَّنَاءِ وَالصَّلَاةِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَوْقَ عَرْشِهِ فَاشْتَاقَ الْعَرْشُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الْمَلَكَ عَلَى صُورَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام تَحْتَ عَرْشِهِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِ الْعَرْشُ فَيَسْكُنَ شَوْقُهُ وَجَعَلَ تَسْبِيحَ هَذَا الْمَلَكِ وَتَقْدِيسَهُ وَتَمْجِيدَهُ ثَوَابًا لِشِيعَةِ أَهْلِ بَيْتِكَ يَا مُحَمَّدُ ﷺ.

الآية السابعة والعشرون

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]

معنى العرش

العرش جاء ذكره في القرآن الكريم عشرين مرة^(١) كما يلي:

١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

٢ - قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

(١) أوضح البيان في تفسير القرآن

٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۗ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۗ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

٤- قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

٥- قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [الرعد: ٢].

٦- قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَتَّغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢].

٧- قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

٨- قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

٩- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾
[المؤمنون: ٨٦].

١٠- قوله تعالى: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

١١- قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسُئِلَ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

١٢- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾
[النمل: ٢٦].

١٣- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي
سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤].

١٤- قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ
بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
[الزمر: ٧٥].

١٥- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً
وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

١٦- قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥].

١٧- قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف: ٨٢].

١٨- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

١٩- قوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠].

٢٠- قوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥].

وما ورد عن الرسول الأعظم ﷺ وأهل البيت عليه السلام الكثير من الروايات، والعرش اختلف المسلمون في معناه وتعريفه وكل فرقه لما رأته وسوف أذكر ما قاله صاحب الميزان في تفسيره من منظور بحثي وله بحث روائي نقله في الآية المباركة رقم (٢٢) الأنبياء، وإليكم بحثه المبارك^(١).

(١) الميزان في تفسير القرآن

كلام في معنى العرش

للناس في معنى العرش بل في معنى قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ والآيات التي في هذا المساق مسالك مختلفة، فأكثر السلف على أنها وما يشاكلها من الآيات من المتشابهات التي يجب أن يرجع علمها إلى الله سبحانه، وهؤلاء يرون البحث عن الحقائق الدينية والتطلع إلى ما وراء ظواهر الكتاب والسنة بدعة، والعقل يخطئهم في ذلك والكتاب والسنة لا يصدقانهم فأيات الكتاب تحرض كل التحريض على التدبر في آيات الله وبذل الجهد في تكميل معرفة الله ومعرفة آياته بالتذكر والتفكير والنظر فيها والاحتجاج بالحجج العقلية، ومتفرقات السنة المتواترة معنى توافقها، ولا معنى للأمر بالمقدمة والنهي عن النتيجة، وهؤلاء هم الذين كانوا يجرمون البحث عن حقائق الكتاب والسنة - حتى البحث الكلامي الذي بناؤه على تسليم الظواهر الدينية ووضعها على ما تفيد بحسب الفهم العامي ثم الدفاع عنها بما تيسر من المقدمات المشهورة والمسلمة عند أهل الدين - ويعدونها بدعة فلنتركهم وشأنهم!

وأما طبقات الباحثين فقد اختلفوا في معناه على أقوال:

- ١ - حمل الكلمة على ظاهر معناها فالعرش عندهم مخلوق كهيئة السرير له قوائم وهو موضوع السماء السابعة والله - تعالى عما يقول الظالمون - مستو عليه كاستواء الملوك منا على عروشهم، وأكثر هؤلاء

على أن العرش والكرسي شيء واحد، وهو الذي وصفناه.

وهؤلاء هم المشبهة من المسلمين، والكتاب والسنة والعقل
تخاصمهم في ذلك وتنزه رب العالمين أن يماثل شيئاً من خلقه ويشبهه
في ذات، أو صفة، أو فعل تعالى وتقدس.

٢- أن العرش هو الفلك التاسع المحيط بالعالم الجسماني والمحدد
للجهات والأطلس الخالي من الكواكب، والراسم بحركته اليومية
للزمان، وفي جوفه مماساً به الكرسي وهو الفلك الثامن الذي فيه
الثوابت، وفي جوفه الأفلاك السبعة الكلية التي هي أفلاك السيارات
السبع: زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر
بالترتيب محيطاً بعضها ببعض.

وهذه هي التي يفرضها علم الهيئة على مسلك بطليموس لتنظيم
الحركات العلوية الظاهرة للحس طبقوا عليها ما يذكره القرآن من
السموات السبع والكرسي والعرش فما وجدوا من أحكامها المذكورة
في الهيئة والطبيعات لا يخالف الظواهر قبلوه، وما وجدوه يخالف
الظواهر الموجودة في الكتاب ردوه كقولهم: ليس للفلك المحدود وراء
لا خلاً ولا ملاً، وقولهم بدوام الحركات الفلكية، واستحالة الخرق
والالتيام عليها، وكون كل فلك يماس بسطحه سطح غيره من غير
وجود بعد بينها ولا سكونة فيها، وكون أجسامها بسيطة متشابهة لا
ثقب فيها ولا باب.

والظواهر من القرآن والحديث تثبت أن وراء العرش حجبا وسرادقات، وأن له قوائم، وأن له حملة، وأن الله سيطوي السماء كطي السجل للكتب، وأن في السماء سكنة من الملائكة ليس فيها موضع إهاب إلا وفيه ملك راعع أو ساجد يلجونه وينزلون منه ويصعدون إليه، وأن للسماء أبوابا، وأن الجنة فيها عند سدرة المنتهى التي ينتهي إليها أعمال العباد إلى غير ذلك مما ينافي بظاهره ما افترضه علماء الهيئة والطبيعات سابقا، والقائلون منا إن السماوات والكرسي والعرش هي ما افترضوه من الأفلاك التسعة الكلية يدفعون ذلك كله بمخالفة الظواهر.

ولم ينبههم هذا الاختلاف في الوصف على أن ما يصفه القرآن غير ما يفترضه أولئك لتوجيه الحركات العلوية حتى أوضحت الأبحاث الأخيرة العميقة في الهيئة والطبيعات المؤيدة بالحس والتجربة بطلان الفرضيات السابقة من أصلها فاضطر هؤلاء إلى فسخ تطبيقهم ورفع اليد عنه.

٣- أن لا مصداق للعرش خارجا وإنما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ و﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَىٰ﴾ كناية عن استيلائه تعالى على عالم الخلق، وكثيرا ما يطلق الاستواء على الشيء على الاستيلاء عليه كما قيل:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

أو أن الاستواء على العرش معناه الشروع في تدبير الأمور كما أن الملوك إذا أرادوا الشروع في إدارة أمور مملكتهم استووا على عروشهم وجلسوا عليه والشروع والأخذ في أمر وجميع ما ينبئ عن تغير الأحوال وتبدلها وإن كانت ممتنعة في حقه تعالى لتنزهه تعالى عن التغير والتبدل لكن شأنه تعالى يسمى شروعا وأخذا بالنظر إلى حدوث الأشياء بذواتها وأعيانها يومئذ فيسمى شأنه تعالى وهو الشمول بالرحمة إذا تعلق بها شروعا وأخذا بالتدبير نظير سائر الأفعال الحادثة المقيدة بالزمان المنسوبة إليه تعالى كقولنا خلق الله فلانا، وأحيا فلانا، وأمات فلانا، ورزق فلانا، ونحو ذلك.

وفيه: أن كون قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ جاريا مجرى الكناية بحسب اللفظ وإن كان حقا لكنه لا ينافي أن يكون هناك حقيقة موجودة تعتمد عليها هذه العناية اللفظية، والسلطة والاستيلاء والملك والإمارة والسلطنة والرئاسة والولاية والسيادة وجميع ما يجري هذا المجرى فينا أمور وضعية اعتبارية ليس في الخارج منها إلا آثارها على ما سمعته منا كرارا في الأبحاث الاعتبارية السابقة، والظواهر الدينية تشابه من حيث البيان ما عندنا من بيانات أمورنا وشؤوننا الاعتبارية لكن الله سبحانه يبين لنا أن هذه البيانات وراءها حقائق واقعية، وجهات خارجية ليست بوهمية اعتبارية.

فمعنى الملك والسلطنة والإحاطة والولاية وغيرها فيه سبحانه

هو المعنى الذي نفهمه من كل هذه الألفاظ عندنا لكن المصاديق غير المصاديق فلها هناك مصاديق حقيقية خارجية على ما يليق بساحة قدسه تعالى وأما ما عندنا من مصاديق هذه المفاهيم فهي أوصاف ذهنية ادعائية وجهات وضعية اعتبارية لا تتعدى الوهم، وإنما وضعناها وأخذنا بها للحصول على آثار حقيقية هي آثارها بحسب الدعوى فلا يسمى الرئيس رئيساً إلا لأن يتبع الذين نسميهم مرؤوسين إراداته وعزائمه لا لأن الجماعة بدون حقيقة وهو رأسهم حقيقة، ولا نسمي جزء الهيئة المؤتلفة عضواً لأنه يد أو رجل أو كبد أو رئة حقيقة بل لأن يتصدى من الأمور المقصودة في هذا التشكيل والاجتماع ما يتصداه عضو من الأعضاء الموجودة في بدن الإنسان مثلاً.

وهذا هو الذي يسميه الله تعالى لعباً ولهواً إذ يقول: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، فالمقاصد الدنيوية من زينة ومال وأولاد وتقدم ورياسة وحكومة وأمثالها ليست إلا عناوين وهمية لا تحقق لها إلا في الأوهام، وليس الاشتغال بها لغير المقاصد الأخروية إلا اشتغالا بأمور وهمية وصور خيالية، ولا المسابقة في تحصيلها إلا كمسابقة الأطفال في تحصيل التقدم في الملاعب التي يشتغلون بها، وليس إلا تحصيل حالة خيالية ليس منها في خارجة عين ولا أثر.

وحاشا لله سبحانه أن يذم هذه الحياة الفانية الغارة، ويسميها لعبا لما تشتمل عليه من الشؤون الوهمية ثم يكون تعالى وتقدس أول اللاعنين!.

وبالجملة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ط﴾ في عين أنه تمثيل يبين به أن له إحاطة تدبيرية لملكه يدل على أن هناك مرحلة حقيقية هي المقام الذي يجتمع فيه جميع أزمنة الأمور على كثرتها واختلافها، ويدل عليه آيات آخر تذكر العرش وحده وينسبه إليه تعالى كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقوله: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ [غافر: ٧]، وقوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، وقوله: ﴿حَاقِقِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥].

فالأيات - كما ترى - تدل بظاهرها على أن العرش حقيقة من الحقائق العينية وأمر من الأمور الخارجية، ولذلك نقول: إن للعرش في قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ط﴾ مصداقا خارجيا، ولم يوضع في الكلام لمجرد تتميم المثل كما نقوله في أمثال كثيرة مضروبة في القرآن فلا نقول في مثل آية النور مثلا: أن في الوجود زجاجة إلهية أو شجرة زيتونة إلهية أو زيتا إلهيا، ونقول: إن في الوجود عرشا إلهيا أو لوحا وقلما إلهيين وكتابا مكتوبا فافهم ذلك.

وهذا العرش الذي يستفاد من مثل قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ط﴾

أنه مقام في الوجود يجتمع فيه أزمة الحوادث والأمور كما يجتمع أزمة المملكة في عرش الملك على التفصيل الذي تقدم في بيان الآية يدل على تحقق هذه الصفة له قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣]، ففسر الاستواء على العرش بتدبير الأمر منه، وعقبه بقوله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ والآية لما كانت في مقام وصف الربوبية والتدبير التكويني كان المراد بالشفاعة الشفاعة في أمر التكوين، وهو السببية التي توجد في الأسباب التكوينية التي هي وسائط متخللة بين الحوادث والكائنات وبينه تعالى كالنار المتخللة بينه وبين الحرارة التي يخلقها، والحرارة المتخللة بينه وبين التخلخل أو ذوبان الأجسام فنفي السببية عن كل شيء إلا من بعد إذنه لإفادة توحيد الربوبية التي يفيد صدر الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

وفي قوله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ بيان حقيقة أخرى وهي رجوع التخلف في التدبير إلى التدبير بعينه بواسطة الإذن، فإن الشفيع إنما يتوسط بين المشفوع له المحكوم بحكم، المشفوع عنده، ليغير بالشفاعة مجرى حكم سيجري لو لا الشفاعة فالشمس المضيئة بالمواجهة مثلا شفيعة متوسطة بين الله سبحانه وبين الأرض لاستنارتها بالنور ولو لا ذلك لكان مقتضى تقدير الأسباب العامة ونظمها أن تحيط بها الظلمة ثم الحائل من سقف أو أي حجاب آخر

شفيع آخر يسأله تعالى أن لا يقع نور الشمس على الأرض باستقامة وهكذا.

فإذا كانت شفاعته الشفيح - وهو سبب مغير لما سبقه من الحكم - مستندة إلى إذنه تعالى كان معناه أن التدبير العام الجاري إنما هو من الله سبحانه، وأن كل ما يتخذ من الوسائل لإبطال تدبيره وتغيير مجرى حكمه أعم مما يتخذه الأسباب التكوينية وما يتخذه الإنسان من التدابير للفرار عن حكم الأسباب الجارية الإلهية كل ذلك من التدبير الإلهي.

ولذلك نرى الأشياء الردية تعصي فلا تقبل الصور الشريفة والمواهب السامية، لقصور استعدادها عن قبولها، وهذا الرد منها بعينه قبول، والامتناع من قبول التربية بعينه تربية أخرى إلهية والإنسان على ما به من الجهل يستعلي على ربه ويستنكف عن الخضوع لعظمته وهو بعينه انقياد لحكمه، ويمكر به وهو بعينه ممكور به قال تعالى:

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٣١].

وله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ يدل على أن شفاعة الشفاعة أو الأسباب المخالفة التي تحول بين التدبير الإلهي وبين مقتضياته داخله من جهة أخرى وهي جهة الإذن في التدبير الإلهي فافهم ذلك.

فما مثل الأسباب والعوامل المتخالفة المتزاحمة في الوجود إلا كمثلي كفتي الميزان تتعاركان بالارتفاع والانخفاض، والثقل والخفة لكن اختلافهما بعينه اتفاق منهما في إعانة صاحب الميزان في تشخيص ما يريد تشخيصه من الوزن.

ويقرب من آية سورة يونس في الدلالة على شمول التدبير ونفي مدبر غيره تعالى قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤]، ويقرب من قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ في الإشارة إلى كون العرش مقاما تنتشئ فيه التدابير العامة وتصدر عنه الأوامر التكوينية قوله تعالى:

﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ١٥ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، وهو ظاهر.

وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٧٥]، فإن الملائكة هم الوسائط الحاملون لحكمه والمجرون لأمره العاملون بتدبيره فليكونوا حافين حول عرشه.

وكذا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ

رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٧]، وفي الآية مضافاً إلى ذكر احتفافهم بالعرش شيء آخر وهو أن هناك حملة يحملون العرش، وهم لا محالة أشخاص يقوم بهم هذا المقام الرفيع والخلق العظيم الذي هو مركز التدابير الإلهية ومصدرها، ويؤيد ذلك ما في آية أخرى وهي قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

وإذ كان العرش هو المقام الذي يرجع إليه جميع أزمة التدابير الإلهية والأحكام الربوبية الجارية في العالم كما سمعت، كان فيه صور جميع الوقائع بنحو الإجمال حاضرة عند الله معلومة له، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، فقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ إلخ، يجري مجرى التفسير للاستواء على العرش فالعرش مقام العلم كما أنه مقام التدبير العام الذي يسع كل شيء، وكل شيء في جوفه.

ولذلك هو محفوظ بعد رجوع الخلق إليه تعالى لفصل القضاء كما في قوله: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ وموجود مع هذا العالم المشهود كما يدل عليه آيات خلق السماوات والأرض، وموجود قبل هذه الخلقة كما يدل عليه قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴿[هود: ٧]﴾^(١).

بعد ما تقدم من فوائد نتقل في حديقة علماء التفسير لجني ثمار هذه
الآية المباركة!

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان

بيان

لما ذكر سبحانه تكذيب الذين كفروا وجداهم في آيات الله
بالباطل ولوح إلى أنهم غير معجزين ولا مغفول عنهم بل معنيون في
هذه الدعوة والعناية فيهم أن يتميزوا فيحق عليهم كلمة العذاب
فيعاقبوا عاد إلى بدء الكلام الذي أشار فيه إلى أن تنزيل الكتاب وإقامة
الدعوة لمغفرة جمع وقبول توبتهم وعقاب آخرين فذكر أن الناس قبال
هذه الدعوة قبيلان: قبيل تستغفر لهم حملة العرش والحافون به من
الملائكة وهم التائبون إلى الله المتبعون سبيله ومن صلح من آبائهم
وأزواجهم وذرياتهم، وقبيل ممقوتون معذبون وهم الكافرون
بالتوحيد.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ إلى آخر الآية. لم يعرف سبحانه هؤلاء الحاملين للعرش
من هم؟ ولا في كلامه تصريح بأنهم من الملائكة لكن يشعر عطف

(١) تفسير الميزان ج ٨ ص ١٥٩.

قوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ عليهم وقد قال فيهم: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَاقِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥] أن حملة العرش أيضا من الملائكة.

وقد تقدم تفصيل الكلام في معنى العرش في الجزء الثامن من الكتاب.

فقوله: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ أي الملائكة الذين يحملون العرش الذي منه تظهر الأوامر وتصدر الأحكام الإلهية التي بها يدبر العالم، والذين حول العرش من الملائكة وهم المقربون منهم. وقوله: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي ينزهون الله سبحانه والحال أن تنزيههم له يصاحب ثناءهم لربهم فهم ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بساحة قدسه ومن ذلك وجود الشريك في ملكه ويشنون عليه على فعله وتدبيره.

وقوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ إيمانهم به - والحال هذه الحال عرش الملك والتدبير لله وهم حاملوه أو مطيفون حوله لتلقي الأوامر وينزهونه عن كل نقص ويحمدونه على أفعاله - معناه الإيمان بوحديته في ربوبيته وألوهيته ففي ذكر العرش ونسبة التنزيه والتحميد والإيمان إلى الملائكة رد للمشركين حيث يعدون الملائكة المقربين شركاء لله في ربوبيته وألوهيته ويتخذونهم أربابا آلهة يعبدونهم. وقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي يسألون الله سبحانه أن يغفر للذين

آمنوا .

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ إلخ حكاية متن استغفارهم وقد بدؤوا فيه بالثناء عليه تعالى بسعة الرحمة والعلم، وإنما ذكروا الرحمة وشفعوها بالعلم لأنه برحمته ينعم على كل محتاج فالرحمة مبدأ إفاضة كل نعمة وبعلمه يعلم حاجة كل محتاج مستعد للرحمة.

وقوله: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ تفريع على ما أثنوا به من سعة الرحمة والعلم، والمراد بالسبيل التي اتبعوها هو ما شرع لهم من الدين وهو الإسلام واتباعهم له هو تطبيق عملهم عليه فالمراد بتوبتهم رجوعهم إليه تعالى بالإيمان والمعنى فاغفر للذين رجعوا إليك بالإيمان بوحدانيتك وسلوك سبيلك الذي هو الإسلام وقهم عذاب الجحيم وهو غاية المغفرة وغرضها.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور

إشارات

- ذكرت الآيات السابقة أن موقف الناس من دعوة الأنبياء على نوعين، ولذا كانت المغفرة نصيب أحد الفريقين وكان العذاب الإلهي هو من نصيب الفريق الآخر. وتذكر هذه الآيات أن الملائكة يعملون على حماية الفريق الأول.

ما هو العرش؟

- جاء القرآن على ذكر العرش في عشرين موضعاً. والعرش في اللغة هو السرير ذو الأعمدة العالية، وأمّا الكرسي فهو السرير ذو الأعمدة القصيرة. وعندما نقراً قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ نعم، إنّ كرسيه تشمل الوجود كله، فما هو العرش؟

العرش كناية عن مركز القدرة الإلهية، أو محل صدور الأحكام الإلهية، والمراد من حَمَلَة العرش هم الملائكة الذين يبلغ عددهم ثمانية ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾. [سورة الحاقة: الآية ٧]

- لا ندرك حقيقة العرش، ولكن المستفاد من مجموع الآيات أنّ لعالم الوجود مركزاً وإنّ الله عزّ وجلّ محيط بهذا المركز تماماً. ﴿أُسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، وإنّ الإرادة الإلهية تسري إلى الأطراف من خلال الملائكة.

- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: (العرش هو العلم الذي أطلع الله عليه أنبياءه ورسله).

- تعرّضت الآيات إلى جانب العرش لبعض المضامين التي يظهر من خلال تصنيفها أنّ العرش هو مركز الأمر الإلهي، نحو:

﴿أُسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

﴿...يُعْثَى اللَّيْلَ النَّهَارَ ... لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ...﴾. [الأعراف: الآية ٥٤]

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾. [سورة يونس: الآية ٣]

﴿يُقَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ [سورة الرعد: الآية ٢].

﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سورة الحديد: الآية ٤].

فحركة الليل والنهار وتدبير الأمور وتفصيل الآيات والعلم بتمام ذرات الوجود وكل ما ينزل من السماء وما يعرج فيها يدل على ما يقع في العرش الإلهي.

- يرى العلامة الطباطبائي أن العرش حقيقة من الحقائق الوجودية وأمر من الأمور الخارجية وهو مركز تدبير أمور العالم.

- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (العرش والكرسي بابان من أكبر أبواب الغيوب).

- ليس المراد من العرش السرير المادي؛ لأن السرير المادي لا يكون على الماء ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، بل المراد أن العالم قبل خلق السموات والأرض كان عبارة عن ماء، وأن دائرة الأمر الإلهي كانت على الماء وبعد أن خلق السموات والأرض انتقل مركز الأمر في عالم الوجود إلى السماء. [سورة هود: الآية ٧].

النعاليم

١ - العذاب الإلهي في حق الكفار هو من السنن الإلهية ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾.

٢٧٠ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

٢- العقاب الإلهي ليس جزافاً، بل يقوم على أساس الحق والعدل
﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾.

٣- مجازاة المجرمين وإنزال العقاب بهم من شؤون الربوبية
﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾.

٤- الكفر هو سبب زوال الأمم الماضية ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

٥- يجب على المؤمنين أن يعلموا دائماً أن المقربين من الساحة
الإلهية في حال دعاء دائم لهم ﴿يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ .. وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾.

٦- يرفع الإسلام من تفكير الإنسان في المأكل والملبس والمسكن
إلى التفكير بالعرش والملائكة والتسبيح والتحميد ﴿يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ..
يُسَبِّحُونَ﴾.

٧- اللامتناهي هو الله عز وجل وحده، ولذا كان العرش أيضاً محدوداً
﴿حَوْلُهُ﴾.

٨- تعرّض القرآن للحمد والتسبيح بشكل متقارن كراراً، ولذا
كان تقارنهما في ذكر الركوع والسجود ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.

٩- من آداب الدعاء البدء بالتسبيح والتحميد لله عز وجل ﴿يُسَبِّحُونَ
بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ثم التعظيم والتبجيل، ﴿وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾

وبعد ذلك الدعاء ﴿فَاغْفِرْ﴾.

١٠ - عظم المسؤولية لا ينبغي أن يكون مانعاً من تسبيح الله وحمده وذكر من يستحق الدعاء. فالملائكة هم حملة العرش ويذكرون الله عز وجل، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ويدعون لأهل الإيمان ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

١١ - لا بدّ في الدعاء من السخية. فالملائكة يدعون لأهل الإيمان ﴿يُؤْمِنُونَ ... وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

١٢ - الإيمان هو حلقة الوصل بين عالم الملك وعالم الملكوت ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

١٣ - الاستغفار للآخرين إنّما يكون مؤثراً متى كانوا من أهل الإيمان ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

١٤ - بين الملائكة والإنسان ارتباط وعلقة. (فالإمام السجاد عليه السلام وفي الصحيفة السجادية يسلم ويدعو لمجموعة من الملائكة) والملائكة من حملة العرش يستغفرون للناس ﴿يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

١٥ - الدعاء للآخرين فعل حسن يدعو إليه القرآن ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

١٦ - الذين يشملهم دعاء الملائكة هم أهل الإيمان والعمل

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

١٧ - لا تكفي التوبة وحدها، بل لا بد من العمل بعدها ﴿تَابُوا
وَأَتَّبَعُوا﴾.

١٨ - طريق النجاة في اتباع سبيل الله عز وجل. ﴿وَأَتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ
عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.

ثالثاً : وفقاً لتفسير الأمل

النفسير

دعاء حملة العرش المسنم للمؤمنين

يتضح من أسلوب الآيات السابقة أنها نزلت في فترة كان فيها
المسلمون قلة محرومة، بينما كان الأعداء في أوج قوتهم، يتمتعون
بالإمكانات الكبيرة ويسيطرون على السلطة.

بعد ذلك نزلت الآيات التي نحن بصدددها لتكون بشرى
للمؤمنين الحقيقيين والصابرين، بأنكم لستم وحدكم، فلا تشعروا
بالغربة أبداً، فحملة العرش الإلهي والمقربون منه، وكبار الملائكة
معكم يؤيدونكم، إنهم في دعاء دائم لكم، ويطلبون لكم من الله النصر
في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ... وهذا هو أفضل أسلوب
للتعاطف مع المؤمنين في ذلك اليوم، وهذا اليوم، وغدا.

فالقرآن يقول: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ

رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا^ط.

أما قولهم ودعائهم فهو: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ فأنْتَ عالم بذنوب عبادك المؤمنين ورحيم بهم ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.

يوضح هذا الكلام للمؤمنين بأنكم لستم وحدكم الذين تعبدون الله وتسبحونه وتحمّدونه، فقبلكم الملائكة المقربون وحملة العرش ومن يطوف حوله، يسبحون الخالق جلّ وعلا ويحمّدونه.

وهي من جانب آخر تحذر الكفار وتقول لهم: إنّ إيمانكم أو عدمه ليس مهماً، فالله غني عن العباد لا يحتاج إلى إيمان أحد، وهناك الملائكة يسبحون بحمده ويحمّدونه وهم من الكثرة بحيث لا يمكن تصوّرهم بالرغم من أنّه غير محتاج إلى حمد هؤلاء وتسييحهم.

ومن جانب ثالث، في الآية إخبار للمؤمنين بأنكم لستم وحدكم في هذا العالم - بالرغم من أنّكم أقلية في محيطكم - فأعظم قوّة غيبية في العالم وحملة العرش هم معكم ويساندونكم ويدعون لكم، وهم في نفس الوقت يسألون الله أن يشملكم بعفوه ورحمته الواسعة، وأن يتجاوز عن ذنوبكم وينجيكم من عذاب الجحيم.

وفي هذه الآية تواجهنا مرة أخرى كلمة (العرش) حيث ورد كلام عن حملته والملائكة الذين يحيطون به، وبالرغم من أنّنا تحدثنا عن هذا

٢٧٤ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ٢

الموضوع في تفسير بعض السور، فإننا سنقف عليه مرّة أخرى في باب البحوث إن شاء الله.

في الآية التي تليها استمرار دعاء حملة العرش للمؤمنين، يقول تعالى:

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾.

وأيضاً: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾.

لماذا؟ لـ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

هذه الآية التي تبدأ بكلمة (ربّنا) التي يطلب حملة العرش والملائكة المقربون بها من خالقهم - بإصرار - أن يتلطف بعباده المؤمنين، ويركّزون في هذا الطلب على مقام ربوبيته تعالى، وهؤلاء لا يريدون من خالقهم انقاذ المؤمنين من عذاب القيامة وحسب، بل إدخالهم في جنات خالدة، ليس وحدهم وإنما مع آبائهم وأزواجهم وأبنائهم السائرين على خطّهم في الاستقامة والإيمان... إنهم يطلبون الدعم من عزّته وقدرته، أمّا الوعد الإلهي الذي أشارت إليه الآية فهو نفس الوعد الذي ورد مراراً على لسان الأنبياء لعامة الناس.

أمّا تقسيم المؤمنين إلى مجموعتين، فهو في الواقع يكشف عن حقيقة أنّ هناك مجموعة تأتي بالدرجة الأولى، وهي تحاول أن تتبع الأوامر الإلهية بشكل كامل.

أمّا المجموعة الأخرى فهي ليست بدرجة المجموعة الأولى ولا في مقامها، وإنّما بسبب انتسابها إلى المجموعة الأولى ومحاولتها النسبية في اتباعها سيشملها دعاء الملائكة.

بعد ذلك تذكر الآية الفقرة الرابعة من دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾

ثم ينتهي الدعاء بهذه الجملة ذات المعنى الكبير: ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ هل هناك فوز أعظم من أن تغفر ذنوب الإنسان، ويبتعد عنه العذاب لتشمله الرحمة الإلهية ويدخل الجنة الخالدة، وثم يلتحق به أقرباؤه الذين يودّهم؟

بحوث

أولاً: الأدعية الأربعة لحملة العرش

قد يطرح هنا هذا السؤال: ما هو التفاوت الموجود بين الأدعية الأربعة؟

أليس بعضها مكرراً؟

عند التأمل والتدقيق يتبيّن أنّ كلّ واحد منها يشير إلى موضوع مختلف. ففي البداية يطلب الملائكة غسل المؤمنين وتطهيرهم من آثار الذنوب، وهذا الأمر إضافة لكونه مطلوباً بذاته، فهو يعتبر مقدمة للوصول إلى أي نعمة كبيرة. وإلاّ فهل هناك موهبة أعلى من أن يشعر

٢٧٦ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

الإنسان بأنه أصبح طاهرا مطهرا، وأن خالقه جلّ وعلا راض عنه، وهو أيضا راض عن خالقه الكريم؟

إنّ هذا الإحساس - بغض النظر عن قضية الجنة والنار يعتبر أمرا عظيما وفخرا كبيرا بالنسبة للعباد.

في مرحلة ثانية يطلب حملة العرش والملائكة إبعاد المؤمنين وإنقاذهم من عذاب جهنّم. وهذا الأمر بحد ذاته يعتبر من أهم وسائل تحقيق الراحة والرضا النفسيين.

المرحلة الثالثة تنطوي على دعاء الملائكة وحملة العرش للمؤمنين في طلب الجنة لهم ولأقربائهم أيضا، حيث يعتبر هؤلاء الأقرباء الصالحون عاملا من عوامل الراحة والاستقرار النفسي.

وبسبب وجود (مؤذيات) أخرى مهمّة في يوم القيامة غير نار جهنّم، كهول المطّلع والمحشر، والفضيحة أمام الخلائق، وطول الوقفة للحساب وأمثال ذلك، لذا طلبت الملائكة وحملة العرش في أدعيتهم الأخرى أن يحفظ الله المؤمنين ويسيئهم من أي سوء أو مكروه في ذلك اليوم، كي يدخلوا جنة الخلد براحة بال واطمئنان واحترام كامل.

ثانياً: آداب الدعاء

في هذه الآيات يعلّم حملة العرش والملائكة المؤمنين أسلوب

الدعاء.

ففي البداية ينبغي بالتمسك بكلمة ﴿رَبَّنَا﴾.

ثم مناداته تعالى بصفات الجلال والجمال، وطلب العون من مقام رحمته المطلقة وعلمه غير المتناهي: ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةٌ وَعِلْمًا﴾.

وأخيرا الدعاء وطلب الحاجة بحسب أهميتها وبشروط توفر الأرضية للاستجابة: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾.

ثم ينتهي الدعاء بذكر صفاته تعالى الجمالية والجلالية، والتوسل برحمته تعالى مرة أخرى.

والطريف في الأمر أن حملة العرش الإلهي يعتمدون على خمسة أوصاف إلهية مهمة في دعائهم وهي: الربوبية، والرحمة، والقدرة، والعلم، والحكمة.

ثالثاً: لماذا تبدأ الادعية بكلمة «ربنا»؟

عند قراءة آيات القرآن الكريم نرى أن أولياء الله - سواء منهم الأنبياء أو الملائكة أو الصالحون - كانوا يبدأون كلامهم بـ «ربنا» أو «ربي» عند الدعاء ...

فآدم عليه السلام يقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾.

ونوح عليه السلام يقول: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَإِبْرَاهِيمَ عليه السلام يقول:

رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ.

أما يوسف عليه السلام فيقول: ﴿*رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾. وموسى الكليم عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾. أما سليمان عليه السلام فيقول: رَبِّ ﴿هَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾.

أما عيسى المسيح عليه السلام فيقول: ﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾
[المائدة، الآية ١١٤].

والرَّسُولُ الْأَعْظَمُ صلوات الله وسلاماته يقول: ﴿رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ [المؤمنين، الآية ٩٧].

وعلى لسان المؤمنين نقرأ في أماكن متعددة كلمة «ربنا» في فاتحة الدعاء، ففي آخر سورة «آل عمران» نرى دعاءهم: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾.

من خلال هذه النماذج والمواقف نستنتج أن أفضل الدعاء هو ما يبدأ بالربوبية صحيح أن الاسم المبارك «الله» هو أكثر شمولية لأسماء الخالق، ولكن لارتباط الحاجات بمقام الربوبية، هذا المقام الذي يرتبط به الإنسان منذ اللحظة الأولى من وجوده وحتى آخر عمره، وتستمر بعد ذلك صفة الارتباط بـ «الربوبية» التي تغرق الإنسان

بالألطاف الإلهية، لذا فإن ذكر هذه الكلمة في بداية الأدعية يعتبر أكثر تناسبا من باقي الأسماء الأخرى.

رابعاً: ما هو العرش الإلهي؟

لقد أشرنا مراراً إلى أن ألفاظنا- الموضوعة أصلاً لتوضيح مشخصات الحياة المحدودة- لا تستطيع أن توضح عظمة الخالق، أو حتى أن تحيط بعظمة مخلوقاته جلّ وعلا، لهذا السبب فليس أمامنا سوى استخدام ألفاظ ومعاني للكناية عن تلك العظمة.

وفي طليعة الألفاظ التي يشملها هذا الوضع كلمة (العرش) التي تعني لغوياً (السقف) أو (السريّر ذا المسند المرتفع) في قبال (الكرسي) الذي هو (سريّر ذو مسند منخفض). ثم استخدمت هذه الكلمة لتشمل (عرش) القدرة الإلهية.

وللمفسّرين والفلاسفة والمناطقّة كلام كثير حول المقصود بالعرش، وما ينطوي عليه من معنى كنائي.

فأحياناً فسّروا العرش بمعنى (العلم اللامتناهي لله تبارك وتعالى).

وأخرى قالوا بأن المعنى هو (المالكية والحاكمية الإلهية).

وفسّروا العرش أيضاً بأنه إشارة إلى أي واحدة من الصفات الكمالية والجلالية لله تبارك وتعالى، لأن كلّ واحدة من هذه الصفات توضح عظمة منزلته جلّ وعلا، كما أنّ عرش السلطان (والأمثال

تضرب ولا تقاس) يوضح عظمتة.

فالخالق جلّ وعلا يملك عرش العلم، وعرش القدرة، وعرش الرحمانية، وعرش الرحيمية.

وطبقا للتفسير والآراء الثلاثة هذه، فإنّ مفهوم (العرش) يعود إلى صفات الخالق جلّ وعلا، ولا يعني وجود خارجي آخر له.

وفي بعض الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، ما يشير إلى هذا المعنى، ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه أجاب عندما سئل عن معنى قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أنّ المقصود بذلك علمه تعالى شأنه.

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أيضا أنّه فسّر (العرش) بأنّه (العرش) الذي كشفه وعلمه الله للأنبياء عليهم السلام، بينما (الكرسي) هو «العلم» الذي لم يعلمه لأحد ولم يطلع عليه أحد.

وبين أيدينا تفاسير أخرى استندت إلى روايات إسلامية، ففسّرت العرش والكرسي بأنّهما موجودات عظيمة من مخلوقات الله تبارك وتعالى.

قالوا - مثلاً - إنّ المقصود بالعرش هو مجموع عالم الوجود. وقالوا أيضا: هو مجموع الأرض والسماء المتجسدة ضمن هذا الكرسي، بل إنّ السماء والأرض كاختم في الصحراء الواسعة مقايسة بينهما وبين (الكرسي) ثم قالوا: إنّ «الكرسي» في مقابل العرش كاختم في

الصحراء الواسعة.

وفي تفاسير أخرى تستند بدورها إلى روايات إسلامية، أطلقوا كلمة (العرش) للكناية عن قلوب الأنبياء والأوصياء والمؤمنين التامين الكاملين، كما جاء ذلك

في الحديث: «إنَّ قلب المؤمن عرش الرحمن».

وفي حديث قدسي نقرأ قوله تعالى: «لم يسعني سمائي ولا أرضي، ووسعني قلب عبدي المؤمن».

أما أفضل الطرق لإدراك معنى العرش - بمقدار ما تسمح به قابلية الإنسان واستيعابه - فهو أن نبحت موارد استعمال هذه الكلمة في القرآن الكريم، ونتفحص مدلولاتها بشكل متأن.

في آيات كثيرة من كتاب الله نلتقي مع هذا التعبير، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف، الآية ٥٤]. ثمَّ يرد تعبر ﴿يُدَبِّرُ الْأُمْرَ﴾ في بعض الآيات التي تأتي بعد مفاد الآية أعلاه (آية العرش) أو ترد جمل أخرى تعبر عن علم الله ودراية الخالق جلّ وعلا.

في آية أخرى من القرآن الكريم يوصف العرش بالعظمة: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة، الآية ١٢٩].

وأحيانا نتحدث الآية عن حملة العرش، كما في الآية التي نحن بصدددها.

ومن الآيات ما تتحدث عن الملائكة المحيطة بالعرش، كما في قوله تعالى:

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر، الآية ٧٥] وفي آية أخرى نقراً قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾.

من خلال مجموع هذه الموارد، والتعابير الأخرى الواردة في الأحاديث والروايات الإسلامية، نستنتج بشكل واضح أنّ كلمة (العرش) تطلق على معاني مختلفة بالرغم من أنّها تشترك في أساس واحد.

فأحد معاني العرش هو مقام (الحكومة والمالكية وخلق عالم الوجود) إذ تلاحظ أنّ الاستخدام الشائع للعرش يدلّ - من خلال الكناية - على سيطرة الحاكم على أمور دولته، فنقول مثلاً: «فلان شلّ عرشه» والتعبير كناية عن انهيار قدرته وحكومته.

والمعنى الآخر من معاني العرش هو، «مجموع عالم الوجود» لأنّ كلّ الوجود هو دليل على العظمة.

وأحياناً يستخدم العرش بمعنى «العالم الأعلى» والكرسي بمعنى «العالم الأدنى».

ويستخدم العرش أحياناً بمعنى (عالم ما وراء الطبيعة) والكرسي بمعنى (مجموع عالم المادة) بما في ذلك العرش والسماء، كما جاء في آية

الكرسي:

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

ولأنّ علم الخالق لا ينفصل عن ذاته المنزهة، لذا فإنّ كلمة (عرش) تطلق أحياناً على «علم الله».

وإذا أطلق وصف (عرش الرحمن) على القلوب الطاهرة لعباد الله المؤمنين، فذلك يعود إلى أنّ هذا المكان هو محل معرفة الذات الإلهية المنزهة، وهو بحدّ ذاته أحد أدلة عظمته وقدرته جلّ وعلا.

من كلّ ذلك يتضح أنّ كافة معاني العرش -التي وردت آنفاً- توضح عظمة الخالق جلّ وعلا.

وفي الآية التي نحن بصدد بحثها يمكن أن يكون المقصود من العرش هو نفس حكومة الله تعالى وتديره لعالم الوجود، وحملة العرش يقومون بتنفيذ إرادة الله الحاكمة في الخلق.

ويمكن أن يكون المعنى هو مجموع عالم الوجود أو عالم ما وراء الطبيعة. أمّا حملة العرش الإلهي فهم الملائكة الذين تقع عليهم مسؤولية تدبير أمر هذا العالم بأمر الله تعالى.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

١-١ - الباقر عليه السلام: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ قَالَ يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ وَعَلِيًّا وَالحَسَنَ وَالحُسَيْنَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ

وَمُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

١-٢- أمير المؤمنين عليه السلام: سَأَلَ الْجَاثِلِيُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ لَهُ أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ عز وجل يَحْمِلُ الْعَرْشَ أَوْ الْعَرْشُ يَحْمِلُهُ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام اللَّهُ عز وجل حَامِلُ الْعَرْشِ وَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا ... وَهُوَ قَوْلُهُ ... «ف» الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ هُمْ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ حَمَلَهُمُ اللَّهُ عِلْمَهُ.

١-٣- الباقر عليه السلام: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ يَعْنِي الرَّسُولُ صلوات الله عليه وآله وَالْأَوْصِيَاءَ مِنْ بَعْدِهِ عليهم السلام يَحْمِلُونَ عِلْمَ اللَّهِ.

١-٤- الصادق عليه السلام: إِنَّ حَمَلَةَ الْعَرْشِ ثَمَانِيَةٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ أَعْيُنٍ كُلُّ عَيْنٍ طَبَاقُ الدُّنْيَا.

١-٥- الرسول صلوات الله عليه وآله: عَنْ جَابِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وآله قَالَ: أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِئَةِ عَامٍ.

١-٦- ابن عباس رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - حَمَلَةُ الْعَرْشِ مَا بَيْنَ كَعْبِ أَحَدِهِمْ إِلَى أَسْفَلِ قَدَمَيْهِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ.

١-٧- الرسول صلوات الله عليه وآله: فِي تَفْسِيرِ الْإِمَامِ الْعَسْكَرِيِّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ الْعَرْشَ خَلَقَ لَهُ ثَلَاثَ مِئَةٍ وَسِتِّينَ أَلْفَ رُكْنٍ وَخَلَقَ عِنْدَ كُلِّ رُكْنٍ ثَلَاثَ مِئَةٍ أَلْفٍ وَسِتِّينَ أَلْفَ مَلَكٍ لَوْ أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى

لِأَصْغَرِهِمْ فَالْتَقَمَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ مَا كَانَ ذَلِكَ بَيْنَ
لَهَوَاتِهِ إِلَّا كَالرَّمْلَةِ فِي الْمَفَازَةِ الْفُضْفَاضَةِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ يَا عِبَادِي
اِحْتَمِلُوا عَرْشِي هَذَا فَتَعَاطَوْهُ فَلَمْ يُطِيقُوا حَمْلَهُ وَلَا تَحْرِيكَهُ فَخَلَقَ اللَّهُ
عِزُّهُ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَاحِدًا فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُزَعِّزُوهُ فَخَلَقَ اللَّهُ مَعَ
كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَشْرَةَ فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُحَرِّكُوهُ فَخَلَقَ اللَّهُ بِعَدَدِ كُلِّ وَاحِدٍ
مِنْهُمْ مِثْلَ جَمَاعَتِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُحَرِّكُوهُ فَقَالَ اللَّهُ عِزُّهُ لَجَمِيعِهِمْ خَلُّوهُ
عَلَى أُمْسِكِهِ بِقُدْرَتِي فَخَلُّوهُ فَأَمْسَكَهُ اللَّهُ عِزُّهُ بِقُدْرَتِهِ ثُمَّ قَالَ لِثَمَانِيَةِ مِنْهُمْ
اِحْمِلُوهُ أَنْتُمْ فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا لَمْ نُطِيقْهُ نَحْنُ وَهَذَا الْخَلْقُ الْكَثِيرُ وَالْجَمُّ الْغَفِيرُ
فَكَيْفَ نُطِيقُهُ الْآنَ دُونَهُمْ فَقَالَ اللَّهُ عِزُّهُ لِأَنِّي أَنَا اللَّهُ الْمُقَرَّبُ لِلْبَعِيدِ
وَالْمُدَلِّلُ لِلْعَبِيدِ وَالْمُخَفِّفُ لِلشَّدِيدِ وَالْمُسَهِّلُ لِلْعَسِيرِ أَفْعَلْ مَا أَشَاءُ
وَأَحْكُمْ مَا أُرِيدُ أَعْلَمُكُمْ كَلِمَاتٍ تَقُولُونَهَا يَخَفُّ بِهَا عَلَيْكُمْ قَالُوا وَمَا هِيَ
يَا رَبَّنَا قَالَ تَقُولُونَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ فَقَالُوا هَا فَحَمَلُوهُ
وَخَفَّ عَلَى كَوَاهِلِهِمْ كَشَعْرَةٍ نَابِتَةٍ عَلَى كَاهِلِ رَجُلٍ جَلْدٌ قَوِيٌّ فَقَالَ اللَّهُ
عِزُّهُ لِسَائِرِ تِلْكَ الْأَمْلَاقِ خَلُّوا عَلَى هَؤُلَاءِ الثَّمَانِيَةِ عَرْشِي لِيَحْمِلُوهُ
وَطُوفُوا أَنْتُمْ حَوْلَهُ وَسَبِّحُونِي وَمَجِّدُونِي وَقَدِّسُونِي فَإِنِّي أَنَا اللَّهُ الْقَادِرُ
عَلَى مَا رَأَيْتُمْ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

١-٨- الرسول ﷺ: إِنَّ مَلَكًا مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ يُقَالُ لَهُ إِسْرَافِيلُ
زَاوِيَةٌ مِنْ زَوَايَا الْعَرْشِ عَلَى كَاهِلِهِ قَدَمَاهُ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى

وَرَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ الْعُلْيَا فِي مِثْلِهِ مِنْ خَلِيقَةِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

٢-١- الرضا عليه السلام: الْعَرْشُ لَيْسَ هُوَ اللَّهُ وَالْعَرْشُ اسْمٌ عَلِمَ وَقُدْرَةٌ وَعَرْشٌ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ ثُمَّ أَضَافَ الْحَمْلَ إِلَى غَيْرِهِ خَلْقٍ مِنْ خَلْقِهِ لِأَنَّهُ اسْتَعْبَدَ خَلْقَهُ بِحَمْلِ عَرْشِهِ وَهُمْ حَمَلَةٌ عَلَيْهِ وَخَلَقًا يُسَبِّحُونَ حَوْلَ عَرْشِهِ وَهُمْ يَعْمَلُونَ بِعِلْمِهِ وَمَلَائِكَةٌ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَ عِبَادِهِ وَاسْتَعْبَدَ أَهْلَ الْأَرْضِ بِالطَّوَافِ حَوْلَ بَيْتِهِ وَاللَّهُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى كَمَا قَالَ وَالْعَرْشُ وَمَنْ يَحْمِلُهُ وَمَنْ حَوْلَ الْعَرْشِ وَاللَّهُ الْحَامِلُ لَهُمُ الْحَافِظُ لَهُمُ الْمُحْسِنُ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُقَالُ مُحْمُولٌ وَلَا أَسْفَلُ قَوْلًا مُفْرَدًا لَا يُوصَلُ بِشَيْءٍ فَيَفْسُدُ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى.

٢-٢- السجّاد عليه السلام: أَمَّا مَا سَأَلَ عَنْهُ مِنَ الْعَرْشِ مِمَّ خَلَقَهُ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ أَرْبَاعًا لَمْ يَخْلُقْ قَبْلَهُ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ الْهَوَاءَ وَالْقَلَمَ وَالنُّورَ ثُمَّ خَلَقَهُ مِنَ الْوَانِ أَنْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ نُورٌ أَخْضَرُ مِنْهُ اخْضَرَّتِ الْخُضْرَةُ وَنُورٌ أَصْفَرُ مِنْهُ اصْفَرَّتِ الصُّفْرَةُ وَنُورٌ أَحْمَرُ مِنْهُ احْمَرَّتِ الْحُمْرَةُ وَنُورٌ أَبْيَضُ وَهُوَ نُورُ الْأَنْوَارِ وَمِنْهُ ضَوْءُ النَّهَارِ ثُمَّ جَعَلَهُ سَبْعِينَ أَلْفَ طَبَقٍ غَلِظَ كُلُّ طَبَقٍ كَأَوَّلِ الْعَرْشِ إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ طَبَقٌ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهِ وَيُقَدِّسُهُ بِأَصْوَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَالسِّينَةُ غَيْرُ مُشْتَبِهَةٍ لَوْ أُذِنَ لِلِّسَانِ وَاحِدٍ فَاسْمَعَ شَيْئًا مِمَّا تَحْتَهُ لَهَدَمَ الْجِبَالَ وَالْمَدَائِنَ وَالْحُصُونُ وَكَشَفَ الْبِحَارَ وَهَلَكَ مَا دُونَهُ، لَهُ ثَمَانِيَةُ أَرْكَانٍ يَحْمِلُ كُلُّ رُكْنٍ مِنْهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا لَا يُحْصَى عَدَدُهُمْ إِلَّا اللَّهُ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ

وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ وَلَوْ أَحَسَّ حِسُّ «وَلَوْ أَحَسَرَ» شَيْءٌ مِمَّا فَوْقَهُ مَا قَامَ لَذَلِكَ طَرْفَةً عَيْنٍ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِحْسَاسِ الْجَبْرُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ وَالْقُدُسِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعِلْمِ وَلَيْسَ وَرَاءَ هَذَا مَقَالٌ لَقَدْ طَمَعَ الْحَائِرُ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ.

١ - الصادق عليه السلام: فِي طُهْرِ الْقَائِمِ ﷺ فِي بَعَثِ الْعَسْكَرِ إِلَى مَكَّةَ قَالَ ﷺ: فَلَوْ لَا أَنَّ رَحْمَةً رَبِّكُمْ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَأَنَا تِلْكَ الرَّحْمَةُ لَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ مَعَكُمْ.

٣-١ - الباقر عليه السلام: عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ قَالَ يَعْنِي الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ... وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَعْنِي شِيعَةَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا مِنْ وَلَايَةِ الطَّوَاغِيتِ الثَّلَاثَةِ وَمِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ يَعْنِي وَلَايَةَ عَلَى عليه السلام وَهُوَ السَّبِيلُ.

٣-٢ - الباقر عليه السلام: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ يَعْنِي الرَّسُولَ ﷺ وَالْأَوْصِيَاءَ مِنْ بَعْدِهِ عليه السلام يَحْمِلُونَ عِلْمَ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ وَمَنْ حَوْلَهُ يَعْنِي الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ... وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَهُمْ شِيعَةُ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَقُولُونَ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا مِنْ وَلَايَةِ هَؤُلَاءِ وَبَنِي أُمَيَّةَ وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَفِهِمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ.

٣-٣- الباقر عليه السلام: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا مِنْ وَلَايَةِ جَمَاعَةِ بَنِي أُمَيَّةَ وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ آمَنُوا بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام وَعَلَيٌّْ هُوَ السَّبِيلُ.

٣-٤- الصادق عليه السلام: عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ عز وجل مَلَائِكَةً يُسْقِطُونَ الذُّنُوبَ عَنْ ظُهُورِ شِيعَتِنَا كَمَا يُسْقِطُ الرِّيحُ الْوَرَقَ فِي أَوَانٍ سُقُوطِهِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ عز وجل الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا اسْتَغْفَارُهُمْ وَاللَّهُ لَكُمْ دُونِ هَذَا الْخَلْقِ.

٣-٥- الرسول صلى الله عليه وآله: لَقَدْ صَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيَّ وَعَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام سَبْعَ سِنِينَ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِى ذَكَرَ قَبْلَهُ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ.

٣-٦- الرسول صلى الله عليه وآله: عَنِ الرِّضَا عليه السلام عَنْ آبَائِهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَا خَلَقَ اللَّهُ عز وجل خَلْقًا أَفْضَلَ مِنِّي وَلَا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنِّي قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَأَنْتَ أَفْضَلُ أَوْ جَبْرِئِيلُ فَقَالَ صلى الله عليه وآله يَا عَلِيُّ عليه السلام إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَضَّلَ أَنْبِيََاءَهُ الْمُرْسَلِينَ عَلَى مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ وَفَضَّلَنِي عَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْفُضَّلَ بَعْدِي لَكَ يَا عَلِيُّ عليه السلام وَلِلْأَئِمَّةِ عليهم السلام مِنْ بَعْدِكَ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَخُدَّامُنَا وَخُدَّامُ مُحِبِّينَا يَا عَلِيُّ عليه السلام الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ...

وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِوَلَايَتِنَا.

٣-٧- أمير المؤمنين عليه السلام: عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ فَضْلِي مِنَ السَّمَاءِ وَهِيَ هَذِهِ الْآيَةُ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَمَا فِي الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مَوْءٍ مِنْ غَيْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا.

٣-٨- أمير المؤمنين عليه السلام: لَقَدْ مَكَثَتِ الْمَلَائِكَةُ سَبْعَ سِنِينَ وَأَشْهُرًا لَا يَسْتَغْفِرُونَ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِي وَفِينَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

٣-٩- الصَّادِق عليه السلام: عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ مُعْنَعًا عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام قَالَ: ... قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا الَّذِي كَانَ مِنْ حَدِيثِهِمْ إِذَا اجْتَمَعُوا قَالَ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴿ذَكُرُوا اللَّهَ﴾ تَعَالَى فَلَمْ تَبْلُغْ عَظَمَتَهُ ثُمَّ ذَكُرُوا فَضْلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ عِلْمِهِ وَقَلَدَهُ مِنْ رِسَالَتِهِ ثُمَّ ذَكُرُوا أَمْرَ شِيعَتِنَا وَالدُّعَاءَ لَهُمْ وَخَتَمَهُمْ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَعْرِفُنَا قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَكَيْفَ لَا يَعْرِفُونَكُمْ وَقَدْ وُكِّلُوا بِالدُّعَاءِ لَكُمْ وَالْمَلَائِكَةُ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا مَا اسْتَغْفَارُهُمْ إِلَّا لَكُمْ دُونَ هَذَا الْعَالَمِ.

٣-١٠ - أمير المؤمنين عليه السلام: لَقَدْ مَكَثَتِ الْمَلَائِكَةُ سِنِينَ لَا تَسْتَغْفِرُ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَلِي وَفِينَا نَزَلَتْ (وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِلَى قَوْلِهِ الْحَكِيمُ).

٣-١١ - الصَّادِق عليه السلام: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ الْمَلَائِكَةُ أَكْثَرُ أَمْ بَنُو آدَمَ عليه السلام فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَلَائِكَةُ اللَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ التُّرَابِ فِي الْأَرْضِ وَمَا فِي السَّمَاءِ مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ يُسَبِّحُهِ وَيُقَدِّسُهُ وَلَا فِي الْأَرْضِ شَجَرَةٌ وَلَا مَدْرٌ إِلَّا وَفِيهَا مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهَا يَأْتِي اللَّهَ كُلَّ يَوْمٍ بِعَمَلِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِهَا وَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَيَتَقَرَّبُ كُلُّ يَوْمٍ إِلَى اللَّهِ بِوَلَايَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَيَسْتَغْفِرُ لِحُبِينَا وَيَلْعَنُ أَعْدَاءَنَا وَيَسْأَلُ اللَّهُ عز وجل أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ إِرْسَالًا وَقَوْلُهُ ... وَفِيهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ إِلَى قَوْلِهِ الْحَكِيمُ يَعْنِي مَنْ تَوَلَّى عَلِيًّا عليه السلام فَذَلِكَ صَلَاحُهُمْ.

١ - الأئمة عليهم السلام: إِنَّ اللَّهَ عز وجل أَعْطَى التَّائِبِينَ ثَلَاثَ خِصَالٍ لَوْ أَعْطَى خِصْلَةً مِنْهَا جَمِيعَ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنَجَّوْا بِهَا قَوْلُهُ عز وجل إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ فَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ لَمْ يُعَذِّبْهُ وَقَوْلُهُ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ... وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَفِيهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

الحكيم.

دعاء

١ - الباقر عليه السلام: إِذَا صَلَّيْتَ عَلَى الْمُؤْمِنِ فَادْعُ لَهُ وَاجْتَهِدْ لَهُ فِي الدُّعَاءِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفًا مُسْتَضَعَفًا فَكَبِّرْ وَقُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ.

٢ - الباقر عليه السلام: الصَّلَاةُ عَلَى الْمُسْتَضَعَفِ وَالَّذِي لَا يُعْرِفُ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالدُّعَاءُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ تَقُولُ رَبَّنَا اغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ إِلَى آخِرِ الْآيَتَيْنِ.

الآية الثامنة والعشرون

﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨]

أقسام الكبر

نأخذ من هذه الآية المباركة درسًا عن التكبر مما أبتلي به الإنسان بحسب أسبابه، وأسبابه كثيرة .. منها أمور نفسية تكمن في داخل النفس مثل: التكبر بالعلم كأن يتحصل شخص على درجة علمية فيُصاب بالإعجاب والتكبر والتعالي لقاء تحصله على ذلك، وكذلك الإعجاب بالحسب والنسب والجمال والقوة والجاه والسمعة أو بسبب الثراء الضخم والقائمة تطول عما يُصاب به من كبر نابع من داخل النفس، اللهم أعنا على أنفسنا وجنبنا موبقات ذلك.

والآن نحتاج إلى أن نتعرف على تعريف الكبر، كما قال علماء الأخلاق في تعريفهم نحو الكبر هو: "رؤية النفس فوق الغير" وكذلك جاء في تعريف آخر: "هو عزة وتعظيم يوجب رؤية النفس

فوق الغير واعتقاد المزية والرجحان" (١).

ومن تأمل في القرآن المجيد والأحاديث الصادرة عن النبي الأعظم ﷺ وأهل بيت العصمة الطاهرة عليهم السلام يجد التعاليم القرآنية والأحاديث تحصر التكبر في ثلاثة أقسام رئيسية وإليكم ذكرها:

القسم الأول: التكبر على الله جلّ وعلى

التكبر على الله سبحانه وتعالى يعني عدم الإيمان به جلّ جلاله وعلا سلطانه، وعدم الاعتقاد بوجود الله وآياته الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، والاستكبار عن طاعته وعبادته وذلك من خلال عدم الانقياد لأحكامه وتعاليمه والخضوع بين يديه سبحانه في الصلاة والحج والعمرة والصيام والدعاء والمنظومة العبادية التي أمر الله بها عباده من قراءة قرآن ودعاء وأذكار وغيرها مما يمثل أسماؤه وأفعاله المنعم المنان، لهذا جاء تنديد في القرآن الكريم في العديد من الآيات نذكر بعضها منها:

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]

قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]

قال تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى

الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢]

(١) جامع السعادات، ج ١، ص ٢٢٤.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]

فآيات السابقة صريحة في ذم وتوبيخ المتكبرين عن الإيمان بالله وطاعته والقرآن ذكر أفراداً منها: فرعون والنمرود كيف طغوا وتكبروا على الاعتقاد بالله وطاعته.

وصفة التكبر مختصة بالله الجبار وجاءت الآيات والأحاديث تبين خصوصية هذه الصفة بالله جبار السموات والأرض ومن آياته نحو ذلك:

قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٧].

قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

ومن أحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام الواردة في كتاب ميزان الحكمة:

عن الإمام الباقر عليه السلام: (الكبر رداء الله، والمتكبر ينازع الله

رداءه). (١)

عن الرسول الأعظم ﷺ: (يقول الله جلّ وعلا: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار). (٢)

عن الإمام الصادق عليه السلام: (الكبر رداء الله، فمن نازع الله شيئاً من ذلك أكبه الله في النار). (٣)

عن الإمام علي عليه السلام: (فلو رخص الله في الكبر لأحد من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه وأوليائه، ولكنه سبحانه كره إليهم التكابر، ورضي لهم التواضع). (٤)

القسم الثاني: التكبر على الأنبياء والأوصياء

وذلك من عدم تصديقهم والتسليم بما جاؤوا به من وحي وأحكام وتشريعات ومعجزات وكمالات من أجل الهداية والتهذيب وتكامل وإيصالهم إلى الحق سبحانه وتعالى والقرآن الكريم ذكر شواهد كثيرة في تكذيب الأمم للأنبياء والمرسلين:

قال تعالى: ﴿فَقَالُوا أَنْوْمُنْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ﴾

[المؤمنون: ٤٧]

(١) ميزان الحكمة، المجلد ٦، محمد الريشهري، ص ٢٦٥٢.

(٢) ميزان الحكمة، المجلد ٦، محمد الريشهري، ص ٢٦٥٢.

(٣) ميزان الحكمة، المجلد ٦، محمد الريشهري، ص ٢٦٥٢.

(٤) ميزان الحكمة، المجلد ٦، محمد الريشهري، ص ٢٦٥٢.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾
[مريم: ٦٩]

قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾
[النساء: ١٧٢]

وكذلك هذه الآيات بينت عصيان وتكبر هؤلاء!

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ - إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾
[النساء: ١٤٠]

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ - أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾
[المجادلة: ٢٠]

القسم الثالث: التكبر على الناس

ويعني بذلك رؤية النفس فوق الناس وأفضل وأكمل وكل متكبر على حسب الباعث النفسي نحو تكبره وترفعه عن الناس كأنه لم يُخلق من أديم الأرض، فالقرآن الكريم والرسول ﷺ وأهل البيت عليهم السلام في خطبهم وأحاديثهم وأدعيتهم وسيرتهم كلها نددت بالمتكبرين وذكرت صور مخيفة عن تلك الحقارة والعقد النفسية وإليكم بعض من تلك الآيات والأحاديث الشريفة.

الآيات الشريفة

قال تعالى: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوًى
الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

الأحاديث الشريفة

ومن الأحاديث المنددة بالمتكبرين ما يلي:

عن الرسول الأعظم ﷺ: (يُحْشَرُ الْجَبَّارُونَ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فِي صُورِ الذَّرِّ، يَطْوَهُمُ النَّاسُ لِهَوَانِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى).^(١)

عن الإمام الصادق عليه السلام: (إِنَّ الْمُتَكَبِّرِينَ يُجْعَلُونَ فِي صُورِ الذَّرِّ
يَتَوَطَّوْهُمْ النَّاسُ حَتَّى يَفْرَغَ اللَّهُ مِنَ الْحَسَابِ).^(٢)

عن الرسول الأعظم ﷺ: (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مِثْلِ
صُورِ الذَّرِّ تَطْوَهُمُ النَّاسُ ذَرًّا فِي مِثْلِ صُورِ الرِّجَالِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ
مِنَ الصَّغَارِ).^(٣)

عن الرسول الأعظم ﷺ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عَتَلٍ

(١) ميزان الحكمة، المجلد ٦، محمد الريشهري، ص ٢٦٦٠.

(٢) ميزان الحكمة، المجلد ٦، محمد الريشهري، ص ٢٦٦٠.

(٣) ميزان الحكمة، المجلد ٦، محمد الريشهري، ص ٢٦٦٠.

جَوَّازٌ^(١) مستكبر).

عن الرسول الأعظم ﷺ: (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ الذَّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ).^(٢)

عن الرسول الأعظم ﷺ: (إِنْ فِي جَهَنَّمَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ هَيْبٌ، حَقٌّ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَسْكُنَ فِيهِ كُلُّ جَبَّارٍ).^(٣)

عن الرسول الأعظم ﷺ: (إِنْ فِي النَّارِ قَصْرًا يُجْعَلُ فِيهِ الْمُتَكَبِّرُونَ وَيُطَبَّقُ عَلَيْهِمْ).^(٤)

عن الإمام الصادق عليه السلام: (إِنْ فِي جَهَنَّمَ لَوَادِيًا لِلْمُتَكَبِّرِينَ يُقَالُ لَهُ سَقَرٌ، شَكَأَ إِلَى اللَّهِ ﷻ شِدَّةَ حَرِّهِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ أَنْ يَتَنَفَّسَ، فَتَنَفَّسَ فَأَحْرَقَ جَهَنَّمَ).^(٥)

مسك الختام الآية الكريمة رد على الذين لا يؤمنون بالله وعند الله عالم السماوات والعرش من الملائكة والأنبياء يسبحونه ويقدسونه سبحانه من لا ينبغي التسبيح إلا له.

بعد ما تقدم من فوائد نتقل إلى حديقة علماء التفسير لجني ثمار هذه

(١) جَوَّازٌ: وقال ثعلب: المتكبر الجافي، لسان العرب المجلد السابع فصل ظ ص ٤٣٩.

(٢) ميزان الحكمة، المجلد ٦، محمد الريشهري، ص ٢٦٦٠.

(٣) ميزان الحكمة، المجلد ٦، محمد الريشهري، ص ٢٦٦٠.

(٤) ميزان الحكمة، المجلد ٦، محمد الريشهري، ص ٢٦٦٠.

(٥) ميزان الحكمة، المجلد ٦، محمد الريشهري، ص ٢٦٦٠.

الآية المباركة

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان

بيان

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ السامة الملل، والمراد بـ ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ الملائكة والمخلصون من عباد الله وقد تقدم كلام في ذلك في تفسير قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وقوله: ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ﴾ ولم يقل: يسبحونه للدلالة على الحصر والاختصاص أي يسبحونه خاصة، وقوله: ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي دائماً لا ينقطع فإن الملائكة ليس عندهم ليل ولا نهار.

والمعنى: فإن استكبر هؤلاء الكفار عن السجدة لله وحده فعبادته تعالى لا ترتفع من الوجود فهناك من يسبحه تسبيحاً دائماً لا ينقطع من غير سامة وهم الذين عند ربك.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ إلخ، الخشوع التذلل، والاهتزاز التحرك الشديد، والربو النشوء والنماء والعلو، واهتزاز الأرض وربوها تحركها بنباتها وارتفاعه. وفي الآية استعارة تمثيلية شبهت فيها الأرض في جذبها وخلوها عن النبات ثم

اخضرارها ونمو نباتها وعلوه بشخص كان وضع الحال رث الثياب متذللاً خاشعاً ثم أصاب ما لا يقيم أوده فلبس أفخر الثياب وانتصب ناشطاً متبختراً يعرف في وجهه نضرة النعيم.

والآية مسوقة للاحتجاج على المعاد، وقد تكرر البحث عن مضمونها في السور المتقدمة.

بحث روائي

في المجمع، في قوله تعالى: ﴿أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّوْا﴾ يعنون إبليس الأبالسة - وقابيل بن آدم أول من أبدع المعصية: روي ذلك عن علي عليه السلام.

أقول: ولعله من نوع الجري فالآية عامة.

وفيه، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾: روي عن أنس قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ

هذه الآية ثم قال: قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم - فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها.

وفيه، في قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَكُوتُ﴾ يعني عند الموت: عن مجاهد والسدي وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام.

وفي تفسير القمي، في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال: كنا نحرسكم من الشياطين ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي عند الموت.

٣٠٢ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ٢

وفي المجمع، في الآية قيل: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي نحرسكم في الدنيا وعند الموت في الآخرة.

وفي تفسير القمي، في قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قال: ادفع سيئة من أساء إليك بحسنتك - حتى يكون الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور النعاليه

١ - الامتناع عن السجود والعبادة نموذج بارز والاستكبار
﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ ... فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا﴾.

٢ - التكبر مانع من العبودية ﴿وَأَسْجُدُوا ... فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا...﴾.

٣ - حطّم غرور المستكبرين من خلال استعراض النماذج
الأفضل. فإن كان الإنسان المتكبر لا يسجد فهذا لا يهم؛ لأنّ الملائكة
يسجدون ولا يفترون ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ﴾.

٤ - يمدّ الله ﷻ نبيه بالعون في مواجهته للمستكبرين ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ
رَبِّكَ﴾.

٥ - لو أنّ الناس كافّة تركوا عبادة الله فإنّ الملائكة وعالم الوجود
كلّه مسلم لله ﷻ ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ﴾.

الآية الثامنة والعشرون ٣٠٣

٦- التسبيح فعل الملائكة؛ والمسبحون في الأرض كالملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ﴾.

٧- التسبيح قمة العبادة. (ففي الآية السابقة كان الحديث عن العبادة وفي هذه الآية عن التسبيح) ﴿إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ... يُسَبِّحُونَ لَهُ﴾.

٨- الليل والنهار باب لمعرفة الله عز وجل وعبادته، وليس عبادة بذاتها ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ﴾.

٩- ورد الحث الشديد على العبادة في الليل. (ورد ذكر الليل قبل ذكر النهار) ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.

١٠- الملائكة يسبحون في الليل والنهار. (كلمة يسبحون تدلُّ على الاستمرار مضافاً إلى قوله بالليل والنهار الذي يدلُّ على الدوام).

١١- تسبيح الملائكة لله عز وجل يصدر عن إخلاص. قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ﴾، ولم يقل: (يسبحونه). فلا بد لنا من أن نكون من المخلصين أيضاً.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل

السجدة لله تعالى

تعتبر هذه الآيات بداية فصل جديد في هذه السورة، فهي تختص بقضايا التوحيد والمعاد، ودلائل النبوة وعظمة القرآن، وهي في الواقع

مصدق واضح للدعوة إلى الله في مقابل دعوة المشركين إلى الأصنام.
تبدأ أولاً من قضية التوحيد، فتدعو الناس إلى الخالق عن طريق
الآيات الآفاق؛ ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ فالليل
وظلمته للراحة، والنهار وضوءه للحركة.

وهذان التوأمان يقومان بإدارة عجلة حياة الناس بشكل متناوب
ومنظم، بحيث لو كان أحدهما دائماً أو استمر لمدة أطول، فستصاب
جميع الكائنات بالفناء، لذا فإن الحياة تنعدم على سطح القمر حيث
تعاذل لياليه «١٥» ليلة أرضية ونهاره بهذا المقدار أيضاً.

إن لياليه المظلمة الباردة تجعل كل شيء جامداً، أما نهاره الطويل
الحار فإنه يحرق كل شيء، لذلك لا يستطيع الإنسان وكائنات أرضنا
أن تعيش على القمر.

أما الشمس فهي مصدر كل البركات المادية في منظومتنا، فالضوء
والحرارة والحركة ونزول المطر، ونمو النباتات ونضج الفواكه،
وحتى ألوان الورود الجميلة، كل ذلك يدين في وجوده إلى الشمس.

القمر يقوم بدوره بإضاءة الليالي المظلمة، وضوءه دليل السائرين
في دروب الصحراء، وهو يجلب الخيرات بتأثيره على مياه البحار
وحدوث الجزر والمد فيه.

ولعل البعض قام بالسجود لهذين الكوكبين السماويين وعبادتهما

بسبب الخيرات والبركات الآنفه الذكر، فتأهوا في عالم الأسباب، ولم يستطيعوا الوصول إلى مسبب الأسباب.

ولذلك نرى القرآن بعد هذا البيان يقول مباشرة: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

فلماذا لا تتوجهون بالسجود والعبادة إلى خالق الشمس والقمر؟ ولماذا تعبدون كائنات هي نفسها خاضعة لقوانين الخلقة ونظام الوجود، ولها شروق وغروب وتخضع للتغيرات؟

إنَّ السجود لا ينبغي إلاَّ لله خالق هذه الموجودات! إنَّ خالق هذه الموجودات ومودع النظم والقوانين فيها لا يغرب ولا يافل ولا تمتد يد التغير إلى محضر كبريائه عز وجل.

وبهذا الشكل تنفي الآيات أحد الفروع الواسعة لانتشار الشرك وعبادة الأصنام المتمثلة في عبادة الكائنات الطبيعية النافعة، فينبغي للجميع أن يبحثوا عن علة العلل وأن لا يتوقفوا عند المعلول، نعم ينبغي البحث عن خالق هذه الموجودات! إنَّ هذه الآية تستدل - في الواقع - على وجود الخالق الواحد عن طريق النظام الواحد الذي يتحكم بالشمس والقمر والليل والنهار، وإنَّ حاميته تعالى على هذه الموجودات تعتبر دليلاً على وجوب عبادته.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ فيه إشارة إلى ملاحظة مؤدّاها:

٣٠٦ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

إذا كنتم تريدون عبادة الخالق فعليكم إلغاء غيره من الشركاء في العبادة، لأنَّ عبادته لا تكون إلى جانب عبادة غيره.

وإذا لم يؤثر هذا الدليل المنطقي في أفكار هؤلاء، واستمروا مع ذلك في عبادة الأصنام والموجودات الأخرى، ونسوا المعبود الحقيقي، فالله تعالى يخاطبهم بعد ذلك بقوله: ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾.

فليس مهماً أن لا تسجد مجموعة من الجهلة والغافلين حيال جبروت الله وذاته المقدسة الطاهرة، فهذا العالم الواسع مليء بالملائكة المقربين الذين يركعون ويسجدون ويسبحون له دائماً ولا يفترون أبداً.

ثم إنَّ هؤلاء هم بحاجة إلى عبادة الله ولا يحتاج تعالى لعبادتهم، لأنَّ فخرهم وكمالهم لا يتم إلا في ظل العبودية له سبحانه وتعالى.

ولقد ذكرنا أنَّ الآيات أعلاه هي من آيات السجدة، وثمة اختلاف بين فقهاء أهل السنة في أنَّ السجدة هل تكون واجبة بعد بداية الآية الأولى ﴿تَعْبُدُونَ﴾ أو أنَّها تكون كذلك بعد تمام الآيتين ﴿يَسْأَمُونَ﴾؟

ذهب الشافعي ومالك إلى الاحتمال الأول، بينما رجح آخرون كأبي حنيفة وأحمد بن حنبل الاحتمال الثاني.

إلا أن موقع السجدة الواجبة حسب اعتقاد علماء الإمامية، وفقا للروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، هي الآية الأولى (تَعْبُدُونَ) والآية الكريمة هي من آيات السجدة الواجبة في القرآن الكريم. وضروري أن نشير هنا إلى أن الواجب هو أصل السجدة، أما الذكر فهو مستحب، ونقرأ في رواية أن أقل هذا الذكر في السجدة هو القول:

«لا إله إلا الله حقاً، لا إله إلا الله إيماناً وتصديقاً، لا إله إلا الله عبودية ورقاً سجدت لك يا ربّ تعبدًا ورقاً، لا مستنكفاً ولا مستكبراً بل أنا عبد ذليل خائف مستجير».

نعود مرة أخرى إلى آيات التوحيد التي تعتبر الأرضية للمعاد، وإذا كان الحديث قد شمل في السابق الشمس والقمر والآيات السماوية، فإن الحديث هنا يدور حول الآيات الأرضية.

يقول تعالى: (وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ).

هذه الأرض الميتة اليابسة الخالية من الحركة وآثار الحياة، أي قدرة حولتها إلى نبض دائم يَمُور بالحياة والحركة، إنه الماء، وإنه لدليل كبير على قدرة الله الأزلية، وعلامة على وجود ذاته المقدسة.

ثم تنتقل الآية من قضية التوحيد المتمثلة هنا بالحياة التي ما زالت

٣٠٨ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ٢

تحيطها الكثير من الأسرار والخفايا والغموض، إلى قضية المعاد، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى﴾.

نعم: ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

فدلائل قدرته واضحة في كل مكان، ومع هذا الوضع فكيف نشك بالمعاد ونعتبره محالا، أليس هذا سوى الجهل والغفلة؟

﴿خَلِشَعَةٌ﴾ من (الخشوع) وتعني في الأصل التضرع والتواضع الملازم للأدب.

واستخدام هذا التعبير بخصوص الأرض الميتة اليابسة، يعتبر نوعا من الكناية.

فالأرض اليابسة الفاقدة للماء ستخلو من أي نوع من أنواع الثبات، وستشبه الإنسان الساقط أرضا أو الميت الذي لا حراك فيه، إلا أن نزول المطر سيهب لها الحياة ويجعلها تتحرك وتنمو.

﴿رَبَتْ﴾ من (ربو) على وزن (غلو) وتعني الزيادة والنمو، والربا مشتق من نفس هذه الكلمة، لأن المرابي يطلب دينه مع الزيادة.

﴿أَهْتَزَّتْ﴾ من «هز» على وزن «حظ» وتعني التحريك الشديد.

وحول «المعاد الجسماني» وأدلتة وكيفية استدلال عليه من عالم النبات تقدم بحث مفصل في نهاية سورة ﴿يَس﴾ من هذا التفسير.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

- ١ - علي بن إبراهيم رحمه الله عليه: ثُمَّ احْتَجَّ عَلَى الدَّهْرِيَّةِ فَقَالَ: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً أَيَّ سَاكِنَةٍ هَامِدَةً).
- ٢ - أمير المؤمنين عليه السلام: ثُمَّ ضَرَبَ لِلْبَعْثِ وَالنُّشُورِ مَثَلًا فَقَالَ تَعَالَى (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمُوتَى).

الآية التاسعة والعشرون

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥٠]

الوحي وأقسامه

القرآن الكريم تحدث عن الوحي السماوي وأقسامه المتعددة في العديد من الآيات الكريمة.

والوحي من الأمور الغيبية لدى عامة البشر إلا أصحاب الرسالات والنبوات وأوصيائهم صلوات الله عليهم أجمعين، وقد تكفل علماءنا الأعلام في كتب الكلام والتفسير القرآنية بدراساتٍ متعددة حول الوحي، ونكتفي بما جاء في "كتاب نفحات القرآن لفضيلة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي"^(١) حول معنى الوحي السماوي من ذكرٍ لموارده في القرآن الكريم وشرحٍ لمفرداته . وبيان

(١) كتاب نفحات القرآن، ج ١، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ص ١٦٣: ص ١٧٦.

لأقسامه وحقيقته كما يلي:

الوحي السماوي

تمهيد

توجد آيات كثيرة في القرآن الكريم حول الوحي، بل إنَّ بحثه طرح في جميع الكتب السماوية، وفي الحقيقة فإنَّ أتباع الأديان السماوية يعتبرون «الوحي» أهم مصدرٍ للمعرفة، لأنَّه ينهل من العلم الإلهي الواسع، في حين أنَّ المصادر الأخرى تتعلق بالإنسان نفسه، وهي محدودة جداً بالنسبة لهذا المصدر!

إنَّ الرؤية الكونية الإلهية تقول: إنَّ الله عزَّ وجلَّ ولأجل هداية البشر (أي بيان الطريق له) أوحى إلى رجال الوحي (أي الرسل العظام) بكل ما يحتاجه الناس في سبيل اجتياز الطريق إلى التكامل والسعادة.

وفي الحقيقة إنَّ العقل إذا كان سراجاً منيراً قوياً فإنَّ الفطرة والوجدان والتجربة بمنزلة سراجٍ من نوع آخر، و«الوحي» بمنزلة الشمس الساطعة، الأكبر والأعظم من السراجين المذكورين.

وعلى هذا فيُعدُّ الوحي - من وجهة نظر الإلهيين - أهم وأغنى مصدر للمعرفة.

والآن نقرأ خاشعين الآيات الآتية:

١ - ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ

الآية التاسعة والعشرون ٣١٣

يُرْسِلُ رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُوَ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿[الشورى / ٥١]

٢ - ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾. [النجم / ٣ - ٤]

٣ - ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾. [فصلت / ٦]

٤ - ﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾. [الإسراء / ٣٩]

٥ - ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. [البقرة / ٩٧]

٦ - ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾. [النحل / ٨٩]

٧ - ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

[الشورى / ٥٢]

٨ - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾. [النحل / ٤٣]

٩ - ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾. [الحديد / ٢٥]

١٠ - ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. [الحجر / ٩]

١١ - ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾. [آل عمران / ١١٨]

١٢ - ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ . [النساء / ١٦٤]

شرح المفردات

١ - «الوحي» استعمل هذا الاصطلاح في القرآن والروايات والأدب العربي بمعانٍ كثيرة، إلا أن المعنى الأولي للوحي - كما يقول الراغب في مفرداته - هو «الإشارة السريعة»، ولذا يقال للأعمال السريعة «وحي»، كما يقال «وحي» للحديث الرمزي المتضمن كتابات، والذي يُتبادل بسرعة، والذي قد يحصل بالكتابة أو الإشارة، ثم أطلقت هذه المفردة على المعارف الإلهية التي تقذف في قلوب الأنبياء والأولياء.

وللوحي أشكال متعددة، فتارة يكون بمشاهدة ملك من الملائكة واستماع حديثه، كما هو الحال بالنسبة لجبرئيل عليه السلام حيث كان الله يُوحى إلى الرسول الأكرم صلوات الله عليه بواسطته.

وتارة باستماع صوته فقط دون مشاهدته كما كان يوحى إلى موسى عليه السلام.

وتارة يُوحى بالألقاء بالقلب فقط.

وتارة يوحى الله بالإلهام فقط كما هو الحال بالنسبة لأُم موسى عليها السلام.

وتارة بالمنام (كالرؤيا الصادقة).

ذكر الخليل بن أحمد في كتاب العين: إنَّ أصل معنى «الوحي» هو «الكتابة»، وقال ابن منظور في لسان العرب: إنَّ الوحي يعني «الإشارة» و«الكتابة» و«الرسالة» و«الإلهام» و«الحديث الخفي» و«كل خطاب يُلقى على شخص آخر».

ومن مجموع ما تقدم نستشف أنَّ «الوحي» في الأصل يعني الإشارة السريعة والحديث الرمزي والخطاب الخفي المتبادل بالرسائل أو الإشارات، وبما أنَّ التعاليم الإلهية أُوحيَت إلى الأنبياء بشكل غامض، أطلقت مفردة «الوحي» عليها، لأنَّ الألفاظ التي نستعملها وضعت لمستلزمات حياتنا اليومية، فإذا أردنا أن نستعملها في الأمور الخارجة عن مستلزمات حياتنا اليومية، فينبغي توسيع معانيها، أو تجريدها أو استعمالها في مناسبات خاصة.

يقول الشيخ المفيد قدس سره في «شرح الاعتقادات»: إنَّ أصل الوحي يعني الكلام الخفي، وقد أطلق على كل شيء القصد منه تفهيم المخاطب بشكل يخفى عن الآخرين، وإذا نسب الوحي إلى الله عزَّ وجلَّ فالمراد به التعاليم والأوامر الإلهية التي يُخاطب بها الأنبياء والرسل.

٢- أمَّا «الإنزال» و«التنزيل» فاشتقتا من مادة «نزل» وتعني - في الأصل - الهبوط والمجيء من المكان العالي إلى المكان الداني، وفرقهما عن النزول أنَّهما مصدران لفعلين متعديين في حين أنَّ النزول مصدر لفعل لازم.

٣١٦ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ٢

وقد يكتسب الإنزال معنىً حسياً مثل ما جاء في هذه الآية: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾. [الفرقان / ٤٨]

وقد يكون بمعنى موهبة تُوهب من صاحب مقام عالٍ إلى صاحب مقامٍ داني: ﴿أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَرْوَاحًا﴾. [الزمر / ٦]

وقد يكون الإنزال بمعنى إلقاء المعارف الإلهية من قِبَلِ الله، وقد استعمل هذا المعنى في القرآن كثيراً، وهناك بحث لأئمة اللغة في كون الإنزال والتنزيل بمعنى واحد، أو أن لكل معنى يختص به، فبعض يقول: إنه لا اختلاف في المعنى بينهما غير أن التنزيل يفيد الكثرة فقط، بينما يعتقد بعض آخر: أن «التنزيل» يفيد التدريج، و«الإنزال» يفيد التدريج والدفعي، واعتمد الراجح في تفريقه هذا على الآية:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾. [محمد / ٢٠]

فالآية تحدثت أولاً عن طلب المؤمنين لنزول آيات الجهاد تدريجياً، ثم أشارت إلى نزول حكم الجهاد بصورة قاطعة وجامعة، وعندها ينظر المنافقون إلى الرسول نظر المغشي عليه من الموت.

٣- إن «تبيين» اشتقت من مادة «بَيَّن» أي المسافة الفاصلة بين الشيئين، ثم جاءت بمعنى «الإيضاح» و«الفراق»، وذلك لأن الفصل

بين الشيئين يستدعي هذين الأمرين، ثم استعملت بعد ذلك لكلٍ من المعنيين بصورة مستقلة، فتارة تعني «الفراق» وأخرى «الإيضاح».

وقد جاء في «صحاح اللغة» أن «بَيْن» تأتي بمعنيين متضادين هما، الفراق والآخر الاتصال، ويظهر أن معنهما في الأصل - كما جاء في غير صحاح اللغة - هو الفراق، إلا أن الفراق قد يؤدي إلى الاتصال بشيء آخر فاستعملها في الاتصال لأنه يلزم الفراق.

وعلى أية حال فإن مفردة (تبيين) جاءت في كثير من آيات القرآن بمعنى الظهور والانكشاف والوضوح، ولهذا يقال للدليل الواضح والمنكشف «بيّنة» سواء كان عقلياً أو محسوساً، فيطلق «البيّنة» على الشاهدين العادلين (الذين يعتبران بيّنة محسوسة)، كما تطلق «البيّنة» على معاجز الأنبياء، و«البيان» يعني رفع ستار الإبهام عن شيء، سواء كان بالنطق أو بالكتابة أو بالإشارة.

٤ - «التكليم» و«تكلّم» من مادة «كلم»، وفي الأصل - كما يقول الراغب - يعني التأثير الذي يُرى أو يُسمع، فالذي يُرى كجرح الآخرين، والذي يُسمع فهو الحديث الذي نسمعه من الآخرين.

يذكر الخليل بن أحمد في كتابه «العين»: أن أصل التكليم يعني «الجرح»، وعلى هذا فإطلاقه على النطق كان بسبب التأثير العميق الذي يتركه الحديث في قلوب المستمعين له، بل قد يكون تأثير الكلام

أشد من تأثير السيف والخنجر، وكما يقول الشاعر العربي المعروف:

جراحات السنان لها التئامٌ ولا يلتأم ما جرح اللسانُ

ويستفاد من بعض العبارات أنّ «التكليم» و«التكلم» لهما معنى واحد، وكلاهما بمعنى النطق والحديث، ولهذا عدت «متكلم» إحدى صفات الله، في حين إذا أردنا التقييد بالآية:

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ينبغي القول أن الله «مُكَلِّم».

ولا يستبعد احتمال استعمال مفردة «التكلم» في موارد حيث يحدث شخصٌ شخصاً آخر، إلا أن «التكليم» مثل «المكالمة» تطلق على الحديث المتبادل بين طرفين، وكلام الله مع موسى عليه السلام في جبل طور من هذا القبيل.

ومن هنا يطلق «علم الكلام» على علم العقائد، لأنه يذكر أن أول بحث بُحث فيه بعد الإسلام هو كلام الله (القرآن)، حيث كان البعض يعتقد أنه أزلي، والبعض الآخر: أنه حادث.

وقد أدّى الخلاف في هذه المسألة في القرون الأولى من عهد الإسلام إلى شجار ونزاعات شديدة، حدثت بين المسلمين آنذاك.

ونعلم الآن أن ذلك النزاع لم يكن له أساس ولا نتيجة، لأنه إذا أريد من القرآن محتواه، فالمسلم أنه كان مع علم الله أزلياً، وإذا كان المراد منه ألفاظه وكتابته ونزوله بواسطة الوحي، فهذا حادث في زمن

بعثة الرسول الأكرم ﷺ بلا شك، وعلى أية حال، فالهدف من هذا الحديث كان بيان وجه تسمية «علم العقائد» بـ «علم الكلام».

شرح الآيات وتفسيرها

الوحي شمس مشرقة

لقد انعكس صدى الوحي في القرآن الكريم بشكل واسع؛ حيث أشارت مئات الآيات إلى الوحي كمصدرٍ عظيمٍ للعلم والمعرفة، وأشارت بعضها إليه بهذا العنوان «الوحي» وبعضها بـ «التنزيل» و«الإنزال» وبعضها بـ «تبيين الآيات الإلهية» وبعضها بـ «تكليم الله للرسول»، وبمصطلحات أخرى.

وأفضل تعبير يُذكر في هذا المجال أن يقال: إذا كان العقل في المنظار القرآني بمثابة «مصباح» شديد الإضاءة لكونه مبيناً للحقائق، فإنَّ الوحي «كالشمس» الساطعة التي تضيء أرجاء المعمورة.

أشير في الآية الأولى إلى ثلاثة طرق من طرق اتصال الأنبياء بالله عز وجل، حيث قالت:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ فالطريق الأول هو الإيحاء، والثاني هو التكلم من وراء الحجاب كما تكلم الله مع موسى في جبل طور سيناء، والطريق الثالث هو إرسال رسول لا بلاغ

٣٢٠ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ٢

الخطاب الإلهي إلى النبي، كما كان يهبط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله لإبلاغه الخطابات الإلهية.

وعلى هذا، فالإلهام القلبي وإيجاد الأمواج الصوتية وهبوط ملك مكلف بنقل الوحي، ثلاثة طرق لاتصال الأنبياء بعالم ما وراء الطبيعة.

والآية الثانية بعد أن أقسمت بالنجم قالت: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

إنَّ القَسَمَ (بالنجم إذا هوى) يعنى النجم في حالة الأفول قد يكون إشارة إلى غروب وأفول نور الإيمان والهداية عن الوجود في عصر الجاهلية، الغروب الذي كان مقدمة لطلوع آخر، أي طلوع شمس الوحي على لسان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

وعلى هذا الأساس، فالآية أدرجت كلام الرسول صلى الله عليه وآله تحت أصل كلي ناتج عن الوحي والارتباط الغيبي.

والآية الثالثة أمرت الرسول بأن يتخذ موقفاً تجاه طلبات بعض المشركين العجيبة وغير المألوفة، ويقول لهم: إني لستُ ملكاً من ملائكة الله ولا موجوداً أعلى من البشر ولا ابن الله، ولا شريكه، ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ وهذا (الإيحاء) هو الذي يمثل الاختلاف بيني وبينكم.

وعلى هذا، فالرسول يمتاز عن بقية البشر بميزة خاصة وهي اختصاصه بمصدر المعرفة هذا وهو (الوحي).

والآية الرابعة، بعد ما ذكرت ستة من أحكام الإسلام المهمة (حرمة قتل الأولاد وحرمة الزنى وقتل النفس والتصرف في مال اليتيم ووجوب الوفاء بالعهد وإيفاء الكيل) خاطبت الرسول ﷺ قائلة: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾.

وطبقاً لهذه الآية، فإن الأحكام الجزئية شأنها شأن أصول الدين والعقيدة توحى إلى الرسول ﷺ.

والآية الخامسة نزلت لتجيب على أولئك اليهود الذين قالوا: إن جبرئيل عدونا عندما سمعوا أنه يأتي الرسول بتعاليم الإسلام، حيث أمرته بأن يقول لهم: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

والتعبير في هذه الآية يكشف عن أن جبرئيل ﷺ كان يُنزل - أحياناً - آيات القرآن على قلب الرسول مباشرة في حين أن بعض الروايات تشير إلى أن جبرئيل كان يأتي للرسول ﷺ على هيئة إنسان أحياناً ويقوم بإبلاغه الخطاب الإلهي بهذا الطريق.

والآية السادسة وضحت الحقيقة الآتية: إن القرآن الذي أنزلناه على الرسول فيه تبيان لكل شيء وحاملاً للهداية والرحمة والبشارة إلى

جميع المسلمين، وعليه فإن جميع هذه المعارف تصدر عن هذا المصدر العظيم أي الوحي.

بديهي أن المراد من ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ هو جميع القضايا التي تتعلق بسعادة الإنسان، فتعلم أن أسس جميع هذه القضايا قد جاءت في القرآن (سواء المادية منها أو المعنوية) في صورة قوانين كلية.

وقد صرحت الآية السابعة بأن القرآن روح نزلت على الرسول الأكرم ﷺ من قبل الله عز وجل، ولم يكن يدري ما الكتاب ولم يكن يدري ما الإيمان، وقد قيل للقرآن «روح» لأنه يبعث الحياة في قلوب المجتمع البشري، وهذا حديثٌ يذهب إليه كثير من المفسرين.

والمراد ب: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتَبُ﴾ هو أن الرسول لم يكن عارفاً بمحتوى الآيات قبل البعثة، وهناك شواهد تاريخية وروائية تكشف عن سبق معرفته بالله قبل البعثة.

وعلى أية حال إن هذا تأكيد آخر على قبول «الوحي» كأهم مصدر للمعرفة، لأن القرآن عُدَّ هنا «روحاً» و«نوراً» و«هداية».

والآية الثامنة بعد ما تجاوزت نبوة الرسول ﷺ أشارت إلى الأنبياء من قبله وقالت:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾
فهم على ارتباط وعلم بمنبع المعرفة هذا.

وتحدثت الآية التاسعة عن «البيانات» ونزول الكتب السماوية وقوانين الحق والعدالة على الرسل، وقالت: إِنَّا أَنْزَلْنَا الرِّسْلَ وَزَوَدْنَاهُمْ بِمَعَايِزٍ مِنْ جِهَةٍ، وبكتب وقوانين حقة من جهة أخرى لكي يقوم الناس بالقسط والعدل عن الظلم، وهذه كلها أمور ملهمة من مصدر الوحي.

وقد تحدثت الآية العاشرة عن إنزال «الذِّكْرِ» أي الآيات التي تكون سبباً لتذكر الناس ووعيدهم، في الوقت نفسه فَإِنَّ اللَّهَ يَعِدُ النَّاسَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِحِفْظِ هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ أَيْ نَقْصٍ أَوْ زِيَادَةٍ أَوْ تَلْفٍ أَوْ تَحْرِيفٍ، فالوحي - إذن - هو عامل يقظة الناس، وبما أَنَّ اللَّهَ لَهُ حَافِظٌ، فسيحفظه كمصدر مهم للمعرفة.

وتقول الآية الحادية عشرة: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وهذا دليل واضح على أَنَّ الآيات الإلهية سبب ليقظة العقول ونشاطها.

وأخيراً، فقد تحدثت الآية الثانية عشرة عن تكليم الله لموسى ﷺ، وقد كان الكلام هذا مصدراً لمعرفة موسى الإلهية، وهو نوع من الوحي.

هذه نماذج من آيات القرآن التي صرحت - رافعةً إبهام وشبهة - بأنَّ الوحي مصدر وأساس للمعرفة.

٣٢٤ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

هذا في وقت ينكر فيه الفلاسفة الماديون هذا المصدر على الإطلاق، ويفسرونه بتفاسير نقرأها في البحوث القادمة.

وبعدما اتضح أصل هذا المصدر، نذهب إلى بحث قضايا مختلفة تحوم حوله.

توضيحات

١- أقسام «الوحي» في القرآن المجيد

من خلال ملاحظتنا لآيات القرآن فقد استعملت مفردة «الوحي» في القرآن المجيد في عدة معانٍ، بعضها تكوينية وأخرى تشريعية، وبصورة عامة فإنها مستعملة في سبعة معانٍ:

١ - «الوحي التشريعي» وهو الذي يهبط على الرسل، وقد جاءت في أول البحث نماذج من الآيات التي استعملت فيها هذه المفردة بهذا المعنى.

٢ - «الإلهامات التي توحى لغير الأنبياء» كما هو الأمر بالنسبة لأم موسى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾. [القصص / ٧]

وهناك إلهام يماثل هذا إلا أنه يختلف عنه شكلياً، كالذي حدث لمريم، حيث تمثل لها الوحي وبشرها بولادة عيسى [مريم / ١٧ - ١٩].

٣ - «وحي الملائكة» أي الخطابات الإلهية التي توجه إليهم، كما جاء ذلك في قصة غزوة بدر الكبرى في [سورة الأنفال الآية ١٢]: ﴿إِذْ يُوحَىٰ

رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا. ﴿١١﴾

٤ - «الخطاب مع الإشارة» كما جاء ذلك في قصة حديث زكريا مع قومه: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾. [مريم / ١١]

٥ - [الإلقاءات الشيطانية الغامضة] كما جاء في الآية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾. [الأنعام / ١١٢]

٦ - «تقدير القوانين الإلهية في عالم التكوين» كما في الآية: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾. [فصلت / ١٢]

وما جاء في شهادة الأرض يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۚ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾. [الزلزلة / ٤ - ٥]

قد يكون تلميحاً لهذا المعنى من الوحي.

وقد جاءت مفردة الوحي بمعنى «خلق الغرائز» كما في الآية: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾. [النحل / ٦٨]

ومن جهة أخرى فإن هبوط الوحي على الرسل جاء على أربع صورٍ على الأقل، كما جاء ذلك في القرآن المجيد، وهي:

١ - صورة ملك يشاهده الرسول.

٢ - وسماع صوت الوحي دون رؤيته.

٣ - وفي صورة إلهام قلبي.

٤ - وفي صورة رؤيا صادقة، كما جاء ذلك في قصة إبراهيم عليه السلام عندما أمره الله أن يذبح ابنه إسماعيل [الصفات / ١٠٢]، أو ما حصل للرسول صلّى الله عليه وآله عندما بشره الله - بالرؤيا - بدخول المسلمين الكعبة آمنين [الفتح / ٢٧].

وقد جاء في رواية أن أحد الصحابة سأل الرسول صلّى الله عليه وآله: كيف ينزل عليك الوحي؟

فأجابه الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله: «يأتيني أحياناً مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيتُ ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول».

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات:

فنبّي منبأ في نفسه لا يعدو غيرها، ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاينه في اليقظة، ولم تبعث إلى أحد وعليه إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط عليه السلام ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك، وقد أرسل إلى طائفة قلّوا أو كثروا كيونس عليه السلام...

والذي يرى في نومه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو إمام
مثل أولي العزم وقد كان إبراهيم عليه السلام نبياً وليس بإمام حتى قال الله
﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ فَقَالَ اللَّهُ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي
الظَّالِمِينَ﴾ من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً. [البقرة / ١٢٤]

٢ - ما هي حقيقة الوحي؟

لقد قرأنا وسمعنا الكثير عن حقيقة الوحي، لكن رغم ذلك كله،
فإن معرفتنا لحقيقته غير ممكنة، لعدم ارتباطنا بهذا العالم الغامض،
وحتى لو فسرناه لنا الرسول بنفسه، فإنه لا ينطبع شيء في أذهاننا عنه
سوى شبح.

ومثل ذلك كمثل شخص بصير يريد أن يصف أشعة الشمس
الجميلة، وأمواج البحر الهائجة وأجنحة الطاووس الملونة والمنظر
الخلاب للورد وبراعم الحديقة الخضراء.

لشخص ولد أعمى، وقد تحصل صور مبهمه ومشوشة لهذه
المخلوقات عند الأعمى إلا أن إدراك صورها الحقيقية فهو أمر
مستحيل.

لكننا نستطيع توضيح الوحي عن طريق آثاره وأهدافه ونتائجه،
ونقول: إن الوحي هو الإلقاء الإلهي الذي يتم بهدف تحقيق النبوة
والتبشير والإنذار، أو نقول: إنه نور يهدي به الله من يشاء، أو نقول:

إنَّه وسيلة الارتباط بعالم الغيب وإدراك معارف ذلك العالم، ولهذا السبب نرى القرآن يتحدث عن آثار الوحي لا عن حقيقته.

وينبغي أن لا نعجب من هذا الأمر، وأن لا نتخذ عدم إدراك حقيقة الوحي دليلاً على عدم الوجود، أو نفسره بتفسير مادية جسمية، فإنَّ في عالم الحيوانات التي نعدّها في مستوى أدنى من مستوانا فضلاً عن عالم النبوة، تُشاهد آثار أحاسيس وإدراكات يعجز البشر عن إدراكها، فبعض الحيوانات تضطرب قبل حدوث الزلزلة وتصرخ بصورة جماعية أحياناً، وتارة تحدث أصواتاً مروعة حاكية عن قرب وقوع حدث مفاجع، هذا كله بسبب تحليها بحاسة تستطيع بواسطتها أن تكشف قرب وقوع الزلزلة، الأمر الذي تعجز عن كشفه أحدث تكنولوجيا في العصر الحاضر.

أو أن بعض الحيوانات تتنبأ بتغيرات الأحوال الجوية للأشهر القادمة، فتبني بيوتها وفقاً لتلك الأحوال في الأشهر المقبلة عليها، وتعد الطعام الذي يتناسب مع طول فصل المطر والشتاء، فإذا كان طويلاً - مثلاً - يختلف مقداره عمّا لو كان قصيراً!

كما أن بعض الطيور قادرة على الهجرة الجماعية من المناطق القطبية إلى الاستوائية أو بالعكس، وقد يتم ذلك في الليل وفي سماء ملبدة بالغيوم، مع أن الإنسان لا يمكنه السير في هذا الطريق وينجح باجتياز واحد بالمئة منه، إلا بالاستعانة بالوسائل الدقيقة، وكذا الأمر بالنسبة

لبعض الحيوانات حيث تطلب صيدها في ظلام الليل الدامس، وأحياناً تحت أمواج المياه وغير ذلك من الأمثلة التي يصعب على الإنسان تصديقها، إلا أن العلم أثبت صحتها.

إن هذه الواقعيات التي تثبت بالعلم والتجربة تكشف عن وجود إدراك وشعور خاص لتلك الحيوانات لا يوجد مثله عند الإنسان، بالطبع إن الاطلاع الكامل على عالم حواس الحيوانات الغامض أمر محال، إلا أنه لا يمكن إنكار هذه الحقائق.

فبالرغم من أن حواس الحيوانات لها أبعاد مادية وطبيعية وهذا أمر طبيعي ولا يمثل جانباً غيبياً، إلا أننا لا نعرف حقيقة هذه الحواس، فكيف يمكن لنا أن ننكر عالم الوحي الغامض أو نشكك فيه بسبب عدم إدراكنا له؟

لم نقصد من حديثنا هذا الاستدلال على ثبوت مسألة الوحي، بل أردنا أن نرد على الذين ينكرون وجوده بسبب عدم إمكان إدراك حقيقته.

ولنا طرق واضحة لإثبات قضية الوحي منها:

١ - نشاهد من جهة رجالاً يدعون النبوة جاؤوا بكتب وتعاليم تفوق قدرة البشر الفكرية، فالرسول الأمي - مثلاً - كيف أمكنه الاتيان بكتاب ذي محتوى مجيد بالرغم من كونه قد نشأ وترعرع في

مجتمع الحجاز المتأخر للغاية في عصر الجاهلية؟!

٢- ومن جهة ثانية فإنّ دعوة الرسل مقترنة دائماً مع معاجز تفوق قدرة البشر، وهذا يكشف عن ارتباطهم بعالم ما وراء الطبيعة.

٣- ومن جهة ثالثة، فإنّ الرواية الكونية التوحيدية تقول لنا: إنّ الله خلقنا للتكامل والسير نحو ذاته المقدّسة الأبدية، وبديهي أن سلوك هذا الطريق أمر غير ممكن لكثرة مصاعبه وانعطافاته وتعرجاته ومشاكله وأخطاره لأننا نشاهد عجز العقل وضعفه عن إدراك كثير من الحقائق، والدليل على ذلك، الاختلافات الكثيرة بين العلماء والمفكرين، وكذلك مصير الأمم التي وضعت قوانينها بالاعتماد على العقل والقوانين الوضعية وذلك لإدارة شؤون حياتهم الفردية والاجتماعية.

وعلى هذا، فإننا نقطع بأن الله لم يترك الإنسان لوحده، فبالإضافة إلى عقله أمدّه بقيادة يرتبطون بعالم الغيب، ويستفيضون من بحر العلم الإلهي، وهذا هو الذي يعينه لاجتياز الطريق والوصول إلى الأهداف المقصودة.

وبهذه القرائن الثلاث يمكننا إدراك العلاقة بين عالم الإنسانية وعالم ما وراء الطبيعة، وكذلك الإيمان بالوحي رغم أننا لم نتعرف على حقيقته وماهيته، وبتعبير آخر: إن علمنا بالوحي علم إجمالي وليس

علماً تفصيلاً.

بعد ما تقدم من فوائد نتقل في حديقة علماء التفسير لجني ثمار هذه
الآية المباركة!

أولاً : وفقاً لتفسير الميزان

بيان

قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ إلخ التفطر الشقق
من الفطر بمعنى الشق.

الذي يهدي إليه السياق والكلام مسرود لبيان حقيقة الوحي
وغايته وآثاره أن يكون المراد من تفطر السماوات من فوقهن تفطرها
بسبب الوحي النازل من عند الله العلي العظيم المار بهن سماء سماء
حتى ينزل على الأرض فإن مبدأ الوحي هو الله سبحانه والسماوات
طرائق إلى الأرض قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا
عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾: [المؤمنون: ١٧].

والوجه في تقييد ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ بقوله: ﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ ظاهر فإن الوحي
ينزل عليهن من فوقهن من عند من له العلو المطلق والعظمة المطلقة
فلو تفطرن كان ذلك من فوقهن.

على ما فيه من إعظام أمر الوحي وإعلائه فإنه كلام العلي العظيم
فلكونه كلام ذي العظمة المطلقة تكاد السماوات يتفطرن بنزوله

٣٣٢ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ٢

ولكونه كلاما نازلا من عند ذي العلو المطلق يتفطرن من فوقهن لو تفطرن.

فالآية في إعظام أمر كلام الله من حيث نزوله ومروره على السماوات نظيره قوله:

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾: [سبأ: ٢٣] في إعظامه من حيث تلقي ملائكة السماوات إياه، ونظيره قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾: [الحشر: ٢١] في إعظامه على فرض نزوله على جبل ونظيره قوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾: [المزمل: ٥] في استثقاله واستصعاب حمله. هذا ما يعطيه السياق.

وقد حمل القوم الآية على أحد معنيين آخرين:

أحدهما: أن المراد تفطرن من عظمة الله وجلاله جل جلاله كما يؤيده توصيفه تعالى قبله بالعلي العظيم.

وثانيهما: أن المراد تفطرها من شرك المشركين من أهل الأرض وقولهم: ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ فقد قال تعالى فيه: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾: [مريم: ٩٠] فأدى ذلك إلى التكلف في توجيه تقييد التفطر بقوله: ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ وخاصة على المعنى الثاني، وكذا في توجيه اتصال قوله: ﴿وَالْمَلَكُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ الخ

بما قبله كما لا يخفى على من راجع كتبهم.

وقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ أي ينزهونه تعالى عما لا يليق بساحة قدسه ويشنون عليه بجميل فعله، ومما لا يليق بساحة قدسه أن يهمل أمر عباده فلا يهديهم بدين يشرعه لهم بالوحي وهو منه فعل جميل، ويسألونه تعالى أن يغفر لأهل الأرض، وحصول المغفرة إنما هو بحصول سببها وهو سلوك سبيل العبودية بالاهتداء بهداية الله سبحانه فسؤالهم المغفرة لهم مرجعه إلى سؤال أن يشرع لهم دينا يغفر لمن تدين به منهم فالمعنى والملائكة يسألون الله سبحانه أن يشرع لمن في الأرض من طريق الوحي دينا يدينون به فيغفر لهم بذلك.

ويشهد على هذا المعنى وقوع الجملة في سياق بيان صفة الوحي وكذا تعلق الاستغفار بمن في الأرض إذ لا معنى لطلب المغفرة منهم لمطلق أهل الأرض حتى لمن قال: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ وقد حكى الله تعالى عنهم: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية: [المؤمن: ٧] فالمتعين حمل سؤال المغفرة على سؤال سببها وهو تشريع الدين لأهل الأرض ليغفر لمن تدين به.

وقوله: ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي إن الله سبحانه لا تصافه بصفتي المغفرة والرحمة وتسميه باسمي الغفور الرحيم يليق بساحة

٣٣٤ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

قدسه أن يفعل بأهل الأرض ما ينالون به المغفرة والرحمة من عنده وهو أن يشرع لهم ديناً يهتدون به إلى سعادتهم من طريق الوحي والتكليم.

قيل: وفي قوله: ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ﴾ إلخ إشارة إلى قبول استغفار الملائكة وأنه سبحانه يزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور

إشارات

- عظمة الوحي تصل حداً تنشق السماء، فالسماوات التي بُنيت سبع طبقات ﴿...سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا...﴾ [سورة الملك: الآية ٣] وقد أُحكمت ﴿سَبْعًا شَدَادًا﴾ وهي في إحكامها يُضرب بها المثل، [سورة النبأ: الآية ١٢] ﴿وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾، هذه السماوات التي تحتوي على عشرات المجرات وفي كل مجرة منظومات مختلفة وفي كل منظومة كرات تصل بعضها إلى ملايين مضاعفة من حجم الأرض ولم يصل العلم البشري إلى أدنى إحاطة بها، تصاب بالتفطر من عظمة الوحي. [سورة النازعات: الآية ٢٧]

- ورد في سورة مريم: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾. [سورة مريم: الآيتان ٩٠-٩١]

- مضافاً إلى قيام الملائكة بتدبير نظام الوجود، فهي أيضاً تتكفل

بالدعاء لهذا الإنسان، فالملائكة الذين لا يرتكبون المعاصي، ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾، يستغفرون للمذنبين من العباد. فعلى المطهرين من الذنوب أن يكون في بالهم الدعاء للآخرين. نعم، استغفار الملائكة هو مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية على عباده؛ لأن الملائكة لا تقوم بعملٍ إلا بأمر من الله عز وجل. [سورة التحريم: الآية ٦]

- طبقاً لهذه الآية فإن الملائكة تدعو لأهل الأرض كافة ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾، وطبقاً للآية ٧ من سورة غافر فإن الملائكة يستغفرون للمؤمنين ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. والملفت أن هذا الاستغفار مشروط بشرط وهو أن يقوم المؤمنون بالاستغفار أيضاً ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾.

- لا شك في عفو الله عز وجل ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾؛ ففي الآية أكثر من نوع من أنواع التأكيد. (ألا، إن، هو، الجملة الاسمية، الغفور بدل غافر والألف واللام في الغفور).

- لقد أتم الله عز وجل الحجة على العباد، فجعل من الوحي سنة إلهية، ومن النبي واسطة الوحي ولياً للناس، ولكن الناس يذهبون في اتجاهات أخرى ﴿مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ﴾.

- جرت العادة في الآيات والروايات أن يذكر الحمد إلى جانب التسبيح ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، (سبحان ربي الأعلى وبحمده).

النعاليم

١ - إذا كانت السموات تتأثر بالوحي، فلماذا لا يتأثر بعض الناس بالوحي؟ ﴿يُوحَىٰ ... تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾.

٢ - من آداب الدعاء والاستغفار أن يبدأ الإنسان بالحمد والثناء والتسييح ﴿يُسَبِّحُونَ ... يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

٣ - دعاء الملائكة مستجاب ﴿يَسْتَغْفِرُونَ ... إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، (نعم فالدعاء في حق الآخرين مستجاب).

٤ - لا ينبغي لأي مسؤولية (حتى تدبير شؤون عالم الوجود) أن تحول دون الدعاء والاستغفار. (فالملائكة مع أن أمر تدبير عالم الوجود بيدهم، ولكنهم مشغولون على الدوام بالتسييح لله عز وجل والدعاء والاستغفار للإنسان) ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ... يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

٥ - يترتب على الاستغفار لطفان حتميان: المغفرة والرحمة ﴿يَسْتَغْفِرُونَ ... الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

٦ - لأن الوحي ينزل من السماء، وفي السماء يكون مسيره (سبع طرائق) فعند عبوره من كل سماء تكاد تلك السماء تتفطر [سورة المؤمنون: الآية ١٧] ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾.

٧ - الشرك مرفوض بكافة أشكاله وأبعاده ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾.

٨- على المشركين أن يعلموا أن ما يعتقدون به وما يعملونه قد حفظه الله عز وجل لهم ليحاسبهم به ﴿اللَّهُ حَفِیْظٌ عَلَیْهِمْ﴾.

٩- رفض الناس لا ينبغي أن يكون سبباً لتشيط العزيمة، بل لا بدّ للنبيّ من أن يقوم بما كُلف به ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَیْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

١٠- وظيفة النبيّ بيان الوحي، فإن ذهب الناس في اتّجاهات أخرى فلا شيء على النبيّ ﴿مَا أَنْتَ عَلَیْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

١١- كان النبيّ مهتماً ومتشوّقاً لهداية الناس ﴿مَا أَنْتَ عَلَیْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

١٢- مسؤوليّة النبي إرشاد الناس، وليس إجبارهم على قبول الحقّ ﴿مَا أَنْتَ عَلَیْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل

سورة الشورى

مكيّة وعدد آياتها ثلاث وخمسون آية «سورة الشورى»

نظرة عامة في محتوى السورة

إنّ إطلاق اسم «الشورى» على هذه السورة المباركة يعود إلى محتوى الآية (٣٨) منها والتي تدعو المسلمين إلى المشورة في أمورهم. ولكن بالإضافة إلى هذا الموضوع، وإلى ما تتضمنه السورة من

٣٣٨ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ٢

بحوث ومضامين السور المكية من بحث في المبدأ والمعاد، والقرآن والنبوة، فإنها تتناول قضايا أخرى يمكن الإشارة إليها باختصار بما يلي من نقاط:

القسم الأول: وهو أهم أقسام السورة، يشتمل البحث فيه على قضية الوحي الذي يمثل طريق ارتباط الأنبياء ﷺ بالله تبارك وتعالى.

والملاحظ أن هذا الموضوع يلقي بظلاله على جميع أجزاء السورة، فالسورة تبدأ بالإشارة إليه وتنتهي به أيضا.

وكامتداد لهذا الموضوع تثير السورة بحوثا حول القرآن ونبوة نبي الإسلام وبداية الرسالة منذ أيام نبي الله نوح ﷺ.

القسم الثاني: إشارات عميقة المعنى إلى دلائل التوحيد، وآيات الله في الآفاق والأنفس التي تكمل البحث في موضوع الوحي. وفي هذا القسم ثمة بحوث حول توحيد الربوبية.

القسم الثالث: في السورة إشارات إلى قضية المعاد ومصير الكفار في القيامة. وهو محدود قياسا إلى الأقسام الأخرى.

القسم الرابع: تشتمل السورة على مجموعة من البحوث الأخلاقية التي تعكسها السورة بشكل خاص ودقيق. فهي تدعو أحيانا إلى ملكات خاصة مثل الاستقامة والتوبة والعفو والصبر وإطفاء نار

الغضب.

وتنتهي في المقابل عن الرذيلة، والطغيان في مقابل النعم الإلهية، أو العناد وعبادة الدنيا، وكذلك تنهى عن الفزع والجزع عند ظهور المشاكل.

إنّ السورة تنطوي على مجموعة متكاملة من دروس الهدى هي في الواقع شفاء للصدور ومسالك نور في طريق الحق.

فضيلة تلاوة السورة

جاء في حديث عن رسول الله ﷺ قوله: «من قرأ سورة حم عسق كان ممن تصليّ عليه الملائكة، ويستغفرون له ويترحمون عليه».

وفي حديث آخر عن الصادق نقراً قوله عليه السلام «من قرأ حم عسق بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيقول: عبدي أدمنت قراءة حم عسق ولم تدر ما ثوابها، أمّا لو دريت ما هي وما ثوابها لما مللت من قراءتها، ولكن سأجزيك جزاءك، أدخلوه الجنة».

وعند ما يدخل الجنة يرفل بأنواع النعم الإلهية التي ذكرها الإمام الصادق في الحديث الأنف بشكل مفصل.

التفسير

تكاد السماوات يتفطرن!

٣٤٠ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ٢

مرة أخرى تواجهنا الحروف المقطّعة في مطلع السورة، وهي هنا تنعكس بشكل مفصل، إذ بين أيدينا خمسة حروف.

﴿حَمَّ﴾ موجودة في بداية سبع سور قرآنية (المؤمن، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، والأحقاف) ولكن في سورة الشورى أضيف إليها مقطع عسق.

وقد ذكرنا مرارا أنّ للمفسّرين آراء وبحوثا كثيرة حول هذه الحروف، يحملها صاحب مجمع البيان العلامة الطبرسي في أحد عشر قولاً، وقد ذكرنا أهم تلك الأقوال في مطلع الحديث عن سور: البقرة، آل عمران، والأعراف، ومريم، وغرضنا الطرف عن غير المهم منها. * ونذكر الآن بعضاً لا بأس به من هذه الأقوال بالرغم من عدم قيام دليل قاطع على صحتها.

فمنها قولهم أنّ هذه الحروف جاءت كأسلوب للفت أنظار الناس إلى القرآن، لأنّ المشركين والمعاندين كانوا قد تواصوا فيما بينهم على عدم استماع آيات الله، خاصّة عندما كان رسول الله يقرؤها عليهم، إذ كانوا يثيرون الضوضاء، لذلك جاءت الحروف المقطّعة (في ٢٩ سورة قرآنية) لتكون أسلوباً جديداً في جلب الانتباه.

وقد ذكر العلامة الطباطبائي احتمالاً آخر يمكن أن نضيفه إلى ما استخلصه العلامة الطبرسي من الأقوال الأحد عشر ليكون المجموع

اثنا عشر تفسيراً.

وما ذكره العلامة الطباطبائي وإن كان مثله مثل غيره من الأقوال مما لم يقيم الدليل القاطع عليه، إلا أنه من المفيد أن نستعرضه بإيجاز.

يقول العلامة الطباطبائي: «إنك إن تدبرت بعض التدبر في هذه السور التي تشترك في الحروف المفتحة بها مثل الميمات والراءات والطواسين والحواميم، وجدت في السور المشتركة في الحروف من تشابه المضامين، وتناسب السياقات ما ليس بينها وبين غيرها من السور».

«ويؤكد ذلك ما في مفتتح أغلبها من تقارب الألفاظ، كما في مفتتح الحواميم من قوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾ أو ما هو في معناه، وما في مفتتح الراءات من قوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ أو ما في معناه، ونظير ذلك في مفتتح الطواسين، وما في مفتتح الميمات من نفي الريب عن الكتاب أو ما هو في معناه».

«ويمكن أن يحدس من ذلك أن بين هذه الحروف المقطعة وبين مضامين السور المفتحة بها ارتباطاً خاصاً، ويؤيد ذلك ما نجده في سورة الأعراف المصدرة بـ «المص» في مضمونها كأنها جامعة بين مضامين الميمات و ص [أي ما افتتح بـ ﴿الْم﴾ و ﴿ص﴾] وكذا سورة الرعد المصدرة بـ ﴿الْمَر﴾ في مضمونها كأنها جامعة بين مضامين

الميمات والراءات».

(ولعلّ المتدبر لو تدبر في مشتركات هذه الحروف، وقايس مضامين السور التي وقعت فيها بعضها إلى بعض، لتبيّن له الأمر أزيد من ذلك».

وثمة تفسير آخر أشرنا إليه سابقا، وهو احتمال أن تكون هذه الحروف إشارات ورموزا لأسماء الخالق ونعمه وقضايا أخرى.

مثلا، في السورة التي نببحثها اعتبروا الحاء إشارة إلى الرحمن، والميم إلى المجيد، والعين إلى العليم، والسين إلى القدوس، والقاف إلى القاهر.

يعترض البعض على هذا الكلام بقولهم: لو كان المقصود من الحروف المقطعة أن لا يعلم بها الآخرون فإن ذلك غير صحيح، لأنّ هناك آيات أخرى تصرّح بأسماء الله، ولكن يجب الانتباه إلى أنّ الرموز والإشارات لا تعني دائما أن يبقى الموضوع أو المعنى سرّيا، بل قد تكون أحيانا علامة للاختصار، وهذا الأمر كان موجودا سابقا، وهو مشهور في عصرنا الراهن، بحيث أنّ أسماء العديد من المؤسسات والمنظمات الكبيرة، تكون على شكل مجموعة مختصرة من الحروف المقطّعة التي يرمز كلّ منها إلى جزء من الاسم الأصيل.

بعد الحروف المقطّعة نتحدث الآية الكريمة عن الوحي، فتقول:

﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿كَذَلِكَ﴾ إشارة إلى محتوى السورة ومضامينها.

ومصدر الوحي واحد، وهو علم الله وقدرته، ومحتوى الوحي في الأصول والخطوط العريضة واحد أيضا بالنسبة لجميع الأنبياء والرسالات، بالرغم من أن هناك خصوصيات بين دعوة نبي وآخر بحسب حاجة الزمان والمسيرة التكاملية للبشر.

وضروري أن نشير إلى أن الآيات التي نببحثها أشارت إلى سبع صفات من صفات الله الكمالية، لكل منها دور في قضية الوحي بشكل معين، ومن ضمنها الصفتان اللتان نقرأهما في هذه الآية: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

فجزته تعالى وقدرته المطلقة تقتضي سيطرته على الوحي ومحتواه العظيم.

وحكمته تستوجب أن يكون الوحي الإلهي حكيما متناسقا مع حاجات الإنسان التكاملية في جميع الأمور والشؤون.

وتعبير ﴿يُوحَى﴾ دليل على استمرار الوحي منذ خلق الله آدم عليه السلام حتى عصر النبي الخاتم صلوات الله وسلامته عليه لأن الفعل المضارع يفيد الاستمرار.

قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.

إنَّ مالكيته تعالى لما في السماء والأرض تستوجب ألا يكون غريبا عن مخلوقاته وما يؤول إليه مصيرها، بل يقوم بتدبير أمورها وحاجاتها عن طريق الوحي، وهذه هي الصفة الثالثة من الصفات السبع.

أَمَّا ﴿الْعَلِيِّ﴾ و﴿الْعَظِيمِ﴾ اللذان هما رابع وخامس صفة له (سبحانه وتعالى) في هذه الآيات، فهما يشيران إلى عدم حاجته لأي طاعة أو عبودية من عباده، وإنما قام تعالى بتدبير أمر العباد عن طريق الوحي من أجل أن ينعم على عباده.

الآية التي بعدها تضيف: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ وذلك بسبب نزول الوحي من قبل الله، أو بسبب التهم الباطلة التي كان المشركون والكفار ينسبونها إلى الذات المقدسة ويشركون الأصنام في عبادته. ويتضح ممَّا سلف أن للجمله معنيين:

الأول: أنها تختص بموضوع الوحي الذي هو حديث الآيات السابقة، وهو في الواقع يشبه ما جاء في الآية (٢١) من سورة ﴿الْحُشْرِ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.

إنَّه كلام الله الذي يزلزل السماوات عند نزوله وتكاد تتلاشى، فلو أنه نزل على الجبال لتصدّعت، لأنَّه كلام عظيم من خالق حكيم.

والويل لقلب الإنسان، فهو الوحيد الذي لا يلين ولا يستسلم،

ويصر على عناده وتكبره.

التفسير الثاني: أن السماوات تكاد تتفطر وتتلاشى بسبب شرك المشركين وعبادتهم للأصنام من دون الله، بل هم يساوون بين أدنى الكائنات والموجودات وبين المبدأ العظيم خالق الكون جلّ وعلا.

التفسير الأول يناسب الآيات التي نبحتها والتي تنصب حول الوحي والتفسير الثاني يناسب ما نقرأه في الآيتين (٩٠، ٩١) من سورة ﴿مَرْيَمَ﴾ حيث يقول تعالى بعد أن يذكر قول الكفار - وقبح قولهم - باتخاذهم ولداً «!!»: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۖ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾

ومن الواضح أن ليس ثمة تعارض بين التفسيرين.

أمّا عن كيفية انفطار السماوات وانهدام الجبال وهي موجودات جامدة، فقد ذكروا كلاماً وأقوالاً متعددة في الموضوع تعرضنا لها في نهاية حديثنا عن الآيتين المذكورتين من سورة مريم.

وإذا أردنا أن نقف على استخلاص عام لما قلناه هناك، فيمكن أن نلاحظ أن مجموعة عالم الوجود من جماد ونبات وغير ذلك لها نوع من العقل والشعور، بالرغم من عدم إدراكنا له، وهم على هذا الأساس يسبحون الله ويحمدونه، ويخضعون له ويخشعون لكلامه.



الفصل الثامن

الآيتان اللتان وردَ فيهما لفظ (يَسْبَحُونَ)

الآية الثلاثون

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]

الليل

الله جلّ وعلا ذكر الليل في القرآن العزيز في خمس وستين آية كريمة،^(١) ومن تأمل وتدبر في تلك الآيات الشريفة وجدها تدور وتتمحور حول أمرين أساسيين وهما: توحيد الله ومنافع الليل.^(٢)

الأمر الأول: الليل وتوحيد الله

دلالة تلك الآيات الكريمة على توحيد الله ومعرفته وبدائع حكمته وهيمنته على الكون بأسره.

(١) وفق ما ورد في التطبيق الإلكتروني للقرآن الكريم.

(٢) إن هذه الآية الكريمة ليست من آيات التسييح ولكن ما من شيء من مخلوقات الله سبحانه وتعالى إلا ويسبح لله والليل من خلق الله جلّ وعلا.

وذلك يُشكل منظومة عقائدية من طرح القرآن في مختلف الظواهر الكونية من سدول الظلام وبداية الليل حتى نهايته، والحساب وغيرها من أسرار، تحدثت تلك الآيات الكريّيات بمنطوقها ومفهومها عن أمور كثيرة لا يمكن حصرها.

الأمر الثاني: منافع الليل

الليل إصطلاحاً هو: "المسافة الزمنية بين غروب الشمس وطلوعها أو طلوع الفجر" (١)

ومنافع الليل كثيرة منها ما يتعلق بالعقل وهو تأمل في آية الليل وهذا دلالة بأنّ هناك مُتصرف في هذه الظاهرة الكونية، ومن منافع الجانب العبادي مثل: قيام الليل والاستغفار والتهجد وترتيل القرآن الكريم والدعاء والتسبيح لله جلّ جلاله وعلا سُبْحانه.. إلخ.

لهذا جاءت آيات بالثناء على الرسول ﷺ لقيامه الليل وأهل البيت ﷺ لاهتمامهم بالجانب العبادي ليلاً، ومن منافع الليل كذلك السكن والراحة وأمور كثيرة نستقيها من الآيات المجيدة التالية:

١ - قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

(١) من أمالي الإمام الصادق عليه السلام، محمد الخليجي، ج ٣، ٣٤.

- ٢- قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].
- ٣- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].
- ٤- قال تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [آل عمران: ٢٧].
- ٥- قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتُلُونَ آيَاتِ اللَّهِ عَنَاءً لِّلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].
- ٦- قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].
- ٧- قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١٣].
- ٨- قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠].
- ٩- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦].
- ١٠- قال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].
- ١١- قال تعالى: ﴿يُعْشَىٰ اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤].

١٢- قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦].

١٣- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧].

١٤- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [يونس: ٦٧].

١٥- قال تعالى: ﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: ٨١].

١٦ قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

١٧- قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣].

١٨- قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

١٩- قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [ابراهيم: ٣٣].

٢٠- قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٥].

٢١- قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢].

٢٢- قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].

٢٣- قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

٢٤- قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

٢٥- قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠].

٢٦- قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠].

٢٧- قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

٣٥٤ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ٢

٢٨- قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

٢٩- قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١].

٣٠- قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٠].

٣١- قال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٤].

٣٢- قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧].

٣٣- قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

٣٤- قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٦].

٣٥- قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الفصص: ٧١].

٣٦- قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا

فِيهِ ﴿[القصص: ٧٣].

٣٧- قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الروم: ٢٣].

٣٨- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [لقمان: ٢٩].

٣٩- قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣].

٤٠- قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

٤١- قال تعالى: ﴿وَعَايَةُ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧].

٤٢- قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

٤٣- قال تعالى: ﴿وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٨].

٤٤- قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر: ٥].

٣٥٦ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ٢

٤٥ - قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ عَآنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ
الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

٤٦ - قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [غافر: ٦١].

٤٧ - قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا
تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

٤٨ - قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ
بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

٤٩ - قال تعالى: ﴿وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ﴾ [الحاثية: ٥].

٥٠ - قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ فَسَّيْحُهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠].

٥١ - قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذريات: ١٧].

٥٢ - قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ فَسَّيْحُهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩].

٥٣ - قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ

عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿[الحديد: ٦].

٥٤ - قال تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ٢].

٥٥ - قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٦].

٥٦ - قال تعالى: ﴿*إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [المزمل: ٢٠].

٥٧ - قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣].

٥٨ - قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الانسان: ٢٦].

٥٩ - قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ: ١٠].

٦٠ - قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير: ١٧].

٦١ - قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق: ١٧].

٦٢ - قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ﴾ [الفجر: ٤].

٦٣ - قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الشمس: ٤].

٦٤ - قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١].

٦٥ - قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ٢].

بعد ما تقدم من فوائد نتقل إلى حديقة علماء التفسير لجني ثمار هذه الآية المباركة:

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان

بيان

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الآية ظاهرة في إثبات الفلك لكل من الليل وهو الظل المخروطي الملازم لوجه الأرض المخالف للامسته الشمس، والنهار وهو خلاف الليل، وللشمس والقمر فالمراد بالفلك مدار كل منها.

والمراد مع ذلك بيان الأوضاع والأحوال الحادثة بالنسبة إلى الأرض وفي جوها وإن كانت حال الأجرام الأخر على خلاف ذلك فلا ليل ولا نهار يقابله للشمس وسائر الثوابت، التي هي نيرة بالذات وللقمر وسائر السيارات الكاسبة للنور من الليل والنهار غير ما لنا.

وقوله: ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ من السبح بمعنى الجري في الماء بخرقه قيل وإنما قال:

يسبحون لأنه أضاف إليها فعل العقلاء كما قال: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَايَتْهُم لِيَ سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

بحث روائي

في المحاسن، بإسناده عن يونس رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ليس من باطل يقوم بإزاء حق - إلا غلب الحق الباطل وذلك قول الله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾.

وفيه، بإسناده عن أيوب بن الحر قال قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أيوب ما من أحد إلا وقد يرد عليه الحق - حتى يصدع قلبه قبله أم تركه - وذلك أن الله يقول في كتابه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾.

أقول: والروايتان مبنيتان على تعميم الآية.

وفي العيون، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في هاروت وماروت في حديث: أن الملائكة معصومون - محفوظون عن الكفر والقبائح بألطف الله تعالى - قال الله تعالى فيهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ وقال عليه السلام: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ - يعني الملائكة - لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾.

وفي نهج البلاغة، قال عليه السلام في وصف الملائكة: ومسبحون لا يسأمون، ولا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان.

أقول: وبه يضعف ما في بعض الروايات أن الملائكة ينامون كما في كتاب كمال الدين بإسناده عن داوود بن فرقد عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله: أنه سئل عن الملائكة أينامون؟ فقال: ما من حي إلا وهو ينام خلا الله وحده: فقلت: يقول الله عز وجل: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾؟ قال: أنفاسهم تسبيح.

على أن الرواية ضعيفة.

وفي التوحيد، بإسناده عن هشام بن الحكم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما الدليل على أن الله واحد؟ قال: اتصال التدبير وتمام الصنع كما قال عز وجل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

أقول: وهو يؤيد ما قدمناه في تقرير الدليل.

وفيه، بإسناده عن عمرو بن جابر قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: يا بن رسول الله - إنا نرى الأطفال منهم من يولد ميتاً، ومنهم من يسقط غير تام، ومنهم من يولد أعمى وأخرس وأصم، ومنهم من يموت من ساعته إذا سقط إلى الأرض، ومنهم من يبقى إلى الاحتلام، ومنهم من يعمر حتى يصير شيخاً فكيف ذلك وما وجهه؟

فقال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى - أولى بما يدبره من أمر خلقه منهم - وهو الخالق والمالك لهم فمن منعه التعمير - فإنما منعه ما ليس

له، ومن عمره فإنما أعطاه ما ليس له - فهو المتفضل بما أعطى - وعادل فيما منع ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

قال جابر: فقلت له: يا بن رسول الله - وكيف لا يسأل عما يفعل؟ قال: لأنه لا يفعل إلا ما كان حكمة وصوابا، وهو المتكبر الجبار والواحد القهار، فمن وجد في نفسه حرجا في شيء مما قضى كفر - ومن أنكر شيئا من أفعاله جحد.

أقول: وهي رواية شريفة تعطي أصلا كلياً في الحسنات والسيئات وهو أن الحسنات أمور وجودية تستند إلى إعطائه وفضله تعالى، والسيئات أمور عدمية تنتهي إلى عدم الإعطاء لما لا يملكه العبد. وما ذكره ﷺ أنه تعالى أولى بما لعبده منه وجهه أنه تعالى هو المالك لذاته والعبد إنما يملك ما يملك بتمليك منه تعالى وهو المالك لما ملكه وملك العبد في طول ملكه.

وقوله: «لأنه لا يفعل إلا ما كان حكمة وصوابا» إشارة إلى التقريب الأول الذي قدمناه، وقوله: «وهو المتكبر الجبار والواحد القهار» إشارة إلى التقريب الثاني الذي أوردناه في تفسير الآية.

وفي نور الثقلين، عن الرضا ﷺ قال: قال الله تبارك وتعالى: يا بن آدم بمشييتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوتي أديت إلي فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي - جعلتك سميعا بصيرا قويا -

٣٦٢ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

ما أصابك من حسنة فمن الله - وما أصابك من سيئة فمن نفسك -
وذلك أني أولى بحسناتك منك - وأنت أولى بسيئاتك مني - وذلك أني
لا أسأل عما أفعل وهم يسألون.

وفي المجمع،: في قوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي﴾ -
قال أبو عبد الله عليه السلام: يعني بذكر من معي ما هو كائن - وبذكر من
قبلي ما قد كان.

وفي العيون، بإسناده إلى الحسين بن خالد عن علي بن موسى الرضا
عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من
لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا
أناله الله شفاعتي، ثم قال عليه السلام:

إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي - فأما المحسنون فما عليهم من
سبيل.

قال الحسين بن خالد: فقلت للرضا عليه السلام: يا بن رسول الله - فما
معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ قال: لا يشفعون
إلا لمن ارتضى الله دينه.

وفي الدر المنثور، أخرج الحاكم وصححه والبيهقي في البعث عن
جابر: أن رسول الله ﷺ تلا قول الله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ
ارْتَضَى﴾ - فقال: إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي.

وفي الاحتجاج، وروي: أن عمرو بن عبيد وفد على محمد بن علي الباقر عليه السلام: لامتحانه بالسؤال عنه - فقال له: جعلت فداك ما معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ - ما هذا الرق والفتق؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: كانت السماء رتقا لا تنزل القطر - وكانت الأرض رتقا لا تخرج النبات - ففتق الله السماء بالقطر وفتق الأرض بالنبات - فانقطع عمرو بن عبيد ولم يجد اعتراضا ومضى.

أقول: وروي هذا المعنى في روضة الكافي عنه عليه السلام بطريقتين.
وفي نهج البلاغة، قال عليه السلام: وفتق بعد الارتقاق صوامت أبوابها.

ثانياً: وفقاً لتفسير النور إشارات

* الليل كما النهار مخلوقان ومجعلان من قبل الله تعالى، من قبيل قوله عز وجل في الآية الشريفة ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [سورة الملك: الآية ٢]، أي أن الموت كما الحياة لهما وجود مخلوق من قبل الله تعالى.

* ذكرت احتمالات عدة في كلمة ﴿كُلُّ﴾ في هذه الآية:

أ. ليست الشمس والقمر في حركة فحسب؛ بل كل الأجرام السماوية متحركة أيضاً.

ب. كل طلوع للشمس والقمر يختلف موقعه عن غيره من

الطلوعات.

ج. الليل والنهار في حركة أيضاً كما هو حال الشمس والقمر؛ لأن الليل، وهو الظل المخروطي للأرض، له مدار خاص فإذا نظر إليه الإنسان من بعيد، من خارج الكرة الأرضية، فسيرى أن هذا الظل المخروطي في حركة مستمرة حول الأرض، وسيرى نور الشمس الذي يشع على الأرض مشكلاً النهار كالأسطوانة التي تنتقل دائماً حول هذه الكرة، وبناء على هذا فإن لكل من الليل والنهار مداراً خاصاً به.

النعاليم

١. أفضل طريق لمعرفة الله التفكير في مخلوقاته، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ﴾؛ لأن الطبيعة في مرأى كل الناس واختيارهم.
٢. لكل من الكواكب والنجوم فلك يتحرك ويسبح فيه، ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾.

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل

علامات أخرى لله في عالم الوجود

تعقيبا على البحوث السابقة حول عقائد المشركين الخرافية، والأدلة التي ذكرت على التوحيد، فإن في هذه الآيات سلسلة من براهين الله في عالم الوجود، وتدبيره المنظم، وتأكيداً على هذه البحوث

تقول أولاً: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا^ط وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾.

لقد ذكر المفسرون أقوالاً كثيرة فيما هو المراد من «الرتق» و«الفتق» المذكورين هنا في شأن السماوات والأرض؟ ويبدو أن الأقرب من بينها ثلاثة تفاسير، ويحتمل أن تكون جميعاً داخلية في مفهوم الآية.

١ - إن رتق السماء والأرض إشارة إلى بداية الخلقة، حيث يرى العلماء أن كل هذا العالم كان كتلة واحدة عظيمة من البخار المحترق، وتجزأ تدريجياً نتيجة الانفجارات الداخلية والحركة، فتولدت الكواكب والنجوم، ومن جملتها المنظومة الشمسية والكرة الأرضية، ولا يزال العالم في توسع دائم.

٢ - المراد من الرتق هو كون مواد العالم متحدة، بحيث تداخلت فيما بينها وكانت تبدو وكأنها مادة واحدة، إلا أنها انفصلت عن بعضها بمرور الزمان، فأوجدت تركيبات جديدة، وظهرت أنواع مختلفة من النباتات والحيوانات والموجودات الأخرى في السماء والأرض، موجودات كل منها نظام خاص وآثار وخواص تختص بها، وكل منها آية على عظمة الله وعلمه وقدرته غير المتناهية.

٣ - إن المراد من رتق السماء هو أنها لم تكن تمطر في البداية، والمراد من رتق الأرض أنها لم تكن تنبت النبات في ذلك الزمان، إلا أن الله

سبحانه فتق الاثنين، فأنزل من السماء المطر، وأخرج من الأرض أنواع النباتات. والروايات المتعددة الواردة عن طرق أهل البيت عليهم السلام تشير إلى المعنى الأخير، وبعضها يشير إلى التفسير الأول.

لا شك أن التفسير الأخير شيء يمكن رؤيته بالعين، وكيف أن المطر ينزل من السماء، وكيف تنفق الأرض وتنمو النباتات، وهو يناسب تماما قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وكذلك ينسجم وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾. إلا أن التفسيرين الأول والثاني أيضا لا يخالفان المعنى الواسع لهذه الآية، لأن الرؤية تأتي أحيانا بمعنى العلم. صحيح أن هذا العلم والوعي ليس للجميع، بل إن العلماء وحدهم الذين يستطيعون أن يكتسبوا العلوم حول ماضي الأرض والسماء، واتصاهما ثم انفصاهما، إلا أننا نعلم أن القرآن ليس كتابا مختصا بعصر وزمان معين، بل هو مرشد ودليل للبشر في كل القرون والأعصار.

من هذا يظهر أن له محتوى عميقا يستفيد منه كل قوم وفي كل زمان، ولهذا نعتقد أنه لا مانع من أن تجتمع للآية التفاسير الثلاثة، فكل في محله كامل وصحيح وقد قلنا مرارا: إن استعمال لفظ واحد في أكثر من معنى ليس جائزا فحسب، بل قد يكون أحيانا دليلا على كمال الفصاحة، وإن ما نقرؤه في الروايات من أن للقرآن بطونا مختلفة يمكن أن يكون إشارة إلى هذا المعنى.

وأما فيما يتعلق بإيجاد كلّ الكائنات الحيّة من الماء الذي أشير إليه في ذيل الآية، فهناك تفسيران مشهوران:

أحدهما: إنّ حياة كلّ الكائنات الحيّة - سواء كانت النباتات أم الحيوانات - ترتبط بالماء، هذا الماء الذي كان مبدؤه - المطر الذي نزل من السماء.

والآخر: إنّ الماء هنا إشارة إلى النطفة التي تتولّد منها الكائنات الحيّة عادة.

وما يلفت النظر أنّ علماء عصرنا الحديث يعتقدون أنّ أوّل انبثاق للحياة وجدت في أعمال البحار، وذلك يرون أنّ بداية الحياة من الماء. وإذا كان القرآن يعتبر خلق الإنسان من التراب، فيجب أن لا ننسى أنّ المراد من التراب هو الطين المركّب من الماء والتراب.

والجدير بالذكر أيضا أنّه طبقا لتحقيقات العلماء، فإنّ الماء يشكّل الجزء الأكبر من بدن الإنسان وكثير من الحيوانات، وهو في حدود ٧٠٪! وما يورده البعض من أنّ خلق الملائكة والجنّ ليس من الماء، مع أنّها كائنات حيّة، فجوابه واضح، لأنّ المراد هو الموجودات الحيّة المحسوسة بالنسبة لنا. وفي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ رجلا سأله: ما طعم الماء؟ فقال الإمام أوّلا: «سل تفقّها ولا تسأل تعتّا» ثمّ أضاف: «طعم الماء طعم الحياة»! قال الله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ

كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴿٢٠﴾.

وخاصة عند ما يصل الإنسان إلى الماء السائغ بعد عطش طويل في الصيف، وفي ذلك الهواء المحرق، فإنه حينما تدخل أول جرعة ماء إلى جوفه يشعر أن الروح قد دبّت في بدنه، وفي الواقع أراد الإمام أن يجسّد الارتباط والعلاقة بين الحياة والماء بهذا التعبير الجميل.

وأشارت الآية التالية إلى جانب آخر من آيات التوحيد ونعم الله الكبيرة، فقالت: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ وقلنا فيما مضى: إنّ الجبال كالدرع الذي يحمي الأرض، وهذا هو الذي يمنع - إلى حدّ كبير - من الزلازل الأرضية الشديدة التي تحدث نتيجة ضغط الغازات الداخلية. إضافة إلى أنّ وضع الجبال هذا يقلّل من حركات القشرة الأرضية أمام ظاهرة المدّ والجزر الناشئة بواسطة القمر إلى الحدّ الأدنى.

ومن جهة أخرى فلو لا الجبال، فإنّ سطح الأرض سيكون معرضاً للرياح القويّة دائماً، وسوف لا تستقرّ على حال أبداً، كما هي حال الصحاري المقفرة المحرقة.

ثمّ أشارت الآية إلى نعمة أخرى، وهي أيضاً من آيات عظمة الله، فقالت:

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

ولو لم تكن هذه الوديان والفجاج، فإنّ سلاسل الجبال العظيمة الموجودة في المناطق المختلفة من الأرض كانت ستنفصل بعضها عن بعض بحيث ينفصل ارتباطها تماما، وهذا يدلّ أنّ هذه الظواهر الكونية كلّها وفق حساب دقيق.

ولمّا كان استقرار الأرض لا يكفي لوحده لاستقرار حياة الإنسان، بل يجب أن يكون آمنا ممّا فوقه، فإنّ الآية التالية تضيف: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾.

المراد من السماء هنا- كما قلنا سابقا- هو الجوّ الذي يحيط بالأرض دائما، وتبلغ ضخامته مئات الكيلومترات كما توصّل إليه العلماء وهذه الطبقة رقيقة ظاهرا، وتتكوّن من الهواء والغازات، وهي محكمة ومنيعة إلى الحدّ الذي لا ينفذ جسم من خارجها إلى الأرض إلّا ويفنى ويتحطّم، فهي تحفظ الكرة الأرضية من سقوط الشهب والنيازك «ليل نهار» التي تعتبر أشدّ خطرا حتى من القذائف العسكرية.

إضافة إلى أنّ هذا الغلاف الجوي يقوم بتصفية أشعة الشمس التي تحتوي على أشعة قاتلة وتمنع من نفوذ تلك الأشعة الكونية القاتلة.

أجل، إنّ هذه السماء سقّف متين منيع حفظه الله من الهدم والسقوط.

وتطرّقت الآية الأخيرة إلى خلق الليل والنهار والشمس والقمر،

فقلت:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

جئان

١- تفسير قوله تعالى: [كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ].

اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية، أمّا ما يناسب تحقيقات علماء الفلك الثابتة، فهو أنّ المراد من حركة الشمس في الآية إمّا الدوران حول نفسها، أو حركتها ضمن المنظومة الشمسية.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ كلمة (كل) يمكن أن تكون إشارة إلى الشمس والقمر، وكذلك النجوم، والتي تستفاد من كلمة ﴿اللَّيْلَ﴾.

واحتمل بعض المفسرين أن تكون إشارة إلى كلّ من الليل والنهار والشمس والقمر، لأنّ «الليل» -والذي هو الظل المخروطي للأرض- له مدار خاص، فإذا نظر إنسان -خارج الكرة الأرضية- من بعيد إليه، فيسرى أنّ هذا الظل المخروطي في حركة مستمرة حول الأرض، وسيرى نور الشمس الذي يشعّ على الأرض ويشكّل في النهار كالأسطوانة التي تنتقل دائماً حول هذه الكرة، وبناء على هذا فإنّ لكلّ من الليل والنهار مداراً ومكاناً خاصاً به.

ويحتمل أيضاً أن يكون المراد من حركة الشمس حركتها في

إحساسنا، لأنّ كلاً من الشمس والقمر في دوران مستمر في نظر الناظرين من أهل الأرض..

٢- السّماء سقف محكم

قلنا فيما مضى: إنّ (السّماء) وردت في القرآن بمعان مختلفة، فجاءت تارة بمعنى الجو، أيّ الطبقة الضخمة من الهواء (الغلاف الغازي) الذي يحيط بالأرض، كآية أنفة الذكر. ولا بأس أن نسمع هنا توضيحاً أكثر حول إحكام هذا السقف العظيم من لسان العلماء:

كتب (فرانك ألن) أستاذ الفيزياء الحياتية يقول: إنّ الجو الذي يتكوّن من الغازات التي تحفظ الحياة على سطح الأرض ضخّم إلى الحدّ الذي يستطيع أن يكون كالدرع الذي يحفظ الأرض من شرّ المجموعة القاتلة المتكوّنة من عشرين مليون شهاب سماوي تسير بسرعة ٥٠ كيلومتر في الثانية لتتساقط يومياً على الأرض.

إنّ الغلاف الجوي إضافة إلى فوائده الأخرى، فإنّه يحفظ درجة الحرارة على سطح الأرض في حدود مناسبة تساعد على الحياة، وهو ذخيرة مهمّة جدّاً لنقل الماء والبخار من المحيطات إلى اليابسة، ولو لم يكن كذلك لكانت كلّ القارات صحاري يابسة لا يمكن الحياة فيها، وعلى هذا فيجب القول بأنّ المحيطات والغلاف الجوي هي التي تحفظ للأرض توازنها وثباتها في مدارها.

إنّ وزن بعض هذه الشهب التي تسقط على الأرض يبلغ جزءاً من

ألف من الغرام، إلّا أنّ قوته نتيجة تلك السرعة الخارقة يعادل قوّة الأجزاء الذرية التي في القنبلة المخربة! وقد يكون حجم تلك الشهب بمقدار ذرّة الرمل أحياناً! في كلّ يوم تحترق ملايين من هذه الشهب قبل وصولها إلى سطح الأرض، أو تتحوّل إلى بخار، إلّا أنّ حجم ووزن بعض الشهب كبير إلى حدّ تحترق معه الغلاف الجوي وتصيب سطح الأرض.

ومن جملة الشهب التي عبرت الغلاف الغازي ووصلت إلى الأرض، هو الشهاب العظيم المعروف ب (سيبري)، والذي أصاب الأرض سنة ١٩٠٨ وكان قطره بشكل أنّه شغل مكاناً من الأرض بمقدار (٤٠) كيلومتر تقريباً وسبّب خسائر كبيرة.

والشهاب الآخر الذي سقط في (أريزونا) في أمريكا، والذي كان بقطر كيلومتر واحد وعمق (٢٠٠) متر، أحدث عند سقوطه على الأرض حفرة عميقة فيها، وتولّدت منه شهب صغيرة كثيرة نتيجة انفجاره شغلت مساحة كبيرة نسبياً من الأرض.

ويكتب (كرسي موريسن): إنّ الهواء المحيط بالأرض لو كان أقل قليلاً ممّا عليه، فإنّ الأجرام السماوية والشهب الثاقبة التي ترده بمقدار عدّة ملايين شهاب في اليوم، وتتلأشى في الفضاء الخارجي، فإنّها كانت تصل إلى الأرض دائماً وتصيبها.

إنّ هذه الأجرام الفلكيّة تتحرّك بسرعة ٦ - ٤٠ ميلا في الثّانية! وهي تنفجر وتحترق عند اصطدامها بأي شيء، ولو كانت سرعة هذه الأجرام أقلّ ممّا هي عليه - مثلاً بسرعة الطلقة - فإنّها كانت تسقط على الأرض جميعاً، ويتّضح مقدار تدميرها فيما لو أنّ إنساناً تعرّض لسقوط أصغر جرم من هذه الأجرام السماوية عليه، فإنّها كانت ستمزّقه إرباً إرباً وتفنيه لشدّة حرارتها، لأنّها تتحرّك بسرعة تعادل سرعة الطلقة (٩٠) مرّة! إنّ سمك الهواء المحيط بالأرض يبلغ مقداراً يسمح أن يمرّ من خلاله إلى الأرض المقدار اللازم من الأشعّة الكونية لنمو النباتات، ويقتل كلّ الجراثيم المضرة في ذلك الفضاء، ويوجد الفيتامينات المفيدة.

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

١ - ابن عباس رحمه الله عليه: يَسْبَحُونَ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ.

الآية الحادية والثلاثون

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]

الشمس

هذه الآية الكريمة ليست من آيات التسييح الخاصة، إنما أوردناها وفق ما نص عليه تطبيق الباحث القرآني الإلكتروني، ومما لا شك فيه ما من شيء إلا ويسبحُ الله جلَّ وعلا.

القرآن الكريم والأحاديث الشريفة أعطت أبعادًا متعددة عن الشمس وأهميتها الكونية نورد الآيات الكريمة التي تضمنت هذه المخلوقة الكونية "الشمس" والبالغ عددها ثلاثين آية:

١ - قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ

الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿البقرة: ٢٥٨﴾

٢- قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الأنعام: ٧٨]

٣- قال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]

٤- قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]

٥- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥]

٦- قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]

٧- قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَلَهَا﴾ [الشمس: ١]

٨- قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ

الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿الرعد: ٢﴾

٩- قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣]

١٠ قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]

١١- قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]

١٢- قال تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ [الكهف: ١٧]

١٣- قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦]

١٤- قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠]

١٥- قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ عَآئَايِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠]

١٦- قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ

فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]

١٧- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي

الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨]

١٨- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ

سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٥]

١٩- قال تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ

الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]

٢٠- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي

اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٩]

٢١- قال تعالى: ﴿يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ

الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]

٢٢- قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ

الْعَلِيمِ ﴿[يس: ٣٨]

٢٣- قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ
سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]

٢٤- قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى
النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ
مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر: ٥]

٢٥- قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا
تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]

٢٦- قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]

٢٧- قال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]

٢٨- قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾
[نوح: ١٦]

٢٩- قال تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩]

٣٠- قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]

بعد التأمل في الآيات الكريمة، للباحثين دراسات متعددة حول

الشمس من علماء التفسير والشرعة وهم الفقهاء وعلماء الكلام وعلماء المعارف الإسلامية وغيرهم وإيكم ما جاء في "كتاب نفحات القرآن للشيخ ناصر مكارم الشيرازي" ^(١) حول هوية الشمس والبركات العظيمة لها:

١- هوية الشمس

لقد اتضح لنا اليوم تقريباً أنّ الشمس عبارة عن كرة، وأنها أكبر من الأرض بمليون وثلاث مئة ألف مرة، أي لو كانت الشمس مقعرة الوسط لكان من الممكن أن تستوعب مليوناً وثلاث مئة ألف كرة أرضية! وتوضح هذه العظمة المذهلة من خلال التأمل في قطر الشمس عند الوسط الذي يقرب من (مليون وأربع مئة ألف كيلو متر).

وتبلغ الفاصلة بيننا وبينها ١٥٠ مليون كيلومتر تقريباً، وأن نورها الذي يقطع طريقه بسرعة ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية يصل إلينا خلال ٨ دقائق تقريباً.

إنّ جرم الشمس العظيم يؤدي إلى زيادة وزن الأشياء فيها، فمثلاً إنّ الإنسان الذي يبلغ وزنه ٦٠ كيلو غراماً على سطح الأرض سيكون وزنه ١٥٠٠ كغم فيما إذا كان على سطح الشمس!.

لقد قدّر العلماء وزن الشمس بما يعادل:

(١) كتاب نفحات القرآن النسخة الإلكترونية، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج ٢ ص ١٥٨-١٦٢.

الأرض ليس أكثر من ١٢ ألف كيلو متر).

إنَّ هذه الحرارة لا تحصل بسبب الاحتراق، وإلاَّ لو كان جرم الشمس قد صُنِعَ من الفحم الحجري الخالص لانتَهت تماماً على مدى عدةِ آلاف من السنين كما يقول «جورج غاموف» في كتاب «تكوُّن وموت الشمس»، ولا يبقى شيء سوى الرماد . فالحقيقة أنَّ مفهوم الاحتراق لا يصدِّقُ بخصوص الشمس وما يصدِّقُ هو الطاقة الناتجة عن الانشطار النووي، ولكن بهذا الحال وطبقاً للحسابات العلمية فإنَّ كلَّ ثانية تمرُّ على الشمس ينقصُ من وزنها ٤ ملايين طن، أي إنَّ هذا المقدار من ذراتها يتحول إلى طاقةٍ، فبالرغم من أنَّ هذا الأمر ليس له تأثيرٌ على المدى القريب، إلاَّ أنَّه من المسلَّم به سيساعدُ في فناء الشمس على المدى البعيد، وهذا ما صرَّح به القرآن الكريم في آياته، حيث سيأتي اليوم الذي ينطفئُ هذا المصباح السماوي العظيم المنير.

٢ - البركات العظيمة للشمس

مهما تحدثنا حول فوائد وجود هذا النجم السماوي وتأثيره البالغ في حياة الإنسان وبقية موجودات الأرض، فإننا لا نستطيع أن نفِي بالغرض، وفي الحقيقة يمكنُ تأليف كتابٍ كبيرٍ في هذا المجال بالترتيب التالي:

١ - إنَّ جاذبية الشمس تؤدي إلى دوام استمرار الأرض في دورانها في مدارها الثابت وإلاَّ لسقطت في إحدى زوايا هذا الفضاء اللا

متناهي كُكْرَة مضطربة.

٢- إنَّ الحرارة التي تصلنا من الشمس بصورة مباشرة نهاراً والتي تخزن في الأجسام وتنعكس علينا ليلاً، لها تأثير في نمو النباتات وديمومة الحركة والحياة لدى الحيوانات.

٣- إنَّ الشمسَ تَضَعُ في خدمة الإنسان نوراً سليماً ومجانياً وغير حارٍ أو مُحْرِقٍ ولا باردٍ وخالٍ من الأثر، بشكلٍ دائمٍ، وإذا قارنَّا قيمة الطاقة التي نحصل عليها من الشمس مع قيمة مصادر الطاقة الأخرى فلا بدَّ أن تدفع البشرية أموالاً عَوْضاً عن النور والحرارة التي تستلمها من الشمس مقارنةً مع ثمن «الكهرباء» بمقدار (مليار و ٧٠٠ ألف دولار كل ساعة).

عندئذٍ يجب أن نفكّر كم ستكون هذه الميزانية على مدى سنةٍ كاملةٍ؟

وبتعبيرٍ آخر، لو أرادَ أهلُ الأرض تأمين الحرارة التي تمنحُها إياهم الشمس، عن طريق شراء الفحم الحجري فيجب عليهم توفير ٦١ ألف مليار طن منه سنوياً، أو بعبارة أخرى توفير ٢٠ ألف طن لكل شخص، أيّ تأمين ميزانية باهظة.

٤- نحنُ نعلمُ أنَّ ضوء الشمس يتركبُ من ٧ ألوان مُزجت مع بعضها وظهرت على هيئة هذا النور الأبيض والشعاع الحالي، وهذا

النور يُعْتَبَرُ عاملاً مساعداً للنباتات حيثُ يمتصُّ غاز ثاني اوكسيد الكربون من الجو ويطرَحُ في المقابل غاز الأوكسجين الذي هو عمادُ حياتنا، فهو يساعد النباتات في نموها بسحب ثاني اوكسيد الكربون. ونحنُ نَمِيزُ الأشياءَ حسب العادةِ عن طريق ألوانها، وهذه الألوان تحصلُ في شعاع الشمس، لأنَّ كلَّ موجودٍ يقوم وحسب تكوينه بامتصاص جانبٍ من ألوان الشمس فنطلقُ على اللون الذي لم يُسحب لونَ الشيء، أي أنَّ الورق الأخضر للنباتات يمتص جميع ألوان الشمس عدا اللون الأخضر، إذن فنورُ الشمس هو الذي يُظهرُ جميع الألوان.

٥- إنَّ الاشعةَ فوق البنفسجية والتي هي من اشعاعات الشمس تُفيدُ في القضاء على ٩٠ ٪ من الجراثيم، وتقوم بدورٍ منع التعفن بنجوى تامٍ، ولولاها لتبدَّلت الأرضُ إلى مستشفى كبيرٍ، ولعلَّ أشعة الشمس اعتبرت لهذا السبب من المطهرّات في الإسلام «مع شروط خاصةٍ طبعاً».

٦- لقد استطاعَ العلماءُ من خلال استخدامهم للعدسات المحدبة الفخمة من توليد حرارة هائلةٍ بامكانها تشغيل المصانع المهمة، ولعل الكثير من المؤسسات الصناعية الحسّاسة سيتم تشغيلها في المستقبل القريب بالاستفادة من نور الشمس، وتحلُّ الطاقةُ الشمسية عندئذ محلَّ الكهرباء في البيوت.

٧- إِنَّ تَكُونُ الغيوم نتيجةً لسقوط أشعة الشمس على سطح المحيطات وهبوب الرياح نتيجةً لاختلاف درجات الحرارة على الأرض بسبب أشعة الشمس، ثم حركة الغيوم نحو اليابسة وهطول الأمطار التي تبعث الحياة، هي إحدى الفوائد المهمة للغاية لنور وحرارة الشمس.

٨- إِنَّ حركة الشمس المنظمة في أبراج السماء (الصور الفلكية) وشرورها وغروبها المنهجي الذي يجري بنظامٍ وتعاقب دقيقٍ ومحسوبٍ على مدى أيام السنة، إضافة إلى مساعدتها في تكوين الفصول المتعددة، فهي تساعد في إيجاد تقويمٍ وحسابٍ منظمٍ للزمان الضروري جداً للحياة الاجتماعية للبشر.

بعد ما تقدم من فوائد ننتقل إلى حديقة علماء التفسير لجني ثمار هذه الآية المباركة:

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان

بيان

قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ لفظة ينبغي تدل على الترجح ونفي ترجح الإدراك من الشمس نفي وقوعه منها، والمراد به أن التدبير ليس مما يجري يوماً ويقف آخر بل هو تدبير دائم غير مختل ولا منقوض حتى

ينقضي الأجل المضروب منه تعالى لذلك.

فالمعنى أن الشمس والقمر ملازمان لما خط لهما من المسير فلا تدرك الشمس القمر حتى يحتل بذلك التدبير المعمول بهما ولا الليل سابق النهار وهما متعاقبان في التدبير فيتقدم الليل والنهار فيجتمع ليلتان ثم نهاران بل يتعاقبان.

ولم يتعرض لنفي إدراك القمر للشمس ولا لنفي سبق النهار الليل لأن المقام مقام بيان انحفاظ النظم الإلهي عن الاختلال والفساد فنفي إدراك ما هو أعظم وأقوى وهو الشمس لما هو أصغر وأضعف وهو القمر، ويعلم منه حال العكس ونفي سبق الليل الذي هو افتقاده للنهار الذي هو ليله والليل مضاف إليه متأخر طبعاً منه ويعلم به حال العكس.

وقوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أي كل من الشمس والقمر وغيرهما من النجوم والكواكب يجرون في مجرى خاص به كما تسبح السمكة في الماء فالفلك هو المدار الفضائي الذي يتحرك فيه الجرم العلوي، ولا يبعد حينئذ أن يكون المراد بالكل كل من الشمس والقمر والليل والنهار وإن كان لا يوجد في كلامه تعالى ما يشهد على ذلك.

والإتيان بضمير الجمع الخاص بالعقلاء في قوله ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ لعله للإشارة إلى كونها مطاوعة لمشيئته مطيعة لأمره تعالى كالعقلاء كما في

قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [حم السجدة: ١١].

وللمفسرين في جمل الآية آراء آخر مضطربة أضربنا عنها من أراد الوقوف عليها فليراجع المفصلات.

بحث روائي

في المجمع، روي عن علي بن الحسين زين العابدين وأبي جعفر الباقر وجعفر الصادق عليه السلام: «لا مستقر لها» بنصب الراء.

وفي الدر المنثور، أخرج سعيد بن منصور وأحمد البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ قال: مستقرها تحت العرش.

أقول: وقد روي هذا المعنى عن أبي ذر عنه ﷺ من طرق الخاصة والعامة مختصرة ومطولة، وفي بعضها أنها بعد الغروب تصعد سماء سماء حتى تصل إلى ما دون العرش فتسجد وتستأذن في الطلوع وتبقى على ذلك حتى تكسى نورا ويؤذن لها في الطلوع.

والرواية إن صحت فهي مؤولة.

وفي روضة الكافي، بإسناده عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله ﷻ خلق الشمس قبل القمر - وخلق النور قبل

الظلمة.

وفي المجمع، روى العياشي في تفسيره بالإسناد عن الأشعث بن حاتم قال: كنت بخراسان حيث اجتمع الرضا- والفضل بن سهل والمأمون في الإيوان بمرور- فوضعت المائدة فقال الرضا عليه السلام: إن رجلا من بني إسرائيل سألني بالمدينة فقال: النهار خلق قبل أم الليل؟ فما عندكم؟ قال: وأداروا الكلام فلم يكن عندهم في ذلك شيء-.

فقال الفضل للرضا: أخبرنا بها أصلحك الله. قال: نعم من القرآن أم من الحساب- قال له الفضل من جهة الحساب- فقال: قد علمت يا فضل إن طالع الدنيا السرطان- والكواكب في مواضع شرفها- فزحل في الميزان والمشتري في السرطان- والمريخ في الجدي والشمس في الحمل- والزهرة في الحوت وعطارد في السنبلة- والقمر في الثور- فتكون الشمس في العاشر وسط السماء- فالنهار قبل الليل، ومن القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَا أَلَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ أي الليل قد سبقه النهار.

أقول: نقل الآلوسي في روح المعاني، هذا الحديث:

ثم قال: وفي الاستدلال بالآية بحث ظاهر، وأما بالحساب فله وجه في الجملة ورأى المنجمون أن ابتداء الدورة دائرة نصف النهار وله موافقة لما ذكر والذي يغلب على الظن عدم صحة الخبر من مبتدئه فالرضا أجل من أن يستدل بالآية على ما سمعت من دعواه انتهى.

وقد اختلط عليه الأمر في تحصيل حقيقة معنى الليل والنهار.

توضيحه: أن الليل والنهار متقابلان تقابل العدم والملكة كالعمى والبصر فكما أن العمى ليس مطلق عدم البصر حتى يكون الجدار مثلاً أعمى لعدم البصر فيه بل هو عدم البصر مما من شأنه أن يتصف بالبصر كالإنسان كذلك الليل ليس هو مطلق عدم النور بل هو زمان عدم استضاءة ناحية من نواحي الأرض بنور الشمس ومن المعلوم أن عدم الملكة يتوقف في تحققه على تحقق الملكة المقابلة له قبله حتى يتعين بالإضافة إليه فلو لا البصر لم يتحقق عمى ولو لا النهار لم يتحقق الليل.

فمطلق الليل بمعناه الذي هو به ليل مسبوق الوجود بالنهار وقوله: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ وإن كان ناظراً إلى الترتيب المفروض بين النُّهْرِ والليالي وأن هناك نهاراً وليلاً ونهاراً وليلاً وأن واحداً من هذه الليالي لا يسبق النهار الذي بجنبه.

لكنه تعالى أخذ في قوله: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ مطلق الليل ونفى تقدمه على مطلق النهار ولم يقل: إن واحداً من الليالي الواقعة في هذا الترتيب لا يسبق النهار الواقع في الترتيب قبله.

فالحكم في الآية مبني على ما يقتضيه طبيعة الليل والنهار بحسب التقابل الذي أودعه الله بينهما وقد استفيد منه الحكم بانحفاظ الترتيب في تعاقب الليل والنهار فإن كل ليل هو افتقار النهار الذي هو يتلوّه فلا

٣٩٠ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ٢

يتقدم عليه وإلى هذا يشير عليه السلام بعد ذكر الآية بقوله: «أي الليل قد سبقه النهار» يعني أن سبق النهار الليل هو خلقه قبله وليس كما يتوهم أن هناك نُهْرٌ أو ليالي موجودة ثم يتعين لكل منها محله.

وقول المعترض: «وأما بالحساب فله وجه في الجملة» لا يدرى وجه قوله: في الجملة وهو وجه تام مبني على تسليم أصول التنجيم صحيح بالجملة على ذلك التقدير لا في الجملة.

وكذا قوله: «ورأى المنجمون أن ابتداء الدورة دائرة نصف النهار وله موافقة لما ذكر» لا محصل له لأن دائرة نصف النهار وهي الدائرة المارة على القطبين ونقطة ثالثة بينهما غير متناهية في العدد لا تتعين لها نقطة معينة في السماء دون نقطة أخرى فيكون كون الشمس في إحداها نهاراً للأرض دون أخرى.

وفي المجمع: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ روى الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: معناه اتقوا ما بين أيديكم من الذنوب - وما خلفكم من العقوبة.

ثانياً : وفقاً لتفسير النور

إشارات

- العرجون هو قسم من سعف النخل المتصل بشجرها، ويتخذ شكل قوس بعد مدة من الزمن.

- برهان النظم يستفاد من هذه الآية، وهو أحد أدلة إثبات وجود الله ﷻ.

- إلفات نظر الناس إلى حركة الشمس والقمر، حدوث الليل والنهار، والتغيرات التي ترى في القمر، سباحة الكواكب والنجوم في السماء، مدارات الكواكب، عدم اصطدام الكواكب وسيرها بنظام دقيق، متصف بالعلم والحكمة، يدل على اهتمام الإسلام بعلم الهيئة وقد أدى إلى إيجاد فضاء مناسب لدراسات العلماء على مر التاريخ.

النعاليم

- ١- الليل من آيات قدرة الله ﷻ وحكمته، ﴿عَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ﴾
- ٢- ثبوت برنامج واحد على مر التاريخ دون أي خلل يدل على وجود منظم حكيم وعليم، ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾
- ٣- حدوث الليل والنهار ليس صدفة بل بتدبير الله ﷻ، ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾
- ٤- مدار حركة الشمس والقمر نظمت بنحو لا يصطدما ببعضهما، ولا يؤدي إلى الإخلال بحركة الليل والنهار، ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾
- ٥- خلافا للنظرية التي كانت ترى الشمس ثابتة، يتحدث القرآن الكريم عن حركة الشمس بنحو محدد، ﴿تَجْرِي لِمْسْتَقَرٍّ لَهَا﴾

٣٩٢ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ٢

٦- لا يمكن لأحد أن يوجد خلا في النظام الحاكم على الكون، ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾

٧- تشبيهات القرآن الكريم لا تتقدم، فحركة القمر شبت بحركة سنف النخل، ﴿عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾

٨- كافة الكواكب تتحرك في مداراتها، ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

٩- حركة الكواكب تجري في مدارتها بسرعة، «يسبحون: أي السباحة السريعة»

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمل

النفسير

هذه الآيات تتحدث في قسم آخر من آثار عظمة الله في عالم الوجود، وحلقة أخرى من حلقات التوحيد التي مرّ منها في الآيات السابقة ما يتعلق بالمعاد وإحياء الأرض الميتة، ونمو النباتات والأشجار.

تقول الآية الكريمة الأولى ﴿وَعَايَةُ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ﴾.

﴿نَسْلَخُ﴾ من مادة (سلخ) وتعني في الأصل نزع جلد الحيوان، والتعبير في الآية تعبير لطيف، فكأنّ نور النهار لباس أبيض ألبسه

جسد الليل، ينزع عنه إذا حلّ الغروب ليبدو لونه الذاتي، والتأمل في هذا التعبير يوضح هذه الحقيقة، وهي أنّ الظلام هو الطبيعة الأصل للكرة الأرضية، وأنّ النور والإضاءة صفة عارضة عليها تأتيها من مصدر آخر، فهو كاللباس الذي يرتدى، وحينما يخلع ذلك الثوب، يظهر اللون الطبيعي للبدن.

هنا يشير القرآن الكريم إلى ظلمة الليل، وكأنّه يريد- بعد أن تعرّض إلى كيفية إحياء الأرض الميتة كآية من آيات الله في الآيات السابقة- أن يعرض نموذجا عن الموت بعد الحياة من خلال مسألة تبديل النور بظلمة الليل.

على كلّ حال، فعند ما يستغرق الإنسان في ظلمة الليل، ويتذكّر النور وبركاته ونشاطه ومنبعه يتعرّف- بتأمل يسير- على خالق النور والظلام.

الآية التي بعدها تتعرّض إلى النور والإضاءة وتذكر الشمس فتقول:

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾.

هذه الآية تبين بوضوح حركة الشمس بشكل مستمر، أمّا ما هو المقصود من تلك الحركة؟ فللمفسّرين أقوال متعدّدة:

قال بعضهم: إنّ ذلك إشارة إلى حركة الشمس الظاهرية حول

الأرض، تلك الحركة التي ستستمر إلى آخر عمر العالم الذي هو نهاية عمر الشمس ذاتها.

وقال آخرون: إنه إشارة إلى ميل الشمس في الصيف والشتاء نحو الشمال والجنوب على التوالي، لأننا نعلم بأن الشمس تميل عن خط اعتدالها في بدء الربيع بطرف الشمال، لتدخل في مدار (٢٣) درجة شمالاً، وتعود مع بدء الصيف قليلاً قليلاً حتى تنتهي إلى خط اعتدالها عند بداية الخريف وتستمر على خط سيرها ذلك باتجاه الجنوب حتى بدء الشتاء، ومن بدء الشتاء تتحرك باتجاه خط اعتدالها حتى تبلغ ذلك عند بدء الربيع. وبديهي أن جميع تلك الحركات في الواقع ناجمة عن حركة الأرض حول الشمس وانحرافها عن خط مدارها، وإن كانت ظاهراً تبدو وكأنها حركة الشمس.

وآخرون اعتبروا الآية إشارة إلى حركة الشمس الموضعية بالدوران حول نفسها، حيث أثبتت دراسات العلماء بشكل قطعي أن الشمس تدور حول نفسها.

وآخر وأحدث التفاسير التي ظهرت بخصوص هذه الآية، هو ما كشفه العلماء أخيراً من حركة الشمس مع منظومتها باتجاه معين ضمن المجرة التي تكون المجموعة الشمسية جزءاً منها، وقيل أن حركتها باتجاه نجم بعيد جداً أطلقوا عليه اسم «وجا».

كلّ هذه المعاني المشار إليها لا تتضارب فيما بينها، ويمكن أن تكون جملة ﴿تَجْرَى﴾ إشارة إلى جميع تلك المعاني ومعاني أخرى لم يصل العلم إلى كشفها، وسوف يتمّ كشفها في المستقبل.

وعلى كلّ حال، فإنّ حركة كوكب الشمس الذي يعادل مليون ومئتي ألف مرّة حجم الأرض، بحركة دقيقة ومنظمة في هذا الفضاء اللامتناهي، ليس مقدورا لغير الله سبحانه الذي تفوق قدرته كلّ قدرة وبعلمه اللامتناهي، لذا فإنّ الآية تضيف في آخرها ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾

أمّا آخر ما قيل في تفسير هذه الآية فهو أنّ تعبير الآية يشير إلى نظام السنّة الشمسية الناشئ عن حركة الشمس عبر الأبراج المختلفة، ذلك النظام الذي يعطي حياة الإنسان نظاما وبرنامجا معيّنا يؤدّي إلى تنظيم حياته من مختلف النواحي.

لذا فإنّ الآية التالية تتحدّث عن حركة القمر ومنازلة التي تؤدّي إلى تنظيم أيّام الشهر، وذلك لأجل تكميل البحث السابق، فتقول الآية:

﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾.

المقصود ب (المنازل) تلك المستويات الثمانية والعشرون التي يطويها القمر قبل الدخول في «المحاق» والظلام المطلق. لأنّ القمر

يمكن رؤيته في السماء إلى اليوم الثامن والعشرين، ولكنه يكون في ذلك اليوم هلالاً ضعيفاً مائلاً لونه إلى الأصفرار، ويكون نوره قليلاً وشعاعه ضعيفاً جداً، وفي الليلتين الباقيتين من الثلاثين يوماً تنعدم رؤيته تماماً ويقال: إنه في دور (المحاق)، ذلك إذا كان الشهر ثلاثين يوماً، أمّا إذا كان تسعة وعشرين يوماً، فإن نفس هذا الترتيب سيبدأ من الليلة السابعة والعشرين ليدخل بعدها القمر في (المحاق).

تلك المنازل محسوبة بدقة كاملة، بحيث أن المنجمين منذ مئات السنين يستطيعون أن يتوقعوا تلك المنازل ضمن حساباتهم الدقيقة.

هذا النظام العجيب ينظم حياة الإنسان من جهة، ومن جهة أخرى فهو تقويم سماوي طبيعي لا يحتاج إلى تعلّم القراءة والكتابة لمتابعته. بحيث أن أيّ إنسان يستطيع بقليل من الدقّة والدراية في أوضاع القمر خلال الليالي المختلفة..

يستطيع بنظرة واحدة أن يحدّد بدقة أو بشكل تقريبي أيّة ليلة هو فيها.

ففي الليلة الأولى يظهر الهلال الضعيف وطرفاه إلى الأعلى، ويزداد حجمه ليلة بعد ليلة حتى الليلة السابعة حيث تكتمل نصف دائرة القمر، ثم تستمر الزيادة حتى تكتمل الدائرة الكاملة للقمر في الليلة الرابعة عشرة ويسمّى حينئذ «بدرا». ثم يبدأ بالتناقص تدريجياً

الآية الحادية والثلاثون..... ٣٩٧

حتى الليلة الثامنة والعشرين حيث يصبح هلالا باهتا يشير طرفاه إلى الأسفل.

نعم، فإنَّ النظم يشكّل أساس حياة الإنسان، والنظم بدون التعيين الدقيق للزمن ليس ممكنا، لذا فإنَّ الله سبحانه وتعالى قد وضع لنا هذا التقويم الدقيق للشهور والسنين في كبد السماء. بعد استعراضنا لأشكال القمر ومنازله يتّضح تماما معنى الجملة التالية ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾.

وفي الحقيقة فإنَّ الشبه بين العرجون والهلال من جوانب عديدة: من ناحية الشكل الهلالي، ومن ناحية اللون الأصفر، والذبول، وإشارة الأطراف إلى الأسفل، وكونه في وسط دائرة مظلمة تكون في حالة العرجون منسوبة إلى سعف النخل الأخضر، وبالنسبة للهلال منسوبة إلى السماء المظلمة.

والوصف ب (القديم) إشارة إلى كون العرجون عتيقا، فكلما مرَّ عليه زمن وتقادم أكثر أصبح ضعيفا وذابلا واصفّر لونه وأصبح يشبه الهلال كثيرا قبل دخوله المحاق.

وسبحان الله فقد تضمّن تعبير واحد قصير كلّ تلك الظرافة والجمال!

الآية الأخيرة من هذه الآيات، تتحدّث عن ثبات ودوام ذلك

النظم في السنين والشهور، والنهار والليل، فقد وضع الله سبحانه وتعالى لها نظاما وبرنامجا لا يقع بسببه أدنى اضطراب أو اختلال في وضعها وحركتها، وبذا ثبت تاريخ البشر وانتظم بشكل كامل، تقول الآية: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

من المعلوم أنّ الشمس تطوي في دورانها خلال العام الأبراج الاثني عشر، في حين أنّ القمر يطوي منازلها خلال شهر واحد، وعليه فحركة القمر أسرع من حركة الشمس في مدارها اثنتي عشرة مرة، لذا فإنّ الآية تقول بأنّ الشمس بحركتها لا يمكنها أن تدرك القمر في حركته فتقطع في شهر واحد ما تقطعه في سنة واحدة.

وبذا يختلّ النظام السنوي لها. كما أنّ الليل لا يتقدّم على النهار، بحيث يدخل جزء منه في النهار، فيختلّ النظام الموجود، بل إنّهما - على مدى ملايين السنين - ثابتان على مسيرهما دون أدنى تغيير.

يتّضح ممّا قلنا أنّ المقصود من حركة الشمس في هذا البحث، هي الحركة بحسب حسّنا بها، والملفت للنظر هنا، هو أنّ هذا التعبير عن حركة الشمس ظلّ يستعمل حتى بعد أن ثبت للجميع بأنّ الشمس هي المركز الثابت لحركة الأرض حولها، فمثلا يقال: إنّ الشمس قد تحوّلت إلى برج الحمل، أو يقال: وصلت الشمس إلى دائرة نصف النهار، أو أنّ الشمس بلغت الميل الكامل (الميل الكامل هو بلوغ

الشمس إلى أقصى نقطة ارتفاع لها في نصف الكرة الأرضية الشمالي في بداية الصيف أو بالعكس أدنى نقطة انخفاض في بداية الشتاء).

هذه التعبيرات تدلّ دوماً على أنّه حتى بعد أن تمّ الكشف عن دوران الأرض حول الشمس وثبات الأخيرة ظلّت تستخدم، لأنّ النظر الحسيّ يستشعر حركة الشمس وثبات الأرض، ومن هنا تستعمل هذه التعبيرات، وعلى هذا أيضاً يكون قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

كذلك يحتمل أن يكون المقصود من (السباحة) هنا حركة الشمس في فلکها مع المنظومة الشمسية والمجرة التي نحن فيها، حيث أنّ الثابت علمياً حالياً أنّ المنظومة الشمسية التي نعيش فيها جزء من مجرة عظيمة هي بدورها في حالة دوران. إذ أنّ ﴿فَلَكٌ﴾ كما يقول أرباب اللغة بمعنى: بروز واستدارة ثدي البنت، ثمّ أطلقت على القطعة المدوّرة من الأرض أو الأشياء المدوّرة الأخرى أيضاً، ومنه اطلق على مسير الكواكب الدوراني.

جملة ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ في إعتقاد الكثير من المفسّرين، إشارة إلى كلّ من الشمس والقمر والنجوم الأخرى التي تتخذ لنفسها مسارات ومدارات، وإن لم يرد ذكر النجوم في الآية، ولكن بملاحظة ذكر ﴿اللَّيْلِ﴾ واقتران ذكر النجوم مع القمر والشمس، لا يستبعد المعنى

المذكور، خاصّة وأنَّ ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ ورد بصيغة الجمع.

وكذلك يحتمل أن تكون الجملة إشارة إلى كلّ من الشمس والقمر والليل والنهار، لأنّ كلا من الليل والنهار له مدار خاص، ويدور حول الأرض بدقّة، فالظلام يغطّي نصف الكرة الأرضية دوماً، والنور يغطّي النصف الآخر منها، وهما يتبادلان المواضع خلال أربع وعشرين ساعة ويتمّان دورة كاملة حول الأرض.

﴿يُسَبِّحُونَ﴾ من مادة «سباحة» وهي كما يقول «الراغب» في المفردات: المرّ السريع في الماء والهواء. واستعير لحركة النجوم في الفلك والتسييح تنزيه الله تعالى، وأصله المرّ السريع في عبادة الله! ولذا فإنّها في الآية إشارة إلى الحركة السريعة للأجرام السماوية، والآية تشبّوها بالموجودات العاقلة المستمرة في دورانها، وقد ثبت حالياً أنّ الأجرام السماوية تنطلق بسرعة هائلة في الفضاء.

بحوث

١- حركة الشمس [الدورانية] و[الجريانية]

«الدوران» لغة يطلق على الحركة المغزلية، في حال أنّ «الجريان» يطلق على الحركة الطولية، والملفت للنظر أنّ الآيات أعلاه، نسبت الحركتين إلى الشمس، فقالت: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي ... وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

كانت المحافل العلمية أيام نزول الآية متمسكة بنظرية «بطليموس» التي كانت تقول بأنّ الأجرام السماوية ليس فيها حركة دورانية، بل إنّ باطن الأفلاك التي تتكوّن من أجسام بلّورية متراكمة على بعضها البعض كتراكم طبقات البصلة وثابتة، وحركتها تتبع حركة أفلاكها، وعليه فلم يكن في تلك الأيام معنى لا لجريان الشمس ولا غيره. أمّا بعد أن تداعت الأسس التي تقوم عليها فرضية بطليموس في ضوء الاكتشافات الجديدة في القرون الأخيرة، وتحرّرت الأجرام السماوية من قيد الأفلاك البلورية، فقد قويت نظرية كون الشمس هي مركز المنظومة الشمسية، وهي ثابتة وجميع المنظومة الشمسية تدور حولها.

هنا أيضاً لم تكن تعبيرات الآيات أعلاه مفهومة فيما يتعلّق بحركة الشمس الطولية والدورانية حتى أثبت العلم بتطوّره عدّة حركات للشمس في العقود الأخيرة. وهي:

حركة الشمس الموضعية حول نفسها.

حركة الشمس الطولية مع المنظومة الشمسية باتجاه نقطة محدّدة في السماء.

وحركتها الدورانية مع المجرة التي تتبعها وبذا ثبتت معجزة علمية أخرى للقرآن.

ولتوضيح هذه المسألة نورد ما ورد في إحدى دوائر المعارف حول حركة الشمس:

للشمس حركة ظاهرية وأخرى واقعية، وتشارك الشمس في الحركة الظاهرية - اليومية - فهي تشرق من مشرق نصف الكرة الأرضي الذي نعيش فيه، وتغرب في طرف الجنوب من نصف النهار ثم تغرب من المغرب، وعبرها من نصف النهار يشخص الظهر الحقيقي - الزوال -.

وللشمس أيضا حركة ظاهرية أخرى - سنوية - حول الأرض بحيث أنها تقترب من المشرق درجة واحدة كل يوم، وفي هذه الحركة تمر الشمس مقابل الأبراج مرة واحدة كل عام، ومدار هذه الحركة يقع على صفحة «دائرة البروج» ولهذه الحركة أهمية عظيمة في علم الفلك، فظاهرة «الاعتدالين» و«الانقلاب» و«الميل الكلي» كلها مرتبطة بهذا العلم، وعلى أساس ذلك يحسب العام الشمسي.

علاوة على هذه الحركات الظاهرية فإن للشمس حركة دورانية في المجرة، فالشمس تنطلق بسرعة دورانية في الفضاء تعادل مليون ومئة وثلاثين ألف كيلومتر في الساعة!! وفي داخل المجرة فهي ليست ثابتة أيضا، بل إنها أيضا تدور بسرعة تقارب اثنين وسبعين ألف كيلومتر في الساعة ضمن المجموعة النجمية المسماة «الجاثي على ركبتيه».

وعدم علمنا بتلك الحركة السريعة للشمس هو بعد الأجرام السماوية، والذي هو المانع من تشخيص تلك الحركة الموضعية أيضا. دورة الحركة الموضعية للشمس على محورها تستغرق حدود الخمسة وعشرين يوما بلياليها.

٢- نَعْبِيرُ «تَدْرِكُ» وَ «سَابِقُ»

إِنَّ التَّعْبِيرَاتِ الْقُرْآنِيَةَ اسْتَعْمَلَتْ بِدَقَّةٍ مُتَنَاهِيَةٍ لَا يُمْكِنُ الْإِحَاطَةُ بِجَمِيعِ أبعادها.

ففي الآيات أعلاه حينما تتحدّث عن الحركة الظاهرية للقمر والشمس خلال المسيرة الشهرية والسنوية تقول: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾. إذ أنّ القمر ينهي مسيرته في شهر واحد بينما الشمس في عام كامل.

أمّا حينما تحدّثت عن الليل والنهار قالت: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ لعدم وجود فاصلة بينهما ولتعاقبهما. فالتعابير غاية في الدقّة.

٣- نظام النور والظلام في حياة البشر

تعرّضت الآيات أعلاه إلى موضوعين من أهمّ المواضيع المتعلقة بحياة البشر. على أنّهما آيتان من آيات الله وهما مسألة ظلمة الليل ومسألة الشمس ونورها.

قلنا سابقاً أنّ النور من ألطف وأكثر موجودات العالم المادّي بركة.

وليس لإضاءتنا ومعيشتنا فقط فكلّ حركة ونشاط مرتبط بنور الشمس، نزول قطرات المطر، نمو النباتات، تفتّح البراعم، نضوج الثمار والفواكه، خريّر الجداول، تلوين مائدة الطعام بأنواع المواد الغذائية، وحتى حركة عجلة المصانع العظيمة، وتوليد الطاقة الكهربائية، وأنواع المنتجات الصناعية، كلّها تعود في أصلها إلى هذا المنبع العظيم للطاقة، أي نور الشمس.

وخلاصة القول فإنّ جميع الطاقات على سطح الكرة الأرضية - عدا الطاقة الناجمة عن تفجير الذرّة - جميعها تستمدّ وجودها من نور الشمس، ولو لا الأخير لخيم الصمت والموت على كلّ مكان.

ظلمة الليل مع أنّها تذكر بالموت والفناء، فإنّها تعدّ من الأمور الحياتية الهامّة في حياة البشر، لأنّها تعدل نور الشمس وتؤثّر عميقاً في راحة جسم وروح الإنسان، والمنع من المخاطر الناجمة عن تسلّط أشعّة الشمس بشكل متواصل ومستمر، بحيث لو لم يكن الليل عقيب النهار لارتفعت درجة الحرارة على سطح الأرض إلى درجة أنّ الأشياء جميعاً تأخذ بالاشتعال والاحتراق، كذلك في القمر حيث الليالي والأيّام طويلة (كلّ ليلة هناك تعادل حوالي خمسة عشر يوماً بلياليها على الأرض، كذلك الحال بالنسبة للنهار) فحرارة النهار قاتلة، وبرودة مجمّدة.

وعليه فإنّ كلا من «النور والظلام» آية إلهية عظيمة.

ناهيك عن أنّ النظام المتناهي الدقة الذي يحكمهما، أدّى إلى تنظيم تأريخ حياة البشر، ذلك التأريخ الذي لو لا وجوده لتفتت الروابط الاجتماعية، وأصبحت الحياة بالنسبة إلى البشر أشبه بالمستحيل، وبذا فإنّ كلا من «النور والظلام» آيتان إلهيتان من هذه الناحية أيضا.

والملفت للنظر هنا هو قول القرآن الكريم: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾. وهذا التعبير يدلّ على أنّ النهار خلق قبل الليل، والليل بعده تماما، فلو أنّ أحدا نظر من خارج الكرة الأرضية فسيرى موجودين أسود وأبيض يدوران بشكل مرتّب حول الأرض، وفي مثل هذه الحركة الدائرية لا يمكن تصوّر القبل والبعد فيها.

ولكن إذا أخذنا بنظر الاعتبار أنّ الأرض التي نعيش عليها كانت يوما ما جزءا من الشمس، وفي ذلك الوقت لم يكن سوى النهار، ولا وجود لليل، ثمّ بعد أن انفصلت الكرة الأرضية عن الشمس وابتعدت تكون لها ظلّ مخروطي الشكل من الجهة المخالفة للشمس فكأنّ الليل، الليل الذي أصبحت حركته بعد النهار، نعم، لو توجّهنا لكلّ ذلك لا تضحّت دقة ولطافة هذا التعبير.

وكما قلنا سابقا فليس الشمس والقمر وحدهما يسبحان في هذا الفضاء المترامي، بل إنّ الليل والنهار أيضا يسبحان حول الكرة الأرضية، وكلّ منهما له مدار ومسير دائري.

٤٠٦ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ٢

وقد ورد في روايات متعددة عن أهل البيت عليهم السلام التصريح بأن الله سبحانه وتعالى خلق النهار قبل الليل.

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال جواباً على سؤال في حديث طويل: «نعم خلق النهار قبل الليل، والشمس والقمر والأرض قبل السماء».

وعن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «فالنهار خلق قبل الليل وفي قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ أي قد سبقه النهار».

وورد نفس المعنى عن الإمام الباقر عليه السلام حين قال: «إن الله عز وجل خلق الشمس قبل القمر، وخلق النور قبل الظلمة».

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

١ - الرضا عليه السلام: عَنْ الْأَشْعَثِ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: فَقَالَ الرَّضَا عليه السلام إِنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَنِي بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ النَّهَارُ خُلِقَ قَبْلُ أَمِ اللَّيْلُ فَمَا عِنْدَكُمْ قَالَ فَأَدَارُوا الْكَلَامَ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ فَقَالَ الْفَضْلُ لِلرَّضَا عليه السلام أَخْبَرْنَا بِهَا أَصْلَحَكَ اللَّهُ قَالَ نَعَمْ مِنَ الْقُرْآنِ أَمْ مِنَ الْحِسَابِ قَالَ لَهُ الْفَضْلُ مِنْ جِهَةِ الْحِسَابِ فَقَالَ قَدْ عَلِمْتَ يَا فَضْلُ أَنَّ طَالِعَ الدُّنْيَا السَّرَطَانُ وَالْكَوَاكِبُ فِي مَوَاضِعَ شَرَفِهَا فَرْحُلٌ فِي الْمِيزَانِ وَالْمُشْتَرَى فِي السَّرَطَانِ وَالشَّمْسُ فِي الْحَمَلِ وَالْقَمَرُ فِي الثَّوْرِ وَذَلِكَ

يَدُلُّ عَلَى كَيْنُونَةِ الشَّمْسِ فِي الْحَمَلِ مِنَ الْعَاشِرِ مِنَ الطَّالِعِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ فَالنَّهَارُ خُلِقَ قَبْلَ اللَّيْلِ وَأَمَّا فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) أَيُّ قَدْ سَبَقَهُ النَّهَارُ.

٢- الباقر عليه السلام: عَنْ أَبِي الْجَارُود عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ فِي قَوْلِهِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ يَقُولُ الشَّمْسُ سُلْطَانُ النَّهَارِ وَالْقَمَرُ سُلْطَانُ اللَّيْلِ لَا يَنْبَغِي لِلشَّمْسِ أَنْ تَكُونَ مَعَ ضَوْءِ الْقَمَرِ بِاللَّيْلِ وَلَا يَسْبِقُ اللَّيْلُ النَّهَارَ يَقُولُ لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ حَتَّى يُدْرِكَهُ النَّهَارُ وَكُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ يَقُولُ يَجِيءُ وَرَاءَ الْفَلَكَ بِالْإِسْتِدَارَةِ.

٣- الباقر عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ عز وجل خَلَقَ الشَّمْسَ قَبْلَ الْقَمَرِ وَخَلَقَ النُّورَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الظُّلْمَةَ.

٤- الرَّسُولُ صلی الله علیه و آله: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه و آله اقْتَدُوا بِالشَّمْسِ فَإِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ فَاقْتَدُوا بِالْقَمَرِ فَإِذَا غَابَ الْقَمَرُ فَاقْتَدُوا بِالزُّهْرَةِ فَإِذَا غَابَتِ الزُّهْرَةُ فَاقْتَدُوا بِالْفَرَقْدَيْنِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ صلی الله علیه و آله فَمَا الشَّمْسُ وَمَا الْقَمَرُ وَمَا الزُّهْرَةُ وَمَا الْفَرَقْدَانِ فَقَالَ أَنَا الشَّمْسُ وَعَلِيٌّ عليه السلام الْقَمَرُ وَفَاطِمَةُ الزُّهْرَةُ وَالْفَرَقْدَانِ الْحَسَنُ وَالحُسَيْنُ عليهما السلام.

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضلہ تتم الصالحات وتقبل الحسنات وترفع الدرجات وتغفر السيئات وتبدل إلى حسنات، وأفضل وأتم التسليم وأزكى الصلوات على خير البريات محمد محمود الصفات والذي بلغ الكمال وآله معادن البركات ومعادن الخيرات، فالحمد لله أولاً وأخيراً على بلوغ الغاية بعد العناء وضعف البداية.

فمن خلال هذا الجزء المتقدم من هذه الموسوعة المباركة بإذن الله، والذي يُعد الإنطلاقة الثانية لهذه الموسوعة "موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين"، قمتُ بإحصاء آيات التسييح الواردة في القرآن المجيد، والتي بلغ عددها خمسة وثمانون آيةً كريمةً مُسبحةً حسبما تم إحصاءه بالاعتماد على كتاب المعجم الفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ولقد ضمّ هذا الجزء -الثاني- خمسة عشر آيةً مُسبحةً بآلية بحث كما تقدم في الإنطلاقة الأولى من هذه الموسوعة؛ كل آية كريمة مُسبحة على حدى وبموضوعات ذات صلة بموضوع تلك الآية، ونؤكد على أنّ تلك التعليقات المذيلة بكل آية لها مساس من قريب أو من بعيد

لمضمون الآية، وبالتالي لا تُعد هذه الإضافات والأبحاث تحت مظلة التفسير للآيات الكريمة، بالإضافة إلى أنني قمتُ بإلحاق أبرز التفاسير لكبار علماء التفسير المعاصرين في المذهب الإمامي الشيعي وهم أصحاب السماحة والآيات العظام: السيد محمد حسين الطباطبائي في كتابه الميزان لتفسير القرآن، والشيخ محسن قرائتي في كتابه تفسير النور، والشيخ مكارم ناصر الشيرازي في كتابه الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، والعالم علي رضا برازش في كتابه تفسير روائي عن أهل البيت عليهم السلام، لكي يتسم هذا السفر المبارك بالشمولية والإثراء المعرفي ويساهم في تيسير إستقراءه ومدارسته من قبل القراء الكرام.

وقد احتوى هذا الجزء على الموضوعات الخمسة عشر كما أشرنا في مقدمة هذا الجزء وهي كالتالي:

١ - أهل البيت عليهم السلام أهل التسبيح والعبادة.

٢ - عالم الطير.

٣ - فائدة حول لفظ الجلالة.

٤ - من أسماء الله الحُسنى "القدوس".

٥ - مالكية الله.

٦ - التسبيح للحي القيوم.

٧- عظمة الرسول ﷺ.

٨- مساوئ البخل.

٩- دوام الذكر والتسبيح.

١٠- وظائف الملائكة.

١١- معنى العرش.

١٢- أقسام الكبر.

١٣- الوحي وأقسامه.

١٤- الليل.

١٥- الشمس.

وقبل أن أختتم هذا الجزء من هذا السفر المبارك أقدم واجب الشكر والعرفان أولاً وعلى وجه التخصيص لمن ألهمني هذه النفحات القيمة، ثامن الأئمة وضامن اللجنة الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليه.

وكما أنني أتقدم بالشكر لكل من آزرني في تأليف هذه الموسوعة المباركة سواء معنوياً أو مادياً أو عملياً، وأخص بالذكر سماحة الشيخ الفاضل التواق للمعرفة، وصاحب الجهد والاجتهاد والمثابرة في إخراج هذه الموسوعة المباركة في حلّتها الأولى والثانية، وكان من

المُعِينين لي مُنذ بدء فكرة البحث والشروع في كتابة مسائل التسبيح حتى ظهور هذه الموسوعة إلى النور، سواء في الجزء الأول أو الجزء الثاني، وحالياً هو قائم على استكمال إخراج الجزء الثالث من هذه الموسوعة، ويتطلع للأجزاء القادمة، فجزاه الله خيراً، فالكلمات قاصرة وعاجزة أن توفي بما يقوم به سماحة الشيخ فاضل الراضي دامت توفيقاته، على ما عليه من العناء ومواصلة الدرس وإدارة شؤون أسرته وظرفه الصحي وإدارة شؤون كثيرة شخصية به، إلا أنه رجل الموقف ورجل الجد والاجتهاد، أثابه الله وأطال في عمره وكثر من أمثاله من العاملين، وكافة من ساهم بالإشارة إلى ترشيح بعض مصادر البحث والروايات لبعض الآيات.

جعله الله في ميزان حسناتهم..

،، وفقنا المولى وإياكم لكل ما يحب ويرضى،،

والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله طاهرين المنتجين..

اللهم صل على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين وعجل فرجهم والعن أعداءهم أجمعين.

بقام/ يوسف إبراهيم علي الحضير

الأهساء،... التوثير

١٠ شعبان ١٤٤٦هـ

المصادر

- ١ - أعلام الهداية الإمام الحسين عليه السلام سيد الشهداء، تصحيح ابن عاشور.
- ٢ - إقبال الأعمال، رضي الدين علي بن موسى بن طاووس.
- ٣ - آمالي الإمام الصادق عليه السلام، محمد الخليجي.
- ٤ - الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي.
- ٥ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي.
- ٦ - أوضح البيان في تفسير القرآن، عباس علي الموسوي.
- ٧ - بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي.
- ٨ - البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني.
- ٩ - البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الموسوي الخوئي.
- ١٠ - تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، علي الحسيني النجفي.
- ١١ - تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي.
- ١٢ - التفسير الكبير، فخر الدين الرازي.

- ١٣ - تفسير النور، محسن قرائتي.
- ١٤ - تفسير أهل البيت عليهم السلام، رضا علي برازش.
- ١٥ - تفسير نور الثقلين، عبد علي جمعة العروسي الحويزي.
- ١٦ - تواريخ الأنبياء عليهم السلام، حسن اللوساني.
- ١٧ - التوحيد، الصدوق "محمد علي بابويه القمي".
- ١٨ - ثواب الأعمال، الصدوق.
- ١٩ - جامع أحاديث الشيعة، البروجردي.
- ٢٠ - جامع الأخبار، محمد السبزواري.
- ٢١ - جامع السعادات، المولى النراقي.
- ٢٢ - دار السلام، هاشم البحراني.
- ٢٣ - الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين السيوطي.
- ٢٤ - الدرر اللآلي في فروع العلم الإجمالي، تقي الطباطبائي القمي.
- ٢٥ - رحيق العلم والإيمان، د. أحمد فؤاد باشا.
- ٢٦ - روح المعاني، أبو الثناء الألوسي.
- ٢٧ - روضة الواعظين، محمد بن فتال النيشابوري.
- ٢٨ - السرائر، ابن إدريس الحلبي.
- ٢٩ - سلوة الحزين وتحفة العليل، قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي.
- ٣٠ - السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من الميلاد حتى الاستشهاد، جواد

الصافي الموسوي.

- ٣١- شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني.
- ٣٢- الصافي في تفسير كلام الله الوافي، الفيض الكاشاني.
- ٣٣- الصحيفة العلوية الجامعة، محمد باقر موحد الأبطحي.
- ٣٤- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني.
- ٣٥- عدة الداعي ونجاح الساعي، أحمد فهد الحلي.
- ٣٦- علل الشرائع، الصدوق.
- ٣٧- فاطمة الزهراء عليها السلام بهجة قلب المصطفى صلى الله عليه وآله، أحمد الرحماني الهمداني.
- ٣٨- الفضائل ومستدركاتهما، سديد الدين شاذان بن جبرئيل القمي.
- ٣٩- فلاح السائل ونجاح المسائل في عمل اليوم والليلة، رضي الدين علي بن موسى بن طاووس.
- ٤٠- القرآن الكريم.
- ٤١- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني.
- ٤٢- مجمع البيان، الفضل بن الحسن الطبرسي.
- ٤٣- المحاسن، محمد خالد البرقي.
- ٤٤- مستدرک الوسائل، حسين النوري الطبرسي.
- ٤٥- معالم السجود في الإسلام، يوسف إبراهيم الخضير.
- ٤٦- مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني.

٤١٦ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

- ٤٧- المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني.
- ٤٨- المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحُسنى، تقي الدين إبراهيم الكفعمي.
- ٤٩- مقدمة في أصول الدين ويليها منهاج الصالحين، أبو القاسم الموسوي الخوئي.
- ٥٠- منتخب نهج الذاكرين، محمد الريشهري.
- ٥١- موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ١، يوسف إبراهيم الخضير.
- ٥٢- الموسوعة الكونية الكبرى، آيات في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات، د. ماهر أحمد الصوفي.
- ٥٣- ميزان الحكمة، محمد الريشهري.
- ٥٤- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي.
- ٥٥- نفحات القرآن، ناصر مكارم الشيرازي.
- ٥٦- نهج البلاغة، عبد الحميد هبة الله المعتزلي.
- ٥٧- الوافي، الفيض الكاشاني.
- ٥٨- وسائل الشيعة، الحر العاملي.

المحتويات

إهداء.....	٩
آيات التسبيح التي يتضمنها الجزء الثاني.....	١٥
الآية الثامنة عشر.....	١٩
أهل البيت عليهم السلام هم أهل التسبيح والعبادة.....	١٩
صور من عبادة وتسبيح أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم.....	٢١
أولاً: صور من عبادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله	٢١
تسبيح الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله	٢١
ثانياً: صور من عبادة أمير المؤمنين عليه السلام	٢٢
تسبيح أمير المؤمنين عليه السلام	٢٣
ثالثاً: صور من عبادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام	٢٤
تسبيحة فاطمة الزهراء عليها السلام	٢٥
رابعاً: صور من عبادة الإمام الحسن عليه السلام	٢٥
تسبيح الإمام الحسن عليه السلام	٢٦
خامساً: صور من عبادة الإمام الحسين عليه السلام	٢٧
تسبيح الإمام الحسين عليه السلام	٢٨
أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٥).....	٢٩

٤١٨ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

٣٢	 بحث روائي
٣٢	 ثانياً: وفقاً لتفسير النور
٣٢	 إشارات
٣٤	 التعاليم
٣٥	 ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ١١)
٣٩	 ملاحظات
٤٣	 رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت
٥١	 الآية التاسعة عشر
٥١	 عالم الطير
٥٢	 آيات الإعجاز العلمي للطير في القرآن الكريم
٥٣	 أنواع الطيور وصفاتها
٥٤	 الكساء الريشي للطيور
٥٦	 هجرة الطيور
٦٢	 الطير مسخرات في جو السماء من أمر الله سبحانه
٧٠	 أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٥)
٧٥	 ثانياً: وفقاً لتفسير النور
٧٥	 إشارات
٧٦	 التعاليم
٧٧	 ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ١١)
٧٧	 الجميع يسبح لله
٧٨	 مسائل مهمة
٧٨	 ١- ماذا تعني عبارة أَلَمْ تَرَ

المحتويات ٤١٩

٢- التسبيح العام لجميع المخلوقات.....	٧٩
٣- التسبيح الخاص بالطيور.....	٨١
٤- عبارة: كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ.....	٨٢
٥- ما المقصود بالصلاة؟.....	٨٣
وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت.....	٨٣
الآية العشرون.....	٨٩
فائدتان.....	٨٩
الفائدة الأولى: الكمال والجمال وهو لفظ الجلالة.....	٨٩
المحور الأول: معنى لفظ الجلالة.....	٨٩
المحور الثاني: عدد كلمة لفظ الجلالة في القرآن الكريم.....	٩٠
المحور الثالث: امتيازات لفظ الجلالة.....	٩١
الفائدة الثانية: المسبحون الحقيقيون.....	٩٥
أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٩).....	٩٥
ثانياً: وفقاً لتفسير النور.....	٩٨
إشارات.....	٩٨
التعاليم.....	٩٨
ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ١٨).....	٩٩
ملاحظتان.....	١٠٣
١- التأثير الخارق للقرآن الكريم.....	١٠٣
٢- عظمة الآيات الأخيرة لسورة الحشر.....	١٠٣
رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت.....	١٠٥

٤٢٠ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

الآية الواحدة والعشرون ١٠٩

حول اسم من أسماء الله الحسنى ١٠٩

القدّوس ١١٠

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٩) ١١٣

ثانياً: وفقاً لتفسير النور ١١٤

ملاحح سورة الجمعة ١١٤

إشارات ١١٥

أهمية التسبيح ومكانته ١١٧

تسبيح الموجودات ١١٨

التعاليم ١٢١

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ١٨) ١٢٢

التفسير ١٢٢

الهدف من بعثة الرسول ١٢٢

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت ١٢٣

فضيلة سورة الجمعة ١٢٣

ثواب القراءة ١٢٥

الآية الثانية والعشرون ١٢٩

مالكية الله ١٢٩

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان (ج ١٩) ١٣١

ثانياً: وفقاً لتفسير النور ١٣٢

ملاحح سورة التغابن ١٣٢

إشارات ١٣٣

المحتويات ٤٢١

التعاليم ١٣٣

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل (ج ١٨) ١٣٤

يعلم ما تخفي الصدور ١٣٤

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت ١٣٥

ثواب القراءة ١٣٥

الفصل الرابع

الآية التي وردَ فيها لفظ (تُسَبِّحُ)

آيةٌ مُكرّرةٌ ١٤١

ديمومة التسبيح للحي القيوم ١٤١

الفصل الخامس

الآية التي وردَ فيها لفظ (تُسَبِّحُوهُ)

الآية الثالثة والعشرون ١٤٥

عظمة الرسول الأعظم ﷺ ١٤٥

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان ١٤٦

بيان! ١٤٦

ثانياً: وفقاً لتفسير النور ١٤٨

إشارات ١٤٨

التعاليم ١٤٩

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل ١٥٠

مكانة النبي وواجب الناس تجاهه! ١٥٠

٤٢٢ موسوعة التسييح في مدرسة الثقلين ج ٢

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت ١٥٧

الفصل السادس

الآية التي وردَ فيها لفظ (تُسَبِّحُونَ)

الآية الرابعة والعشرون ١٦١

مساوئ البخل ١٦١

أولاً: وفقاً لتفسير الميزان ١٦٧

بيان ١٦٧

بحث روائي ١٦٨

ثانياً: وفقاً لتفسير النور ١٧١

إشارات ١٧١

ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثال ١٧٥

أصحاب البستان والمصير المؤلم ١٧٥

بحثان ١٨١

١- الاستئثار بالنعم بلاء عظيم ١٨١

٢- العلاقة بين (الرزق) و(الذنوب) ١٨٢

رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت ١٨٣

الفصل السابع

الآيات التي وردَ فيها لفظ (يُسَبِّحُونَ)

الآية الخامسة والعشرون ١٨٧

دوام الذكر والتسييح ١٨٧

المحتويات ٤٢٣

الحث على كثرة الذكر.....	١٨٩
حد الذكر الكثير.....	١٩٠
الحث على دوام الذكر.....	١٩١
كثرة التسبيح.....	١٩٢
أولاً: وفقاً لتفسير الميزان.....	١٩٢
بيان.....	١٩٢
بحث روائي.....	١٩٤
ثانياً: وفقاً لتفسير النور.....	١٩٥
إشارات.....	١٩٥
التعاليم.....	١٩٥
ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل.....	١٩٧
التفسير.....	١٩٧
برهان التمانع.....	١٩٩
رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت.....	٢٠٦
الآية السادسة والعشرون.....	٢١٥
وظائف الملائكة.....	٢١٥
بعض من وظائف الملائكة في القرآن الكريم.....	٢١٦
الملائكة المقربون.....	٢١٦
حملة العرش.....	٢١٦
الحافون حول العرش.....	٢١٧
ملائكة الكرسي.....	٢١٧
الحفظة من الملائكة.....	٢١٧

٤٢٤ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

٢١٧	 ملائكة الجنة وخزنتها.
٢١٧	 ملائكة النار
٢١٨	 روح القدس
٢١٨	 سُفراء الوحي
٢١٨	 الاحاديث الواردة في وظائف الملائكة
٢٢٢	 شرح خطبة أمير المؤمنين عليه السلام حول وظائف الملائكة
٢٣٨	 أولاً: وفقاً لتفسير الميزان
٢٣٨	 بيان
٢٣٨	 بحث روائي
٢٤١	 ثانياً: وفقاً لتفسير النور
٢٤١	 إشارات
٢٤١	 التعاليم
٢٤٢	 ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل
٢٤٢	 التفسير
٢٤٢	 المتقون يدخلون الجنة أفواجا!!
٢٤٨	 رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت
٢٥١	 الآية السابعة والعشرون
٢٥١	 معنى العرش
٢٥٥	 كلام في معنى العرش
٢٦٥	 أولاً: وفقاً لتفسير الميزان
٢٦٥	 بيان
٢٦٧	 ثانياً: وفقاً لتفسير النور

المحتويات	٤٢٥
إشارات	٢٦٧
ما هو العرش؟	٢٦٨
التعاليم	٢٦٩
ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثال	٢٧٢
التفسير	٢٧٢
دعاء حملة العرش المستمر للمؤمنين	٢٧٢
أولاً: الأدعية الأربعة لحملة العرش	٢٧٥
ثانياً: آداب الدعاء	٢٧٦
ثالثاً: لماذا تبدأ الأدعية بكلمة «ربنا»؟	٢٧٧
رابعاً: ما هو العرش الإلهي؟	٢٧٩
رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت	٢٨٣
دعاء	٢٩١
الآية الثامنة والعشرون	٢٩٣
أقسام التكبر	٢٩٣
القسم الأول: التكبر على الله جلّ وعلى	٢٩٤
القسم الثاني: التكبر على الأنبياء والأوصياء	٢٩٦
القسم الثالث: التكبر على الناس	٢٩٧
الآيات الشريفة	٢٩٨
الأحاديث الشريفة	٢٩٨
أولاً: وفقاً لتفسير الميزان	٣٠٠
بيان	٣٠٠
بحث روائي	٣٠١

٤٢٦ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

ثانياً: وفقاً لتفسير النور	٣٠٢
ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل	٣٠٣
السجدة لله تعالى	٣٠٣
رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت	٣٠٩
الآية التاسعة والعشرون	٣١١
الوحي وأقسامه	٣١١
الوحي السماوي	٣١٢
تمهيد	٣١٢
شرح المفردات	٣١٤
شرح الآيات وتفسيرها	٣١٩
الوحي شمس مشرقة	٣١٩
توضيحات	٣٢٤
١- أقسام «الوحي» في القرآن المجيد	٣٢٤
٢ - ما هي حقيقة الوحي؟	٣٢٧
أولاً: وفقاً لتفسير الميزان	٣٣١
بيان	٣٣١
ثانياً: وفقاً لتفسير النور	٣٣٤
إشارات	٣٣٤
التعاليم	٣٣٦
ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل	٣٣٧
سورة الشورى	٣٣٧
نظرة عامة في محتوى السورة	٣٣٧

المحتويات	٤٢٧
فضيلة تلاوة السورة.....	٣٣٩
التفسير	٣٣٩

الفصل الثامن

الآيتان اللتان وردَ فيهما لفظ (يَسْبَحُونَ)

الآية الثلاثون	٣٤٩
الليل	٣٤٩
الأمر الأول: الليل وتوحيد الله.....	٣٤٩
الأمر الثاني: منافع الليل.....	٣٥٠
أولاً: وفقاً لتفسير الميزان	٣٥٨
بيان.....	٣٥٨
بحث روائي	٣٥٩
ثانياً: وفقاً لتفسير النور	٣٦٣
ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل	٣٦٤
علامات أخرى لله في عالم الوجود	٣٦٤
بحثان	٣٧٠
١- تفسير قوله تعالى: (كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ).....	٣٧٠
٢- السَّماء سقّف محكم	٣٧١
رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت	٣٧٣
الآية الحادية والثلاثون	٣٧٥
الشمس.....	٣٧٥
١- هوية الشمس.....	٣٨٠

٤٢٨ موسوعة التسبيح في مدرسة الثقلين ج ٢

٣٨٢ ٢ - البركات العظيمة للشمس

٣٨٥ أولاً: وفقاً لتفسير الميزان

٣٨٥ بيان

٣٨٧ بحث روائي

٣٩٠ ثانياً: وفقاً لتفسير النور

٣٩٠ إشارات

٣٩١ التعاليم

٣٩٢ ثالثاً: وفقاً لتفسير الأمثل

٣٩٢ التفسير

٤٠٠ بحوث

٤٠٠ ١- حركة الشمس (الدورانية) و(الجريانية)

٤٠٣ ٢- تعبير «تدرّك» و «سابق»

٤٠٣ ٣- نظام النور والظلام في حياة البشر

٤٠٦ رابعاً: وفقاً لكتاب تفسير أهل البيت

٤٠٩ الخاتمة

٤١٣ المصادر

٤١٧ المحتويات

